آسيا الصغرى والحروب الصليبية

في القرن الثاني عشر الميلادي

الدكتورة نعيمة محمد ابراهيم



آسيا الصغرى والحروب الصليبية
في القرن الثاني عشر الميلادي

دكتورة
نعيمة محمد إبراهيم

الناشر
دار الآفاق العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾

صدق الله العظيم

(الآية ٨٨ سورة هود)

إلى أمــــــــــي... نبع الحنـــان

إلى أبـــــــــي .... فيض العطــــــــــاء

إلى أخوتــــــــــي... حبًا ووفـــــــاءً

فهرس البحث

الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تتنوع الأقاليم وتكثر المدن، تتقارب وتتباعد، ولكن القليل منها ما قدر له أن يترك صفحات خالدة في التاريخ، ومن هذه الأقاليم إقليم آسيا الصغرى أو الأناضول (بلاد الروم) [١]، ويمثل هذا الإقليم جزءًا من قارة آسيا ومنها اتخذ اسمه، ويكون الجزء الرئيسي من دولة تركيا الحديثة، ويمتد من البحر الأسود في الشمال إلى البحر المتوسط في الجنوب، ومن بحر إيجة غربًا إلى نهر الفرات شرقًا، ويفصله عن شبه جزيرة البلقان وأوربا بوجه عام مضايق البسفور والدردنيل وبحر إيجه[٢].

وكان لإقليم آسيا الصغرى دورًا هامًا منذ فجر التاريخ، إذ شهدت أراضيه العديد من الحضارات والديانات، وكان طريقًا رئيسيًا ربط بين الشرق والغرب، عبرته العديد من الجيوش والهجرات على مر العصور، وسلكته القوافل تحمل المتاجر والحاصلات، إلى جانب الثقافات والفنون وغير ذلك من ألوان الحضارة بين العالمين[٣].

ولم يقتصر دور إقليم آسيا الصغرى على الحقبة التاريخية القديمة فقط، وإنما لعب هذا الإقليم درواً هامًا ومؤثرًا في فترة العصور الوسطى وبصفة خاصة عندما غدا طريقًا للجيوش الصليبية التي خرجت من الغرب الأوربي لغزو الأراضي المقدسة[٤].

وهذا الكتاب الموجود بين أيديكم الآن فى الحقيقة كان رسالتي لنيل درجة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنه**٢٠٠١**م، وتجدر الإشارة إلى أن أهم العوامل التي شجعتنى إلى الاهتمام بإقليم آسيا الصغرى هو

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن التسميات العديدة لإقليم آسيا الصغرى:

Georgacas, J.D., The Names for the Asia Minor Peninsula and A Register of Surviving Anatolian Pre-Turkish Placenames, (Heidelberg 1971)

(2)Osward, M., Asia Minor, With 160 Pictures in Photogravure, 8 Colour Plates,(London 1963), P. 13. The Oxford Dictionary of Byzantium, 1 (Oxford 1991), P. 205; The New Encyclopedia Britannica, 1 (U.S.A 1998), P. 374.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول آسيا الصغرى ودروها على مر العصور التاريخية:

Georgacas, Names, pp. 24-26; Ottin, M., Land of Emperors and Sultans: The Forgatten Cultures of Asia Minor, (London 1964); Ramsay, M.W., The Historical Geography of Asia Minor, (Amsterdam 1962), p. 23 N.E.B., I, p.374.

(4)Osward, Asia Minor, pp.13, 22

الدور المؤثر الذي لعبه هذا الإقليم في فترة زمنية من أهم فترات تاريخ العصور الوسطى ألا وهي فترة الحروب الصليبية، وقد وضعت نصب عيني عدة تساؤلات حاولت الإجابة عليها فى هذا الكتاب من أهمها، هل كان التهديد السلجوقي لآسيا الصغرى سببًا ساهم في قدوم الصليبيين إلى الشرق؟ وهل كان لهذا الإقليم من الأهمية عند الأباطرة البيزنطيين ما جعله عاملاً محددًا للعلاقة بينهم وبين الحشود الصليبية التي أخذت تعبر أراضيهم إلى بيت المقدس، وما هي الوسائل التي أتخذها هؤلاء الأباطرة لضمان قيام القادة الصليبيين بإعادة الأراضي التي يستولون عليها في آسيا الصغرى؟ وفي النهاية هل كان لمقاومة السلاجقة في آسيا الصغرى وطبيعة هذا الإقليم دور في فشل الحملات الصليبية التي مرت بأراضيه، أم أن مرورها كان مرورًا هادئًا لم تكتنفه أي صعوبات وصلت بعده الحشود الصليبية إلى الأراضي المقدسة في كامل قوتها وتمام عدتها؟

ومما دفعني أيضًا لتناول هذا الموضوع هو عدم وجود مؤلفات تتناول آسيا الصغرى وأهميتها في تاريخ الحروب الصليبية، إذ لم يلتفت إلى هذا الدور الفعال الذي لعبه هذا الإقليم في تلك الفترة الهامة وإنما تم الاهتمام فقط بالدولة التي أقامها السلاجقة في آسيا الصغرى وعلاقتها بالقوى الإسلامية والبيزنطية المعاصرة[١].

وقد تم تقسيم الكتاب إلى أربعة فصول تسبقهم مقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

ويتناول **الفصل الأول** الذي يحمل عنوان آسيا الصغرى وقيام الحركة الصليبية، أوضاع آسيا الصغرى قبل قدوم الصليبيين إلى الشرق، وبداية الهجوم السلجوقي عليها وما تلاه من حدوث موقعة مانزيكرت[٢]، وما ترتب عليها من اجتياح السلاجقة لآسيا الصغرى وسيطرتهم على أراضيها، وعجز الأباطرة البيزنطيين عن التصدي لهذا الغزو

---

(٢) تجدر الأشارة هنا الى مقال Sayar عن امبراطورية السلاجقة فى اسيا الصغرى:

Sayar,I.M.,The Empire of The Salcuqids of Asia Minor,J.N.E.S.10,No4. (oct., 1951) pp 268-280.

(2) Hillenbrand, C., Turkish myth and Muslim symbol The battle of Manzikert, Edinburg University, (2007).

الكاسح، وكيف أدى ذلك في النهاية إلى استنجاد الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين Alexius I Komnenos (١٠٨١-١١١٨م) بالغرب الأوربي لإنقاذ دولته من التهديد السلجوقي بصفة عامة وطرد السلاجقة من آسيا الصغرى بصفة خاصة، تلك الدعوة التى تلقفها البابا أوربان الثاني وحاول استغلالها لشن الحرب الصليبية **ضدالإسلام والمسلمين؛ بحجه نصره المسيحيين فى الشرق والدفاع عن الأراضى المقدسة.**

أما الفصل الثاني وعنوانه «دور آسيا الصغرى في السياسة البيزنطية تجاه الحروب الصليبية»، فقد تمت الإشارة في بدايته إلى ما يمثله إقليم آسيا الصغرى من أهمية لدى الدولة البيزنطية، وركزنا فيه على ما لعبه هذا الإقليم من دور مؤثر في سياسة الكسيوس تجاه قادة الجيوش الصليبية التي مرت بأراضيه منذ حشود حملة العامة حتى حملة سنة **٤٩٤هـ/١١٠١م**، من خلال انتزاعه قسم الولاء والإخلاص من القادة الصليبيين؛ لضمان إعادة أراضيه المغتصبة بواسطة السلاجقة، ثم سياسة الإمبراطور مانويل الأول كومنين Manuel I Komnenos (**١١٤٣-١١٨٠م**) الذي سار على نفس الدرب تجاه قادة الحملة الصليبية الثانية؛ لإعادة الأراضي الأسيوية للدولة البيزنطية، وأخيرًا موقف الإمبراطور إسحاق الثاني أنجيلوس Isaac II Angelos (**١١٨٥-١١٩٥م**) من حملة الإمبراطور فردريك بربروسا Frederick Barbarossa الذي يمثل منعطفًا خطيرًا وتحولًا كبيرًا في السياسة البيزنطية تجاه الحروب الصليبية، بعد أن فقدت آسيا الصغرى أهميتها لدى الدولة البيزنطية بعد هيمنة السلاجقة على معظمها، وضياع كل أمل في استردادها نتيجة معركة ميريوكيفالون سنة(**٥٧٢هـ/١١٧٦م**)، ومن ثم لم يعد هناك أي مبرر لتقديم المساعدة البيزنطية للصليبيين، بل إن إسحاق نفسه وضع العوائق والعقبات أمام الجيش الألماني أثناء عبوره أراضيه.

ثم ناقش الكتاب مدى مسئولية الأباطرة البيزنطيين عما وقع للصليبيين من صعوبات وهزائم في آسيا الصغرى وهل قام هؤلاء الأباطرة بخيانة الصليبيين في هذا الإقليم، أم أن فشل هذه الحملات يعود إلى ظروف وطبيعة إقليم آسيا الصغرى وكذلك السلاجقة الذين لعبوا الدور الحاسم في القضاء على هذه الحملات.

وبعد ذلك خصصنا الفصليين التاليين من الكتاب للحديث عن صعوبة آسيا

الصغرى كطريق لعبور الجيوش الصليبية إلى الشرق[1]، والذى اعترضهم فيه الكثير من الصعاب والمشاق، ووقف السلاجقة لهم بالمرصاد. ومن ثَم جاء **الفصل الثالث** ليتناول الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الأولى أثناء عبورها هذا الإقليم، وكذلك الصعوبات التي واجهت حملة سنة (١١٠١م) والتي انتهت بالقضاء عليها في آسيا الصغرى.

وفي النهاية جاء **الفصل الرابع** ليثبت لنا دور آسيا الصغرى في فشل الحملة الصليبية الثانية بعد أن تكبدت أفدح خسائرها على أراضي هذا الإقليم، ونهاية أحد جيوش الحملة الصليبية الثالثة الذي اتخذ الطريق البري عبر آسيا الصغرى بقيادة الإمبراطور فردريك بربروسا بعد غرقه في أحد أنهار آسيا الصغرى، وعودة معظم من بقي من جيشه الضخم إلى وطنهم.

ثم زودنا الكتاب **بخاتمة** ضمت أهم القضايا وأبرز الاستنتاجات التي توصلنا إليها، وعدد من الملاحق تتصل اتصالًا وثيقًا به وتؤكد وجهة نظرنا في بعض قضاياه، وفي النهاية قائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية.

وختامًا لا يسعني إلا أن أتقدَّم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل المؤرخ الكبير والمعين الذي لا ينضب، الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور -رحمه الله-، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة، ورئيس اتحاد المؤرخين العرب؛ لإشرافه ومراجعته هذا الكتاب، فجزاه الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء، كما يصير الشكر واجبًا لأستاذين جليلين وهما: الأستاذ الدكتور/ إسحاق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس؛ لتفضله بمراجعة هذا العمل، وكذلك أيضًا للأستاذة الدكتورة/ ليلى عبد الجواد -رحمها الله- أستاذ تاريخ العصور الوسطى، ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة؛ لإشرافها على هذا العمل ولتشجيعها المستمر لي على مواصلة البحث، ولتذليلها الكثير من الصعاب أمامي، فجزاها الله عني خير الجزاء ولسيادتها مني تحية تقدير وعرفان بالجميل.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن آسيا الصغرى كطريق للوصول إلى الشرق انظر:
Anderson, J.G.C., The road-system of Eastern Asia Minor with the evidence of Byzantine campaigns. J.H.S., 17(1897), pp., 22-44.

كما اتقدم بخالص شكري وتقديري إلى الأب منصور مستريح بدير الآباء الفرنسيسكان؛ لما قدمه لي من مساعدات كبيرة في ترجمة العديد من المصادر عن اللغة اللاتينية. ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى الزميل الفاضل الدكتور/ عبد العزيز رمضان؛ لما قدمه لي من مراجع وآراء قيمة أثرت هذه الدراسة، وكذلك أتقدم بالشكر إلى كل من وقف إلى جواري وقدم لي يد العون والمساعدة.

وفي الختام أتمنى أن أكون وُفِّقت في إنجاز عمل مفيد للقارئ.

عرض وتحليل لأهم مصادر البحث

تطلب موضوع البحث في تاريخ آسيا الصغرى والحروب الصليبية الرجوع إلى العديد من المصادر اللاتينية، هذا بالإضافة إلى بعض المصادر العربية والأرمينية والسريانية؛ سعيًا وراء تقديم الحقيقة التاريخيةللقارئ،وقد تمَّ الاعتماد على المصادر الأجنبية:(اللاتينية - اليونانية) في المقام الأول، بالنسبة لمصادر البحث التي أمدت الباحثة بفيض غزير من المعلومات لكشف دور آسيا الصغرى في هذه الحقبة التاريخية الهامة، ويأتي على رأس المصادر اللاتينية رواية أودو أف دويل Odo of Deuil عن حملة الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII إلى الشرق[1]. وكان أودو سكرتيرًا وواعظًا للملك أثناء حملته الصليبية، كما أنه كان راهبًا في دير القديس دنيس St. Denis، الواقع شمال مدينة باريس، ويبدو أنه أحرز ثقة كبيرة ومكانة هامة في هذا الدير، وقد صاحب لويس في حملته، ثم عاد إلى ديره ، واستمر هناك حتى وفاة شوجير SUGER فتولى هو رئاسة الدير[2]، وقد ذكر أودو أن الهدف من قيامه بتدوين أخبار هذه الحملة هو إعجابه بلويس السابع ، وليظهر كذلك لشعبه سوء الحظ والصعوبات التي واجهها الفرنسيون أثناء حملتهم ليستفيدوا منها إذا رغبوا في القيام بالرحلة إلى الشرق[3].

ويعد مؤلف أودو عن حملة لويس السابع الصليبية مصدرًا رائعًا لهذه الحملة، إذ

(1)Odo of Deuil, De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed & English Trans. Berry, V.G., (New York, 1948).

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 14-15؛ Topping, P. "Eudes De Deuil", Sp, 26 (1951) p. 385.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 17-18 ؛ Topping, Eudes, p. 386.

كان شاهد عيانٍ ومشاركًا فيها، ومن ثم كانت لديه فرصة طيبة للحصول على المعلومات مباشرة، والمشاركة في سير الحملة والمعاناة من صعوبات الرحلة، فقد اقترب من الملك الفرنسي وحصل على معلومات لا يمكن إحرازها إلا بالاتصال فقط بالملك، فقد كان عادة يحضر المجالس التي تعقد بين الملك وقادته وكانت تتخذ فيها القرارات المصيرية بالنسبة لسير الحملة، كما أتيح له أيضًا الوصول للخطابات التي كانت تأتي للمعسكر الملكي، وسماع المناقشات الشفوية لهؤلاء السفراء، أو مصاحبته للملك في زياراته الخاصة مثل جولته داخل القسطنطينية بصحبة الإمبراطور مانويل التي حرمت منها الغالبية العظمي من الجيش الفرنسي[١].

أما الأحداث التي لم يشاهدها أودو بعينيه، فقد حصل عليها من شهود العيان مثل روايته عن هزيمة الجيش الألماني قرب ضوروليوم Dorylaeum (اسكى شهر)[٢]، وانسحابه إلى نيقية فقد أمدته بها السفارة الألمانية التي قابلت لويس السابع عند نيقية، وأيضًا من كونراد الثالث Conrad III نفسه[٣]. فجاء بذلك وصفه دقيقًا وحيًا لحملة لويس السابع الصليبية منذ بدايتها وحتى وصولها إلى أنطاكية.

وبهذا يتضح لنا مدى أهمية هذا المصدر الذي كان صاحبه مشاركًا في هذه الحملة؛ فذكر العديد من تفاصيل الأحداث التي لم تذكرها المصادر الأخرى أو أشارت إلى بعضها بصورة عابرة، فذكر حوادث عنف الألمان أثناء عبورهم الأراضي البيزنطية، كما انفرد بذكر شرط مانويل الخاص باسترداد الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى مقابل تقديم المساعدة البيزنطية للقوات الفرنسية أثناء عبورها، وتناول موقف الجيش الفرنسي من ذلك الشرط خاصة الحزب المعادي للدولة البيزنطية، كما أشاد أودو رغم عدائه للبيزنطيين بحسن معاملة الإمبراطور البيزنطي للملك لويس السابع واستمراره

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 18-19.

(٢) ضوروليوم، مدينة تقع في فريجيا، وتتحكم في الطرق الهامة الممتدة شمال آسيا الصغرى وجنوبها الشرقي والغربي، واحتلت مكانة هامة في الفترات البيزنطية، وشهدت هزيمة قوات قليج ارسلان الأول أمام صليبيي الحملة الأولى.

Ramsay, Historical Geography, pp. 168, 212-213؛ Webster, N., Webster's New Geographical Dictionary, (New York 1922), p. 827.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 20.

في إمداد الفرنسيين بكافة احتياجاتهم رغم قيامهم ببعض حوادث التدمير في ضواحي القسطنطينية، كذلك انفرد بذكر تفاصيل حوادث العنف التي وقعت بين الفرنسيين والبيزنطيين بعد عبور الجيش الفرنسي إلى آسيا الصغرى، وما ترتب علي ذلك من قطع المؤن والإمدادات عن الفرنسيين، ثم ما حدث بعد ذلك من اتفاق بين الجانبين.

كما ذكر أودو العديد من المعلومات عن خط سير الجيش الألماني في آسيا الصغرى وهزيمته على يد السلاجقة، وتناول بالتفصيل كذلك خط سير الجيش الفرنسي في هذا الإقليم والصعوبات التي تعرض لها خاصة الهجوم السلجوقي عليه، ثم هزيمته على يد السلاجقة، وفي أثناء ذلك تحدث عن موقف حكام المدن البيزنطية في آسيا الصغرى من الجيش الفرنسي أثناء عبوره، واستمر أودو يقص ما وقع للقوات الفرنسية في آسيا الصغرى حتى رحيل لويس السابع من أضاليا Adaleia[١] إلى أنطاكية ومصير من بقى من جيشه في هذه المدينة، وغير ذلك من التفاصيل، ولكن يؤخذ عليه عدائه الدائم لمانويل والبيزنطيين واتهامه لهم بخيانة الصليبيين في آسيا الصغرى.

يضاف إلى ذلك بعض الحوليات الألمانية والتى قدمت العديد من المعلومات عن الجيش الألماني، كما أنها تعكس وجهة النظر الألمانية فيما يتعلق بالمساعدة البيزنطية، ويأتي في مقدمتها حوليات هيربيبولنس Annales Herbipolenses[٢]وقد عاصر كاتبها الحملة الصليبية الثانية واعتمد في تدوين أخبارها على شهود عيان ومشاركين في الجيش الألماني الذين عادوا إلى وطنهم بعد فشل الحملة الصليبية الثانية، وشهد هؤلاء ما تعرض له الجيش الألماني من صعوبات في آسيا الصغرى انتهت بالقضاء عليه على يد السلاجقة، ودونت هذه الحولية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي[٣].

---

(١) أضاليا (أتاليا Attaleia، أنطاليا Antalya) مدينة وحصن كبير يقع جنوب آسيا الصغرى على ساحل البحر المتوسط، عظيمة المساحة وعامرة بالسكان، وكانت قاعدة للبحرية البيزنطية ومركز للتبادل التجاري مع قبرص والشرق. لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة:

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة / حسن حبشي، ج٣، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ٢٨٧.

ابن بطوطه، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت د.ت)، ص ١٩١؛ لسترنج (كي)، بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والجزيرة وايران وأقاليم آسيه الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، ترجمة/ بشير فرنسيس- كوركيس عواد، (بغداد ١٩٥٤)، ص ١٨٣-١٨٤.

O.D.B., I, pp. 228-229.

(2)Annales Herbipolenses, ed, Pertz, G.H., M.G.H.ss., 16, (Hanover 1859).

(3)Annales Herbipolenses, p. 1

وتحدثت هذه الحوليات عن نصائح مانويل لكونراد الثالث التي أوضح له فيها خطورة اختيار الطريق المار بالمنطقة السلجوقية في آسيا الصغرى، ورفض الملك الألماني نصائح الإمبراطور البيزنطي وأسباب ذلك، وأكدت هذه الحولية على معاملة مانويل الطيبة لكونراد الثالث بالرغم من تجاهله لنصائحه وتقديم الإمبراطور المرشدين للجيش الألماني؛ لإرشاده في آسيا الصغرى.

ثم أوضحت بعد ذلك الصعوبات التي تعرض لها الألمان بعد رحليهم من نيقية،واستعدادات السلاجقة لقتالهم، والعديد من التفاصيل عن معركة ضوروليوم التي انتهت بالقضاء على معظم الجيش الألماني، وانسحاب الأحياء منه إلى نيقية، وهجوم السلاجقة على هؤلاء البؤساء أثناء تراجعهم.

كذلك قدمت هذه الحولية العديد من المعلومات عما وقع لجيش أوتو الفريزي Otto Of Freising في آسيا على يد السلاجقة، والتي نقلها لكاتب هذه الحولية أحد رجال أوتو نفسه وكان قد نجا من قتل السلاجقة[1].

أما حوليات بيلدنس Annales Palidenses[2] فهي بقلم راهب يدعى ثاودوروس Theodoros بدير بيلدنس، عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وتغطي أحداث حوليته الفترة الممتدة من **٣١٢-٥٧٥**هـ/ **٩٢٤-١١٨٢**م، وقد نقل معلوماته عن الفترة السابقة لعصره من العديد من المؤرخين الذين عاصروا هذه الأحداث مع بعض الإضافات التي تحمل أحيانًا وجهة نظره[3].

وقد ذكرت هذه الحوليات أسباب عدم اتخاذ كونراد الثالث بنصائح مانويل، وأشادت في نفس الوقت بحسن معاملة مانويل للملك الألماني خاصة بعد عودته إلى القسطنطينية، والفترة التي قضاها هناك، وعدد الجيش الألماني، ومصير من عاد بعد هزيمة ضوروليوم إلى القسطنطينية.

أما حوليات ماجد بورجنس Annales Magdeburgenses[4] فقد كتبها

(1)Annales Herbipolenses, p. 1

(2)Annales Palidenses, ed., Pertz, G.H., M.G.H.ss. 16, (Hanover 1859).

(3)Annales Palidenses, p. 48.

(4)Annales Magdeburgenses, ed., Pertz, G.H., M.G.H.ss, 16 (Hanover 1859).

أحد رهبان دير القديس يوحنا بمدينة ماجد بروجنس، وقد تناولت الأحداث التاريخية منذ السنة الأولى للميلاد حتى سنة(٥٨٤هـ/١١٨٨م)[١]، وأشارت هذه الحولية إلى الصعوبات التي واجهها الجيش الألماني في آسيا الصغرى، والهزيمة الساحقة في ضوروليوم، التي هلك فيها معظم الجيش الألماني، وما أعقبها من انسحاب إلى نيقية، وخسائر هذا الانسحاب، وأثر هذا على الجيش الألماني.

يضاف إلى ذلك عدد من المصادر اللاتينية التي تناولت حملة الإمبراطور فردريك بربروسا الصليبية، ويأتي على رأسها مصدران شديدا الصلة بعضهما بالبعض أمدا البحث بمادة علمية رائعة وفريدة لم نجدها بهذه الصورة في أي مصدر آخر، أولهما مؤلف أنسبرت Ansbert الذي يحمل عنوان تاريخ حملة الإمبراطور فردريك Historiade Expeditione Friderici Imperatoris[٢]، وقد صاحب أنسبرت فردريك في حملته ويتضح ذلك من خلال وصفه لأحداث الحملة وتفاصيلها، وغير ذلك من المعلومات التي لا يمكن معرفتها إلا لمن شارك فعلاً في هذه الحملة مثل: أسماء القادة المشاركين في الحملة الألمانية الذين ذكرهم في بداية تاريخه، ونص خطاب فردريك إلى ابنه هنري في ألمانيا، ويبدو أنه كان يكتب تاريخه هذا بأمر رسمي من فردريك نفسه الذي هدف توصيل المعلومات عن رحلته إلى الشعب الألماني، ومما يدل على ذلك أن أنسبرت لم يوجه إلى فردريك أي نقد أو لوم على أي تصرف أو عمل من أعماله. ومن المحتمل أن يكون أنسبرت ترك الجيش مباشرًا بعد وفاة فردريك، إذ أنه يتوقف بتاريخه عند هذا الحدث ولا يصف لنا أي شيء وقع بعد ذلك، وربما كان من المبعوثين الذين أرسلوا لإبلاغ هنري في ألمانيا موت أبيه[٣].

وأمد هذا المصدر البحث بالكثير من المعلومات عن جيش فردريك، فتحدث بالتفاصيل عن العلاقة بين إسحاق وفردريك أثناء عبور الجيش الألماني الأراضي

---

(1)Annales Magdeburgenses, p. 105.

(2)Ansbert, Historia deExpeditione Friderici Imperatoris, ed., Chroust, A., M.G.H. SRG., N.S., 5, (Munch 1989).

(٣) لمزيد من التفاصيل عن أنسبرت وتاريخه:

Absbert, Historia , pp. 7-80

البيزنطية، وكيف أن إسحاق لم يلتزم بتعهداته للإمبراطور الألماني، وأطنب في ذكر العوائق التي وضعها إسحاق في طريق الجيش الألماني، ووصف لنا رد فعل فردريك على ذلك، واستيلائه على المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى.

وينفرد أنسبرت بذكر نص خطاب فردريك إلى ابنه هنري، هذا بالإضافة إلى فيض من المعلومات الهامة عن خط سير الجيش في آسيا الصغرى بصفة يومية، وفي كل مدينة على حدة منذ عبوره البوسفور ثم سيره في المنطقة البيزنطية والسلجوقية في آسيا الصغرى، والصعوبات التي اعترضت طريقه، وهجوم القبائل التركمانية والسلاجقة عليه والمعارك التي وقعت بين الطرفين، واستيلاء فردريك على قونية والاتفاق بينه وبين قليج أرسلان الثاني، ثم ما وقع للجيش الألماني من أحداث بعد قونية، وختم حديثه بوفاة فردريك.

أما المصدر الثاني الذي يحمل عنوان تاريخ الحجاج Historia Peregrinorum[1] فهناك من يرى أن انسبرت هو مؤلف هذا العمل أيضًا، في حين يرى البعض الآخر أنه من تأليف شخص آخر والدليل على ذلك اختلاف اللغة والأسلوب وطريقة العرض، فالمؤرخ أنسبرت يصف الأحداث من منظوره ويحكى بلسان الوصف، أما صاحب تاريخ الحجاج فأسلوبه علمي وثائقي أكثر منه وصف، فهو يقدم المعلومة التاريخية بصورة مكثفة ومباشرة أكثر من الوصف والسرد[2].

وكاتب تاريخ الحجاج شخص مجهول عاصر أحداث حملة فردريك لكنه لم يشارك فيها، وربما كان راهب في أحد الأديرة الألمانية، واعتمد في كتاباته على شهود العيان الذين عادوا من جيش فردريك بعد وفاته، وكان واسع الثقافة ، مغرمًا بالأسلوب البلاغي في الكتابة، ينتقي ألفاظه ويكتب أبيات من الشعر ، لكن ذلك لم يشغله عن السعي وراء الحقيقة التاريخية، كما أن تاريخه يمتاز بالبعد عن المبالغة، ونجده أيضًا ينتقد فردريك ويصف اتفاقاته سواء مع البيزنطيين أو مع السلاجقة بشئ من السذاجة،

(1)Historia Peregrinorum, ed., Chroust, A., M.G.H.SRG., N.S.,5, (Munch 1989).

(2)Ansbert, Historia, pp. 70-80

ويعجب ببطولة صلاح الدين وشجاعته، ويبدو أنه كان مترددًا وشبه مجبر على كتابة هذا العمل[١].

وقد أمدنا هذا المصدر بالعديد من المعلومات عن علاقة فردريك بإسحاق إنجيلوس، وكذلك عن خط سير الجيش الألماني في آسيا الصغرى والصعوبات التي تعرض لها، واختلف مع أنسبرت في بعض النقاط مثال ذلك: عندما اتهم أنسبرت البيزنطيين بعدم الالتزام باتفاقية أدريانويل[٢]، وإعداد حكام المدن البيزنطية في آسيا الصغرى القوات العسكرية للهجوم على الجيش الألماني، نجد صاحب تاريخ الحجاج يذكر أن هؤلاء لم يكونوا قوات بيزنطية نظامية، وإنما جماعات من اللصوص وقطاع الطرق، لكنه ركز على خيانة السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني لفردريك. وانفرد بذكر العديد من المدن المدمرة في آسيا الصغرى نتيجة للهجوم السلجوقي، وكان أكثر تفصيلاً من أنسبرت في بعض الأحداث مثل حوادث عنف الجيش الألماني عند مدينة أدريانوبل وكذلك حديثه عن معركة قونية واقتحام المدينة.

يضاف إلى ذلك مؤلف هام كتبه جيوفري فينزوف Geoffrey Vinsovfs[٣]، وقد عاصر هذا الشخص أحداث الحملة وعاش معها خطوة بخطوة منذ بداية استعدادات فردريك لها وحتى وفاة الدوق فردريك-ابن فردريك بربروسا- في عكا سنة (**٥٨٦هـ/ ١١٩٠م**)، ويعد هذا المؤلف من المصادر الأساسية لحملة فردريك؛ لتفصيلاته العديدة ولذكره الهزائم التي حلت بالجيش الألماني[٤].

وانفرد هذا المصدر بذكر السبب وراء اتخاذ فردريك الطريق البحري، وأمدنا بمعلومات عن أحداث مرور الجيش الألماني في الأراضي البيزنطية، ثم الهجوم

---

(1)Historia Peregrinorum, pp. 81-85

(٢) نسبة إلى مدينة أدريانوبل التي وقعت فيها الإتفاقية بين إسحاق انجيلوس وفردريك بربروسا، وهى مدينة في تراقيا تقع على الطريق الحربي العظيم الممتد عبر بلجراد- صوفيا- القسطنطينية.

O.D.B., I, p. 23

(3)Vinsovfs G., Itinerary of Richard I and Others to the Holy Land, (New York 1969).

(٤) عادل عبد الحافظ شحاته، العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي **١١٥٢-١٢٥٠م- ٥٤٧-٦٤٨هـ**، (القاهرة **١٩٨٦**)،ص **١٨-١٩**.

السلجوقي المستمر على الجيش الألماني في آسيا الصغرى، والصعوبات التي تعرض لها أثناء سيره إلى قونية وخداع قليج أرسلان الثاني له، وأشار إلى أثر وفاة فردريك على جيشه.

ومن المصادر اللاتينية الهامة أيضًا كتاب ألبرت دي إكس Albert D'Aix، تاريخ بيت المقدس[1]، وكان ألبرت كاهنًا وأمينًا لخزانة مدينة إكس لاشابل الألمانية، ولم يذهب ألبرت إلى الشرق مطلقًا، لكنه اعتمد في كتابه جزءًا كبيرًا من تاريخه على روايات شهود العيان، وكان معظمهم من الفرسان والجنود الذين لهم دراية كبيرة بالأمور العسكرية، كما أنه اطلع على بعض المراسلات والمراسيم المتعلقة بالحملة الصليبية الأولى، ونقل كذلك عن أصول اندثرت ولم تصل إلينا[2].

ويتميز تاريخه بالتفصيل والدقة والشمولية ، وكتابته بأسلوب سهل مبسط، كما أنه يحتوى على العديد من المعلومات والبيانات التي لم ترد في أي مصدر غيره، ويقدم ألبرت لنا أيضًا الحقيقة التاريخية دون تحيز أو تنميق؛ ولذا يُعد مصدره من أفضل المصادر التي كتبت عن هذه الفترة المبكرة من الحروب الصليبية، لدرجة أن روايته تستحق أن تعامل كرواية شاهد عيان، ومما يدل على صحة وقيمة مصدره، أنه كان العمل الأساسي الذي استقى منه وليم الصوري معلوماته، وفاز كذلك بثقة المؤرخين المحدثين مثل أدوارد جيبون[3].

---

(1)Albert D'Aix, Historia Hierosolymitana, ed. R.H.C. - H.Occ., 4, (Paris 1879)

(٢) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية / جون هيوج هيل لوريتا.ل. هيل، نقله إلى العربية/ حسين محمد عطيه، (الإسكندرية ١٩٩٩)، ص ٢١، حاشية٣.

France, J., Victory in The East, A Military History of the Frist Crusade, (Cambridge 1996), p. 380.

جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، (الإسكندرية ١٩٨٩)، ص ١١- ١٣، السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، (القاهرة ١٩٦٢)، ص٦٦.

(٣) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢١، حاشية ٣.

France, Victory, p. 381.

رنسيمان (ستيفن)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، ج١، (القاهرة ١٩٩٣)، ص ٤٩٣؛السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٧٩، ١٢٩.

وقد أمد هذا المصدر كتابنا ببعض المعلومات فيما يتعلق بالحملة الصليبية الأولى (نقلاً عن جون فرانس John France)، ولكننا اعتمدناعليه بصورة كبيرة فيما يتعلق بحملة سنة ١١٠١م، وقد انفرد ألبرت بذكر الكثير من التفاصيل-بالرغم من احتوائه على بعض المتناقضات- التي لم يذكرها أي مصدر آخر عن هذه الحملة، خاصة أيكهارد أف أورا Ekkhard of Aura، الذي كان شاهد عيانٍ ومشاركًا في هذه الحملة الصليبية، و لم يذكر سوى القليل عنها، فقد أمدنا ألبرت بمعلومات عديدة عن موقف الكسيوس كومنين من الجيش اللومباردي ونصائحه للومبارديين وتقديم المساعدات والمرشدين لهم، وأحداث الشغب التي قام بها هؤلاء في القسطنطينية. وتحدث كذلك عن ترحيب الكسيوس بوليم الثاني كونت نافار William II Count of Nevers[1]. ووليم التاسع دوق إكويتين – أقطانيا- William IX Duck of Aquitaine[2]، وغيرهم من الفرق الفرنسية والألمانية التي وصلت إلى الأراضي البيزنطية بعد ذلك بقليل وانضمت إلى هذه الحملة.

ثم تحدث بعد ذلك عن عبور هذه الجيوش إلى آسيا الصغرى، وخط سيرهم هناك، والصعوبات التي تعرض لها كل جيش على حدة، وخطط السلاجقة للقضاء عليهم، والمعارك التي وقعت بين الجانبين، والقضاء عليهم في النهاية وغير ذلك من التفاصيل عن هذه الحملة الصليبية. ويتميز ألبرت بصفة خاصة عن غيره من الكتاب اللاتينين بعدم تحيزه للصليبيين، وفي أحيان كثيرة يذكر النصائح والخدمات التي قدمها

---

(١) نافار، مدينة هامة وسط فرنسا.

Webster, Geographical Dictionary, p. 827.

(٢) وليم التاسع، هو دوق اكويتين وكونت بواتييه وشاعر من شعراء التروبادور المشهورين، وقد رفض المشاركة في الحملة الأولى بسبب إدعاءات زوجته في مدينة تولوز Toulouse فاستغل غياب ريموند الرابع كونت تولوز Raymond IV Count of Toulouse وأستولى عليها، ولكنه شارك في هذه الحملة الجديدة، وكانت شخصيته تتسم بالتهور والطيش والمرح والاتيان بتصرفات لا تليق بمكانته ومركزه.

- لمزيد من التفاصيل عن وليم التاسع وأهداف مشاركته في الحملة:

Cate, J.L., "A Gay Crusader", B., 16 (1942-1943), pp. 504-5013.

- اكويتين، مدينة هامة في جنوب فرنسا واحتلت مكانة هامة في التاريخ الفرنسي.

-لمزيد من التفاصيل

Webster, Geographical Dictionary, p. 63.

الكسيوس لهم.

أما وليم الصوري وكتابه «تاريخ الأعمال التي أنجزت فيما وراء البحار»[1]، فقد كان عظيم الفائدة بالنسبة لموضوع البحث. ولد وليم في مدينة بيت المقدس سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)، وبعد أن تلقى قدرًا من التعليم هناك تنقل بين مدن فرنسا وإيطاليا طلبًا للعلم، فدرس اللاهوت والفلسفة والرياضيات والقانون وغيرها من العلوم، وعاد إلى الشرق حيث تقلَّد عدة مناصب كان آخرها رئيس أساقفة مدينة صور، ومستشارًا لمملكة بيت المقدس، وكلفه الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م) بوضع هذا الكتاب[2].

ويحتل مؤلف وليم مكانة كبيرة بين مصادر تاريخ الحروب الصليبية، كما أنه يغطي فترة طويلة تمتد حتى سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وقد اعتمد وليم في كتابه تاريخ الفترة السابقة عليه على أعمال من سبقه من المؤرخين اللاتينين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية، هذا بالإضافة إلى كتابات المؤرخين المسلمين الذين أمده عموري الأول بأعمالهم[3].

وتتصف كتابة وليم وأحكامه بالنزاهة والإنصاف، بحيث يمكن القول بأنه لم يخضع للتعصب العنصري أو الديني أو الطبقي على النحو الذي كان سائدًا عند غالبية الكتاب الغربيين المعاصرين، بل نجده أحيانًا يمدح بعض البيزنطيين وكذلك المسلمين، ويتسم أسلوبه بالتزام الدقة والروعة والجمال، إذ يعتبر من أحسن كتاب العصور الوسطى صياغةً وأسلوبًا، ونتيجة لهذا كله اعتبر عمله المصدر الوحيد لكل

---

(١) تم الاعتماد على الترجمة العربية التي قام بها حسن حبشي، وليم الصوري، الحروب الصليبية.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن وليم الصوري:

بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ٢٦ حاشية ١.

نظير حسان سعداوي، ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية، (القاهرة ١٩٥٧)، ص ٥-٨؛

المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، (القاهرة ١٩٦٢)، ص ٤٠-٤٦.

Krey, A.C., "William of Tyre, The making of An Historian in the Middle Ages", SP., 16 (1941), pp. 149-166.

(٣) عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليام الصوري" مجلة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية- ٢١ (١٩٦٧)، ص١٨١؛ حسين محمد عطيه، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ١١٧١-١٢٦٨م/ ٦٦٦هـ، (الإسكندرية ١٩٨٩)، ص ٣٦؛ السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص ١٢٨-١٢٩.

تاريخ القرن الأول من الحروب الصليبية[1].

وقد أمدنا بالعديد من المعلومات عن هذه الحملة بعضها يتعلق بحمله العامة، والبعض الآخر يتعلق بالجيوش النظامية وموقف الكسيوس من قادتها، وأحداث هذه الحملة في آسيا الصغرى والصعوبات التي واجهتها هناك، وكذلك مادة علمية غاية في الأهمية عن الحملة الصليبية الثانية، والصعوبات التي واجهت كونراد الثالث في طريقه إلى قونية، وهروب المرشدين البيزنطيين، واستعدادات السلاجقة للتصدي له، وهزيمته قرب ضوروليوم، والقضاء على معظم جيشه، وكذلك هزيمة لويس السابع، وأثر هذه الهزائم على قوة الحملة الصليبية.

واستفاد البحث أيضًا من كتاب المؤرخ المجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس[2]. وصاحب هذا المؤلف فارس نورماني يتبع بوهيموند Bohemond، ويعتبر مصدره عن الحملة الصليبية الأولى من المصادر الأساسية التي لا غنى عنها لمعرفة تاريخ الفترة الممتدة من سنة (٤٨٤-٤٨٨هـ/١٠٩٥-١٠٩٩م)، فقد عاصر هذه الفترة وكان شاهد عيانٍ لمعظم أحداثها، ودون بعضها وقت حدوثها، ويمثل رأيه رأي المحارب العادي، وتمتاز روايته بالدقة، ومما يدل على ذلك رجوع العديد من المؤرخين -الذين جاءوا بعده وكتبوا عن هذه الفترة- إليه، أمثال روبرت الراهب، وبطرس توديبود[3].

وأمدنا هذا المصدر بمعلومات عديدة عن موقف الكسيوس من القادة الصليبيين، حتى أخذ منهم القسم والتعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، وذكر وعود الكسيوس لهؤلاء القادة مقابل تعهدهم له، وتناول بالحديث أيضًا القضاء على حملة العامة في آسيا الصغرى، وحصار القادة الصليبيين لنيقية ومعركة ضوروليوم، وأشاد بمهارة السلاجقة القتالية في هذه المعركة، وأشار إلى مظاهر معاناة الصليبيين بعد معركة

---

(١) عمر توفيق، وليام الصوري، ص١٩٢؛ باركر (ارنست)، الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، (القاهرة د.ت)، ص ١٩٤.

(٢)المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة ١٩٥٨).

(٣) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص ١٨ حاشية١؛ جوزيف نسيم، العرب والروم، ص٢-٣؛ باركر، الحروب الصليبة، ص١٨٨؛ السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص٣٦

ضوروليوم وحتى وصولهم مدينة مرعش، ولكن يؤخذ عليه تحيزه ضد الكسيوس إذ يتهمه بالفرح عندما علم بكارثة حملة العامة على آسيا الصغرى.

هذا إلى جانب كتاب «تاريخ الحملة إلى القدس» لمؤلفه فوشيه الشارتري Fulcher de Charteres[1]، الذي ولد في مدينة شارتر الفرنسية، ثم أصبح كاهنًالهذه المدينة وحضر مجمع كليرمونت وذهب مع الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق، وبعد عبور الجيش الصليبي آسيا الصغرى صاحب بلدوين Baldwin شقيق جودفري دي بوايون Godfrey de Bouillon، الذي انشق عن الجيش الرئيسي وزحف شرقًا عبر الفرات وأسس إمارة الرها الصليبية، وظل ملازمًا لبلدوين حتى انتقل إلى بيت المقدس بعد وفاة أخيه جودفري وتولى حكمها، وظل فوشيه هناك حتى وفاته عن عمرٍ يناهز الثمانية والستين عامًا[2].

وتحدث فوشيه عن أسباب ضرورة تعاون الصليبيين مع الكسيوس، وآثر ما وقع لحملة العامة في آسيا الصغرى على الجيش الصليبي النظامي، وانفرد بذكر هدف قليج أرسلان الأول (**١٠٩٢-١١٠٦م**) من المحاولة الهجومية على الصليبيين المحاصرين لنيقية، وكذلك أمدنا برواية حية رائعة عن معركة ضوروليوم من وجهة نظر الرجل العادي في المعسكر الصليبي، وانفرد أيضًا بذكر أسلوب القتال السلجوقي الذي أصاب الصليبيين بالفزع، وأمدنا كذلك بمعلومات عديدة عن المعاناة التي واجهت الصليبيين في آسيا الصغرى بعد ضوروليوم ، كذلك أشار فوشيه إلى ما وقع لحملة سنة (**١١٠١م**) من تدمير على يد السلاجقة، واستيلائهم على ثروات الصليبيين.

كذلك اعتمدنا فى تأليف هذا الكتاب على عدد من المصادر اليونانية، يأتي في مقدمتها كتاب «الألكسياد»للأميرة أناكومنينا، الابنة الكبرى للإمبراطور الكسيوس كومنين، التي ولدت سنة (**٤٧٦هـ/١٠٨٣م**)، وتزوجت من القيصر نقفور برينييوس، وخططت لحصول زوجها على العرش عند وفاة الكسيوس، وعلى أثر فشل هذه

---

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس (**١٠٩٥-١١٢٧م**)، ترجمة من اللاتينية/ فرنسيس ريتا ريان، ترجمة إلى العربية/ زياد جميل العسلي، (الأردن **١٩٩٠**).

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص **١٠**؛ السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ص**٣٨**.

المحاولة انسحبت إلى الدير، وهناك كتبت «الألكسياد» الذي تناول حياة وانجازات أبيها الكسيوس كومنين[١].

واعتمدت أناكومنينا في كتابة مؤلفها على العديد من الحوليات التي وجدتها في الدير وكتبها الرهبان الذين خدموا كجنود في جيش الكسيوس، واعتمدت أيضًا في كتابها على المادة التي وضعها زوجها عن حياة والدها، كما اعتمدت على ما سمعته من والدها ووالدتها ورجال البلاط الذين عاصروا الأحداث، كما أن صلاتها العائلية قد ساعدتها في الوصول إلى العديد من الوثائق المحفوظة في الأرشيف الإمبراطوري من خطابات ومراسيم إمبراطورية، واطلعت أيضًا على مؤلفات العديد من المؤرخين السابقين مثل أتالياتس وغيره[٢].

ورغم تحيز أنا كومنينا لوالدها والصفة الملحمية لتاريخها، ووجود بعض الفجوات في معرفتها، إلا أن تاريخها يُعد دراسة جيدة، حاولت من خلالها بوضوح أن تخبرنا بالحقيقة وتكتب تاريخًا أكثر منه ملحمة، وكان العمل الأساسي لمعرفتنا لهذه الفترة المهمة التي شهدت استعادة بيزنطة لقوتها، ولقاء الدولة البيزنطية بالغرب الأوربي عبر الحملة الصليبية الأولى، وعلاقة الكسيوس بالقوى السلجوقية وغيرها من القوى المحيطة، وقدم لنا وجهة نظر بيزنطية معاصرة بالنسبة للحملة الصليبية الأولى، صححت ما جاء في المصادر الغربية المعاصرة من تعصب ضد الكسيوس[٣].

وتمَّ الاعتماد في الجزء الخاص بعلاقة السلاجقة بالدولة البيزنطية على الترجمة الإنجليزية التي قام بها Sewter، أما الجزء الخاص بالحروب الصليبية فقد تم الاعتماد فيه على الترجمة العربية التي قام بها سهيل زكار ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية[٤].

---

(1)Anna Comnena, The Alexiad, English Trans. Sewter, E.R.A., (London 1969), pp. 12-14

(2)N.E.B., I, p. 303.

(3)Anna Comnena, Alexiad, pp. 14-16.؛ Dictionary of the Middle Ages, (New York 1986). I, p. 303.؛Ostrogorsky, G., History of Byzantine state, English Trans. Hussey, J.M., (London 1957), p. 311.

(٤) أنا كومنينا، الالكسياد، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ سهيل زكار، ج٦، (دمشق ١٩٩٥).

وقد زود هذا المصدر كتابنا بمعلومات هامة عن تمرد نقفور برينييوس Nicephoros Bryennios[(١)]، وأوضاع الدولة البيزنطية أثناء ذلك، والاستعانة البيزنطية بالسلاجقة والمكاسب التي حققها هؤلاء من القضاء على تمرده، ثم تحدَّثَتْ أنا عن أحوال الدولة البيزنطية عند اعتلاء الكسيوس العرش الإمبراطوري، وتناولَتْ بالتفصيل علاقته مع الحاكم السلجوقي في نيقية سليمان بن قتلمش ومع خلفائه الذين شكل بعضهم خطورة كبيرة على الدولة البيزنطية، وأبرزَتْ أنا موقف الكسيوس من حملة العامة وقادة الجيوش النظامية ، وغير ذلك من المعلومات عن الحملة الصليبية الأولى، وأشارت أيضًا إلى موقف الكسيوس من الجيش اللومباردي، وما قدمه للومبارديين من نصائح ومساعدات، وخط سيرهم في آسيا الصغرى وهزيمتهم.

ومن المصادر اليونانية الهامة أيضًا مؤلف يوحنا كيناموس John Kinnamos الذي يحمل عنوان أعمال يوحنا ومانويل كومنين[(٢)]، وولد كيناموس بعد سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)، وتوفي بعد سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)، وينتمي لعائلة بيزنطية لامعة، وفي سن مبكرة التحق بالخدمة في البلاط الإمبراطوري وعمل سكرتيرًا خاصًا لمانويل، وصاحبه في الكثير من حملاته العسكرية، وأصبح من المقربين إليه فيقول «بأنه كان يناقش مسائل الفلسفة الأرسطية معه»[(٣)].

ويعتبر كتاب كيناموس على جانب كبير من الأهمية خاصةً بالنسبة لعصر مانويل وأحداثه؛ ذلك لأنه كان شاهد عيانٍ للكثير من أحداث هذه الفترة، كما أنه كان -بحكم وظيفته سكرتيرًا إمبراطوريًا- قد اطلع على العديد من الوثائق الهامة المحفوظة بالقصر

---

(١) نقفور برينييوس، ينتمي لأسرة برينييوس الشهيرة التي لعبت دورًا هامًا في تاريخ الدولة البيزنطية خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وتولى أفرادها مهام الحكم والقيادة العسكرية وكان أبرزهم نقفور هذا حاكم مدينة دراخيوم الذي أعلن تمرده سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، وهو حفيد نقفور برينييوس زوج أنا كومنينا وكان قد شارك من قبل في موقعة مانزيكرت وخدم كحاكم لبلغاريا.

ولمزيد من التفاصيل عن نقفور برينييوس:

Ostrogorsky, Byz. State, p. 307؛ O.D.B., I., pp. 328—331.

(2)Kinnamos, J., Deeds of John and Manuel Comnenus, English Trans. Brand, Ch., (New York 1976).

(3)Kinnamos, Deeds, pp. 2-3؛ O.D.B., 2, p. 113.

أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية، أثناء الحملة الصليبية الثانية في ضوء وثائق كيناموس (الإسكندرية ١٩٨٨)، ص ٧.

الإمبراطوري ، وتمتاز كتابته بالدقة والمعرفة الواسعة، ويلاحظ فيها إعجابه الشديد بمانويل وأعماله العسكرية التي يضفى عليها كيناموس نوعًا من البطولة الأسطورية[1].

وقدم هذا المصدر العديد من المعلومات عن علاقة مانويل بالسلاجقة منذ بداية حكمه، والكثير من التفاصيل عن حوادث عنف الجيش الألماني أثناء عبوره الأراضي البيزنطية، وانفرد كيناموس بذكر الخطابات المتبادلة بين مانويل وكونراد الثالث أثناء عبور الملك الألماني أراضيه، والتي لم يشر إليها أي مصدر سواء كان يونانيًا أو لاتينيًا تناول الحملة الصليبية الثانية، وأشار أيضًا إلى علاقة مانويل بلويس السابع، ثم تحدث بعد ذلك عن عبور الألمان إلى آسيا الصغرى، وهزيمتهم على يد السلاجقة وعودة الملك الألماني إلى القسطنطينية، وغير ذلك من المعلومات الهامة عن الحملة الصليبية الثانية.

ولكن نلاحظ في حديث كيناموس عن الصليبيين كراهيته لهم، فهو على سبيل المثال يتهمهم بأنهم جاءوا للسيطرة على القسطنطينية، وإسقاط الدولة البيزنطية، فهذا هو هدف حملتهم.

أما نيقتاس الخونياتي Nicetas Choniates فقد ولد في مدينة خوناي Chonai[2]سنة (١١٥٥م)، وفي التاسعة من عمره أرسله والده إلى القسطنطينية للدراسة، وبعد عدة سنوات التحق بالخدمة في البلاط الإمبراطوري كسكرتيرًا إمبراطوريًا، ولمع نجمه سريعًا تحت حكم أسرة إنجيلوس، وتولى العديد من المناصب الهامة منها: حكم مدينة فيليوبوليس Philippopolis[3]، وأمين للخزانة. ولكن بعد

---

(١) أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية، ص ٧-٨.

محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول **١١٤٣-١١٨٠**م، (الإسكندرية **١٩٨٤**)، ص**١٣-١٤**.

(٢) خوناي، مدينة في منطقة فريجيا بآسيا الصغرى، وكانت قاعدة وحصن لثيم تراقسيون Thrakesion وربما عاصمته.

O.D.B., I, p. 123.

(٣) فيلوبوليس، مدينة تقع شمال تراقيا، كان يحكمها نيقتاس أثناء عبور الحملة الصليبية الثالثة واعتبرها البعض من أعظم ثلاث مدن بيزنطية.

=

سقوط القسطنطينية على يد اللاتين سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م)، فقد خونياتس منصبه وممتلكاته ورحل إلى مركز الإمبراطورية الجديد في نيقية وظل هناك حتى وفاته[١].

ويتناول كتاب نيقتاس الخونياتي الفترة الممتدة من سنة (٥١٢-٦٠٣هـ/ ١١١٨-١٢٠٦م)، وأرخ فيه للأباطرة البيزنطيين الذين عاصروا هذه الفترة، وذيله بملحق يتناول الآثار التي دمرها اللاتين بعد الاستيلاء على القسطنطينية، ومن الواضح أن المناصب التي تقلدها نيقتاس مكنته من الاتصال بكبار رجال عصره، الذين كانوا يحركون الأحداث كالقادة العسكريين ورجال البلاط، والحصول منهم على المعلومات الهامة، هذا بالإضافة إلى أنه قد استقى بعض مادته من الروايات الشعبية التي تناقلها البعض، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الدولة البيزنطية بالحملة الصليبية الثانية. وبالرغم من أن نيقتاس لم يراع التسلسل الزمني أو تحديد سنوات وقوع الأحداث، وميله للاستطراد إلا أنه قدم لنا مادة تاريخية طيبة في مجملها، ويُعد كتابه وثيقة تاريخية هامة لهذه الفترة[٢].

وقد أمد هذا المصدر الكتاب بالعديد من المعلومات عن هجمات السلاجقة على آسيا الصغرى منذ بداية عهد مانويل ورد فعله على ذلك، وتحدث عن موقف مانويل من الحملة الصليبية الثانية وقلقه من مشاركة كونراد الثالث في هذه الحملة، وما قام به من استعدادات لتأمين عاصمته، وأحداث مرور الجيش الألماني في الأراضي البيزنطية. وإذا كنا قد وجدنا كيناموس على عداء مع الصليبيين ومتحيزًا إلى جانب مانويل، نجد نيقتاس على العكس؛ فهو يتهم مانويل بأنه حرض السلاجقة على قتالهم.

وكذلك زود نيقتاس الخونياتي البحث بمعلومات هامة عن وضع الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى بعد معركة ميريوكيفالون، وموقف إسحاق من فردريك وجيشه أثناء

=

لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة:

O.D.B., 3, pp. 1654-1655.

(1)Choniates, N., O City of Byzantium: Annales of Nicetas Choniates, English Trans. Magoulias, H., (Detroit 1984), pp. 10-11؛ Ostrogorsky, Byz. State, P. 312؛ D.M.A., I, pp. 133-134

(2)D.M.A., 2 p. 134.

سعيد عمران، السياسة الشرقية، ص ٨-١١.

عبوره أراضيه، وتطور العلاقات بين الجانبين حتى تم الاتفاق بينهما، وأشار إلى مرور جيش فردريك في آسيا الصغرى وتصدي السلاجقة له وانتصاره عند قونية، لكنه يشير إلى أن الألمان أقاموا معسكرهم خارج المدينة، ولم يدخلوها عكس ما ذكرته المصادر التاريخية الأخرى[١].

هذا إلى جانب عدد آخر من المؤرخين اليونانيين الذين استفاد البحث من كتاباتهم بصورة كبيرة، ومنهم جورج كدرينوس Georg Cedrenus[٢]، وهو مؤرخ بيزنطي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي، ويغطي تاريخه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة وحتى سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، وقد اعتمد في أحداث الفترة السابقة عليه على من سبقوه من المؤرخين مثل ثيوفانس وغيرهم[٣]،وينفرد كدرينوس بذكر بداية الهجوم السلجوقي على منطقة أرمينية في آسيا الصغرى، وما أعقب ذلك من تنازل بعض حكام هذه المناطق عن ممتلكاتهم للأباطرة البيزنطيين، ثم يتحدث بعد ذلك عن الهجمات التي شنَّها السلاجقة على آسيا الصغرى، مثل حملات قتلمش والأمير حسن وإبراهيم إينال وغيرهم.

أما المؤرخ البيزنطي ميخائيل أتالياتس Michaelis Attliatae، فهو رجل من أسرة معتدلة، إلا أنه أحرز مكانة بارزة في البلاط الإمبراطوري، وتولى عدد من المناصب الهامة، فعمل كسناتور وقاضيًا عسكريًا، وحظى بالعديد من الألقاب، وكانت لديه ممتلكات واسعة في القسطنطينية و مدن أخرى[٤].

وإلى جانب تاريخه[٥] له عدة مؤلفات منها كتاب هام في القانون، واستفاد أتالياتس من وظيفته القضائية ومشاركته في الحملات العسكرية في كتابة تاريخه، فاتسم بالدقة والتفكير في أسباب الأحداث والتحليل، ولكن يؤخذ عليه تحيزه للإمبراطور نقفور

---

(1)Choniates, Annales. P. 228.

(2)Cedrenus, G., Historiarum Compendium, ed. Bekker, C.S.H.B., (Bonn 1839).

(3)O.D.B., 2, p. 1118.

(4)D.M.A., I, p. 304؛O.D.B., I, p. 229؛

(5)Attaliatae,M., Historia, ed. Becker. I., C.S.H.B., (Bonn 1853)

الثالث بوتانياتس Nichephoros III Botaneiates[١].

وأمد تاريخ أتالياتس البحث بمادة علمية غزيرة عن هجمات السلاجقة على آسيا الصغرى، وما تلى موقعة مانزيكرت من قيام العديد من حركات التمرد، واستعانة الأباطرة البيزنطيين والمتمردين بالأمراء السلاجقة وقواتهم العسكرية، وما حققه السلاجقة من جراء ذلك من مكاسب عديدة في آسيا الصغرى.

أما نقفور برينييوس Nichephoros Bryennios ومؤلفه الذي يحمل عنوان «كتب التاريخ الأربعة Les Quatre Livres des Histories»[٢]، فقد كان زوج أناكومنينا، وحفيد برينييوس الثائر، ولد في أدريانوبل، وشارك في عدة حملات مع الكسيوس، وكان متحدثًا مقنعًا وبليغًا، اعتاد الكسيوس اللجوء إلى فصاحته وقوة إقناعه ضد خصومه، وحاولَتْأنا توليته العرش قبل وبعد وفاة الكسيوس لكنها فشلت، ورغم عدائه للإمبراطور يوحنا الثاني كومين John II Komnenos (١١١٨-١١٤٣م)-الذي خلف الكسيوس-إلا أنه شاركه في حملاته ضد مدينة أنطاكية التي توفي بعدها[٣].

وذكر هذا المصدر العديد من المعلومات عن الهجمات السلجوقية الأولى على آسيا الصغرى، ثم تحدث عن التوغل السلجوقي في هذه المنطقة بعد موقعة مانزيكرت، واستعانة الأباطرة البيزنطيين بالسلاجقة للقضاء على حركات التمرد، وما ترتب على ذلك من سيطرة السلاجقة على أجزاء عديدة من آسيا الصغرى، وانفرد بذكر هجوم السلاجقة على القائد الكسيوس كومنين-الإمبراطور الكسيوس فيما بعد- أثناء عودته

---

(١) نقفور الثالث بوتانياتس، ينتمى لأسرة بوتانياتس الشهيرة التي تولى افرادها مهام الحكم والقيادة العسكرية في الدولة البيزنطية، وكان قائدًا لثغر الاناتوليك في آسيا الصغرى، ثم أعلن تمرده سنة **٤٦٩**هـ/**١٠٧٧**م وتولى العرش الإمبراطوري ويدعى أنه يعود نسبة إلى أسرة فوقاس الشهيرة.

Scylitzae, I., Exoerpta ex Breviaria Historica Ioannis Scylitzae Curopalatae, in: Cedrenus, 2 p. 726؛ Zonaras, J., Epitomae Historiarum, ed. Buttnerwobst, C.S.H.B., 3, (Bonn 1839), p. 715؛ O.D.B., I, 3 pp. 314-1479.

(2)Bryennios, N., Les Quatre Livers des Histoires, French Trans. Gregoire, H., B., 23 (1953), pp. 469-530, 27 (1957), pp. 881-926.

(3)Anna Comnena, Alexiad, p. 14؛ ODB, I, p. 331.

مع أسيره روسل باليل Russell Baillieul[1]. وكذلك محاولة بوتانياتس لكسب برينييوس إلى جواره ،بعد قيامه بالتمرد، بالوسائل السلمية وفشله في ذلك، وغير ذلك من حوادث التمرد.

يضاف إلى ذلك عدد من المصادر العربية والسريانية فضلاً عن المراجع والمقالات المتخصصة التي أفادت في عرض العديد من القضايا التي تناولها موضوع البحث سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو اللغة الألمانية.

******

(١) روسل باليل، قائد نورماني ينتمي لأسرة نورمانية نبيلة، التحق بالخدمة في الجيش البيزنطي في عهد الإمبراطور رومانوس الرابع (١٠٦٩-١٠٧١م) لكنه عمل بعد هزيمة مانزيكرت على استغلال الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين لإقامة دولة نورمانية في آسيا الصغرى.

لمزيد من التفاصيل:

سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج١، (القاهرة ١٩٩٣)، ص ٧٧؛ سميرة يونس عبد القادر، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، (القاهرة ١٩٩٥)، ص ٨٣؛ نبيلة مقامي، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان في جنوب إيطاليا وصقلية من ١٠٢٥م – ١١٩٧م، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ص ٨٣.

الفصل الأول

آسيا الصغرى وقيام الحركة الصليبية

- الهجوم السلجوقي على آسيا الصغرى في العصر البيزنطي.
- موقعة مانزيكرت مدخل للحروب الصليبية.

الهجوم السجوقي على آسيا الصغرى في العصر البيزنطي:

كان ظهور الأتراك السلاجقة على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى، في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي نقطة تحول كبيرة في تاريخ الدولتين الإسلامية والبيزنطية؛ ذلك لأن السلاجقة وهم حديثوا العهد بالإسلام بعثوا الحياة في الدولة الإسلامية من جديد بعدما لحقت بها مظاهر الضعف والتفكك، ومنحوها القوة والنشاط.

وفي الوقت نفسه عجَّل ظهور الأتراك السلاجقة بانكماش نفوذ الدولة البيزنطية، خاصة بعدما اتضحت مظاهر الضعف في شتى أرجائها، وكانوا بمثابة الضربة القاصمة لظهر هذه الدولة، إذ اغتنموا فرصة ضعفها وتفككها، فتوسعوا على حسابها واستولوا على أراضيها[1]، ذلك أنه حدث خلال العقد الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي أن اتجه الأمير السلجوقي جغري بك Chaghri Beg[2] على رأس **٣** آلاف فارسٍ من

---

(1)Vryonis, S., "Byzantium: the Social Basis of Decline in The Eleventh Century" in: Idem, Byzantium: its Internal History and Relations with Muslim World, (London 1971), p. 159؛ Cahen, C., "An Introduction to the Frist Crusade" in: Idem, Turcobyzanitina et Oriens Christianus, (London 1974), p. 9.

(**٢**) يذكر متى الرهاوي أن بداية الهجوم السلجوقي على آسيا الصغرى كان سنة **٤٠٩**هـ/**١٠١٨**م ويؤيده في هذا الرأي الباحث التركي إبراهيم كفسوجلي، في حين يرى بعض الباحثين المحدثين ويأتي على رأسهم فريونس، أن أول ظهور للأتراك السلاجقة كان بين سنتى **٤٠٧**هـ/**٤٠٨**هـ/ **١٠١٦-١٠١٧**م، ويؤيده في هذا الرأي تومانوف، ويخالف كاهن هذه الآراء، إذ يرجع هذا الظهور إلى فترة متأخرة وذلك سنة **٤٠٢**هـ/**١٠٢٩**م.

Matthieu D'Edesse, Chronique de Matthieu D'Edesse (962-1136) avac la Continuation de Gregoire le Pretre Jusqu'en 1162, French Trans. Dulaurier, M.E., (Paris 1858), 41؛ Kafesoglu, I., A History of the Seljuks, English Trans. Leiser, G., (U.S.A. 1988) p. 29؛ Vryonis, S., The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and The Process of Islamization from the Eleventh Through the Fifteenth Century, (California 1971), p. 80؛ Toumanoff, C., "The background to Mantzikert" I.C.B.S., (September 1966), p. 425؛ Cahen, C., Per-Ottoman Turkey, English Trans. Williams, J.J., (London 1968), p. 67.

إقليم ما وراء النهر، ووصل إلى أرمينية في شرق آسيا الصغرى، وأغار على منطقة بحيرة وان أو فان Van[1] في إقليم فاسبوراكانVaspuracan [2]، وسحق جيش الأمير سنخريم الأرميني Senecherim[3]، وكذلك هزم جيش الملك الأرميني سمباط الثالث Sambat III (١٠٢٠- ١١٤٢م) [4]، وقتل قائده واساك باهلاوني Wasak Pahlavn، وكان لرماة السهام الأتراك دور كبير في تحقيق ذلك النجاح المؤزر على الأرمن[5].

ثم واصل جغري بك هجومه شمالًا، ودخل منطقة أيبيريا Iberia[6]، فانسحبت القوات الأيبيرية من أمامه، فشجعه ذلك على القيام بالعديد من العمليات العسكرية في

---

(١) بحيرة وان أو فان أو آرجيش، نسبة إلى مدينة أرجيش Ardiech التي تقع جنوبها البحيرة- تقع هذه المدينة شرق مدينة خلاط- وتعد من أشهر بحيرات أرمينية.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق/ فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت، ١٩٩٠)، ج١، ص٤١٦-١٤٧؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، (باريس ١٨٤٠)، ص٣٩٣. لسترنج، بلدان الخلافة ، ص ٢١٧- ٢١٨.

(٢) فاسبوراكان أو بسفرجان، هي كوره بأرض أران، وأران هذه ولاية كبيرة من ولايات أرمينية.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤١٦-٤١٧، ٥٠١.

(٣) سنحريم، أخر أمراء أسرة أردزروني في فاسبوراكان.

فايز نجيب إسكندر، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة (١٠٠٠-١٠٧١م/ ٣٩٢-٤٦٣هـ) من مصنف أريستاكيس اللسيتيقرتي، (الإسكندرية ١٩٨٣)، ص ٢٠٥، حاشية ٤٠٣.

(٤) سمباط الثالث، هو الابن الأكبر للملك كاكيك الأول (٩٨٩- ١٠٢٠م)، الذي يعد عصره من أزهى عصور أرمينية، واعتلى العرش خلفًا لأبيه.

لمزيد من التفاصيل عن سمباط الثالث:

لستارجيان (ك.ل.)، تاريخ الأمة الأرمينية، (الموصل ١٩٥١)، ص ١٩٢-١٩٣؛ عثمان الترك، صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية، الأرمن في ماضيهم وحاضرهم منذ أقدم عصور التاريخ حتى منتصف القرن العشرين، (حلب ١٩٦٠)، ص ١٢١-١٢٢؛ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، (بيروت ١٩٨٢)، ص ٢١٨.

(5)Kaegi, W.E., "The Contribution of Archery to The Turkish Conquest Anatolia" Sp., 39 (1964), p. 102.

(٦) أيبيريا، تقع شمال أرمينية، يحدها من الغرب بحر بنطس (البحر الأسود)، ومن الشرق بحر قزوين، وتؤلف جزءًا من جورجيا الحالية جهة الشرق.

السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م، (القاهرة ١٩٦٠)، ص ٥١٠.

O.D.B., I, p. 971.

تلك الجهات، ثم عاد إلى بلاد ما وراء النهر بعد هذه الغزوة الناجحة[1]. ويبدو أن هذه الغزوة كانت محاولة استكشافية لآسيا الصغرى تمهيدًا للقيام بحملة عسكرية هناك، أو محاولة لإيجاد أراضي جديدة تصلح لانتقال السلاجقة إليها[2].

كان لنجاح غزوة جغري بك في آسيا الصغرى أهمية كبيرة؛ حيث شجعت السلاجقة على شنِّ هجمات أخرى على الأرمن، خاصة بعدما تأكد لهم ضعف المقاومة الأرمينية في هذه الجهات[3]. وعند ذلك أدرك حاكم فاسبوراكان عجزه عن التصدي لجحافل السلاجقة، فتنازل عن أملاكه سنة (**٤١٢هـ/١٠٢١م**) للإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني Basil II (**٩٧٦-١٠٢٥م**)، لتتولى الدولة البيزنطية الدفاع عنها ضد السلاجقة[4].

بيد أن وقوع فاسبوراكان تحت الحكم البيزنطي لم يكن ليحميها من التهديد السلجوقي، ذلك أنها لم تلبث أن وقعت فريسة للهجمات السلجوقية المستمرة، التي عجز البيزنطيون أنفسهم عن التصدى لها، ومما يدل على ذلك العجز ما ذكر الأمير السلجوقي قتلمش –ابن عم طغرلبك- عن إحدى حملاته هناك، بأن: «هذه البلاد

---

(1)Matthieu D'Edesse, Chronique, pp. 41-42؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 29.

(2)Kafesoglu, Seljuks, p. 29.

سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، (دمشق **١٩٧٥**)، ص**٧٤**.

(3)Kafesoglu, Seljuks, p. 29

(4)Cedreenus, Historiarum Compendium, p. 464؛Laurent, J., Byzance et Les Turcs Seldjoucides dans L'Asie Occidentale Jusqu'en 1081, (Paris 1913), p. 17؛ Der Nersessian, S., Armenia and The Byzantine Empire, (Cambridge 1944), pp. 11-12؛ Idem, The Armenians (London 1969) p. 39؛ Toumanoff, Mantzikert, p. 425.

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ترجمة/ غريغوريوس صليبا شمعون، (دمشق **١٩٩٦**)، ج**٣**، ص**١٠٠**.

يرجع البعض هذا التنازل أيضًا إلى ضغط باسيل الثاني على الحاكم الأرميني.

Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 67-68.

فايز نجيب أسكندر، غزو الإمبراطورية البيزنطية لأرمينية سنة **١٠٤٥**م/**٤٣٧**هـ، (الإسكندرية **١٩٨٨**)، ص**١٦**.

يحكمها النساء»، وذلك تحقيرًا لشأن الجنود الذين قاتلهم هناك[1]، حيث قام قتلمش هذا بعدة حملات على منطقة فاسبوراكان[2]،بل إنه في إحدى حملاته ضد مدينة الموصل، حاول الرجوع إلى بلاد ما وراء النهر عن طريق فاسبوراكان فرفض حاكمها البيزنطي السماح له بعبور أراضيه، واشتبك معه في معركة فاصلة انتهت بانتصار قتلمش وأسر الحاكم البيزنطي، وقد أغرى قتلمش بعد عودته من هذه الحملة طغرلبك بمواصلة الغزو في تلك الجهات الخصبة الغنية[3].

على أي حال فقد شهدت الفترة التالية زيادة الضغط السلجوقي على آسيا الصغرى، ويبدو أن ما شجع السلاجقة على ذلك ما قام به الأباطرة البيزنطيون من ضم أرمينية للسيادة البيزنطية سنة (**٤٣٧**هـ/**١٠٤٥**م)[4].

فقد عبر ألفريد رامبو Alfred Ramboud عن نتائج هذه السياسة البيزنطية بقوله: «كان استيلاء الإمبراطورية البيزنطية على أرمينية مأساةً حقيقيةً للدولتين؛ حيث

---

(1)Cedrenus, Historiarum Compendium, p. 571.

(٢) يذكر كاهن أن حملات قتلمش هذه كانت قبل غزوة إبراهيم إينال- أخو طغرلبك من أمه- بحوالي عامين، وبما أن تلك الغزوة وقعت سنة **٤٤٠**هـ/**١٠٤٨**م، فإن هذه الحملات تكون حدثت حوالي سنة **٤٣٨**هـ/**١٠٤٦**م.

Cahen, C., La Premiere Penetration Turque en Asie- Mineure (Seconde Moitie Du XIe S.), B. 18 (1946- 1948), p. 16.

(3)Cedrenus, Historiarum Compendium, pp. 570-571; Kafesoglu, Seljuks, p.40; Finlay, G., History of Greece from Its Conquest by The Romans to the Present Time B.C. 146 to AD 1864, 2, (Oxford 1877), pp. 441-442.

الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ترجمة / محمد أقبال، (بيروت **١٩٨٤**)، ص **١٧**.

(٤) ترجع عملية الضم هذه إلى عصر باسيل الثاني، فنتيجة الضغط السلجوقي المتزايد على أرمينية من ناحية، وخوف سمباط الثالث من بطش باسيل الثاني نتيجة لمساندته أحد المتمردين ضده، ابرم معه سمباط الثالث معاهدة نصت على أن تؤول أملاكه إلى الدولة البيزنطية بعد وفاته.

لمزيد من التفاصيل عن حروب الدولة البيزنطية للسيطرة على أرمينية بعد وفاة سمباط الثالث:

Der Nersessian, Armenians, p. 11; Idem, Armenians, pp. 39-40; Toumanoff, Mantzikert, p. 425.

فايز أسكندر، غزو الإمبراطورية، ص **٢٧**؛ آميل (بول)، تاريخ أرمينيا، عرض مبسط لتاريخ الشعوب الأرمينية منذ فجر التاريخ حتى اليوم، ترجمة/ شكري علاوي، (بيروت د.ت)، ص**٢٩**.

فقدت الإمبراطورية حصنها الشرقي المنيع... وقضت عملية الضم على الأسر الأرمينية القوية وعلى كل شيء»[١]، بينما يرى تومانوف Toumanoff أن كارثة مانزيكزت كانت نتيجة طبيعة لضم أرمينية للدولة البيزنطية[٢]، إذ كانت أرمينية بمثابة الحصن المنيع والحائط الذي يحمي ظهر الدولة البيزنطية من العالم الإسلامي، لكن بعد القضاء على استقلالها وتحويلها إلى ولاية بيزنطية، سهل ذلك على السلاجقة اجتياح آسيا الصغرى، خاصة بعد أن عجزت الدولة البيزنطية عن الدفاع عنها[٣].

ذلك أنه بعد هذا الضم بقليل وفي سنة (**٤٣٩هـ/ ١٠٤٧- ١٠٤٨م**)، أرسل طغرلبك الأمير حسن على رأس جيش يتألف من عشرين ألف فارس لغزو آسيا الصغرى، وعندما وصل الجيش السلجوقي إلى فارسبوراكان أدرك حاكمها البيزنطي عجزه عن التصدي لهذا الجيش، فأرسل إلى جاره حاكم مدينة آني طالبًا النجدة، إلا أن وصول هذه النجدات لم يغير في الأمر شيئًا، إذ أدرك القادة البيزنطيون صعوبة مواجهة هذا الجيش في معركةٍ وجهًا لوجه، فاتفقوا على نصب كمين له حتى يتمكنوا من القضاء عليه، وغادروا المعسكر بما فيه من خيام ودواب وآلات، واختبئوا وراء الجبال حتى يظن السلاجقة عند مجيئهم إلى المعسكر أنهم هربوا، وعندما وصل الأمير حسن ورجاله إلى معسكر الأعداء ولم يجدوا أحدًا، فاعتقدوا أن القوات البيزنطية قد فرت هاربة، فأمر رجاله بالهجوم على المعسكر وجمع الغنائم، وعند ذلك خرج حاكم فاسبوراكان وحلفاؤه، وانقضوا عليهم وتمكنوا من هزيمتهم وقتل الأمير حسن[٤].

بيد أن هذه الهزيمة لم تكن لتثني السلاجقة-المصممين على الغزو- عن هدفهم،

---

(١) نقلاً عن:
فايز أسكندر، غزو الإمبراطورية، ص ٢٧.

(2)Toumanoff, Mantzikert, p. 426.

(3)Der Nersessian, Armenians, p. 40؛ Vasiliev, A.A., History of the Byzantine Empire 324-1453, I, (Madison 1958), p. 300
فايز اسكندر، غزو الإمبراطورية، ص٢٧؛ جان أحمرانيان، من هم الأرمن؟ (القاهرة ١٩٧٨)، ص٢٨.

(4)Cedrenus, Historiarum Compendium, pp. 572-575؛ Bryennios, Les Quatre Livers, p. 485؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 40؛ Vryonis, Decline, p. 86, Note 40؛ Cahen, Pre- Ottoman Turkey, p. 68؛ Laurent, Byzance et Les Turcs, p. 22؛ Finlay, Hist. Greece, 2, p. 442.

بل إن طغرلبك قد اتخذها ذريعة لإرسال حملة جديدة لتعويض الخسارة السابقة، والثأر لمقتل الأمير حسن، فخرج إبراهيم إينال على رأس ١٠ آلاف فارسٍ إلى منطقة فاسبوراكان، الأمر الذي أصاب حكام تلك الجهات بالفزع لتواصل الهجمات السلجوقية، وبلغ الرعب من هذه الحملة مبلغه لدرجة أن الإمبراطور البيزنطي قنسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١١٤٢-١١٥٥م)[١] نفسه أرسل إلى ليباريتس Liparites–حاكم أيبيريا- يطلب منه نجدة جيرانه الذين انسحبوا من أمام إبراهيم إينال؛ خوفًا من أن يشتبك معهم قبل وصول ليباريتس، فاتجه إبراهيم إلى أرزن Artze، تلك المدينة التجارية الشهيرة[٢]، وضرب عليها الحصار، وبالرغم من شدة مقاومة سكانها، إلا أنه تمكن من اقتحامها بعد معركة استمرت ستة أيام، وقام بتدميرها[٣].

ولم يكتف إبراهيم إينال بما أنزله بهذه المدينة التجارية الغنية من تدمير وتخريب، بل أخذ يدمر ويخرب كل ما في طريقه حتى وصل إلى مدينة أرزورم Erzurum[٤]، ومنها

---

(١) قنسطنطين التاسع مونوماخوس، أحد أعضاء الأرستقراطية المدنية في العاصمة وصل للعرش الأمبراطوري عن طريق زواجه من زوي ابنة الإمبراطور قنسطنطين الثامن، وكان حاكما ضعيفًا ساءت أوضاع الدولة في عهده.

لمزيد من التفاصيل أنظر:

Ostrogorsky, Byz. State, p. 294؛ Hussey, J.M. "The Later Macedonians, the Comneni and The Angeli 1025-1204", C.M.H., 4, 1, (1964), pp. 200-201.

محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية ٢٠٠٠)، ص ٢٩٦.

(٢) ارزن، مستوطنة تجارية شهيرة بالقرب من من أرزورم وهي من أعمر نواحي أرمينية مزدحمة بالسكان، وكانت مركز جذب لعدد كبير من التجار من جنسيات متعددة.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٨٠.

(3) Cedrenus, Historiarum Compendium, pp. 576-578؛ Matthieu D'Edesse, Chronique, pp. 83-84؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 40؛ Cahen, C., "The Turkish Invasion: The Selechukids", in: Setton, K.M. & Baldwin, M.W.,(eds), A History of the Crusades, I, (Philadelphia 1955), p. 144.

فايز نجيب إسكندر، أرمينية، ص ٨٨-٨٩.

(٤) أرزورم هي أرزن الروم أو أرض الروم، مدينة عظيمة من مدن أرمينية أطلق عليها العرب أسم قاليقلا والأرمن اسم كرين karin، أما البيزنطيون فقد أطلقوا عليها اسم ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis، =

إلى مدينة طرابيزون Trebizond[١] على بحر بنطس (البحر الأسود)، ثم التقى بالقوات البيزنطية والأيبيرية في معركة فاصلة، انتهت بهزيمتهم وأسر عدد كبير منهم، كان من بينهم ليباريتس نفسه[٢]، واستولى السلاجقة على غنائم طائلة، «حملت على عشرة آلاف عجلة» على حد قول ابن الأثير[٣].

كان لغزوة إبراهيم إينال هذه أهمية كبيرة؛ لأن ما حققه من نجاح وما وصل إليه من مناطق في آسيا الصغرى، لم يصل إليها أحدٌ غيره من قبل، مما دفع بعض المؤرخين إلى اعتبار ذلك العام الذي تمت فيه هذه الغزوة بداية الغزو السلجوقي لآسيا الصغرى[٤].

ومما ساعد إبراهيم إينال على الوصول إلى تلك الجهات البعيدة من آسيا الصغرى، هو عدم وجود قوات بيزنطية كافية للتصدى للقوات السلجوقية، خاصة بعد أن قام قسطنطين مونوماخوس بسحب معظم القوات العسكرية البيزنطية، لإخماد الثورة التي اندلعت ضده في أدريانوبل بقيادة ليوتورنيكوس Leo Tornicius[٥]. هذا بالإضافة

=

وقيل: إن سبب تسميتها أرزن الروم، أنه بعد تدمير السلاجقة مدينة أرزن هجرها سكانها إلى إحدى المدن القريبة وأطلقوا عليها أسم أرزن الروم أو أرض الروم.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٨١؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية، مج ١، مادة أرزن الروم، ص ٦١٠-٦١٢.

(١) طرابيزون، طرابزنده أو أطرابزندة، تقع في الزاوية الجنوبية لبحر بنطس، وهي مدينة تجارية شهيرة، ومما يدل على شهرتها أن بحر بنطس نسب إليها فكان يعرف ببحر طرابزندة.

أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٣٩٢-٣٩٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ١٦٨.

دائرة المعارف الإسلامية، مج٢، مادة أطرابزندة، ص ٣٠٣-٣٠٩.

(2)Cedrenus, Hisoriarum compendium, pp. 578-580؛ Cahen, Pre-ottoman Turkey, p. 68.؛ Idem, la premiere penetration, p. 15؛ Laurent, Byzance et les Turcs, p. 22؛ Vryonis, Decline, pp. 86-87.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق / أبي الفداء القاضي، ج٨ (بيروت ١٩٩٨)، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٦، تحقيق/ محمد فوزي العنتيل، (القاهرة ١٩٨٥، ص ٣٨٢ – ٣٨٣).

(٤) نقلاً عن:

Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 68؛ Idem, La Premiere Penetration, p. 15.

(٥) ليوتورنيكوس، قائد الفرقة المقدونية في الجيش البيزنطي، أثارته مواقف قسطنطين مونوماخوس ضد =

إلى مهارة السلاجقة القتالية، خاصة في الرمي بالسهام التي أصابت أعداءهم بالفزع وأنزلت بهم خسائر فادحة(١).

على هذا النحو، عجزت الدولة البيزنطية عن حماية أرمينية من الهجوم السلجوقي-التي كانت قد كافحت زمنًا طويلاً من أجل السيطرة عليها- فقد اجتاحها إبراهيم إينال في غزوته، وظل يغزو ويدمر في آسيا الصغرى إلى «أن بقى بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يومًا»(٢).

ونتيجة لهذه الانتصارات السلجوقية، وعجز قنسطنطين مونوماخوس عن مقاومة السلاجقة، وتعرض الدولة البيزنطية في هذا الوقت لخطر البشناقPechenegs (الباتزيناك- البجناك)-الذين سببوا لها الكثير من المتاعب في ولاياتها الغربية(٣)-اضطر قنسطنطين مونوماخوس إلى اتباع الوسائل الدبلوماسية مع السلاجقة، فأرسل

=

العسكريين، فأعلن الثورة وأتجه إلى القسطنطينية، فأرسل قنسطنطين إلى حاكم أرمينية يطلب إرسال قوات عسكرية للدفاع عن العاصمة، فقام الأخير بتجريد الأقاليم الشرقية من معظم قواتها وأرسلها إليه.

Ostrogorsky, Byz. State, p. 194؛ Husssey, Later Macedonians, p. 203؛ Treadgold, W., A History of the Byzantine State and Society, (U.S.A. 1997) p. 594.

(1)Kaegi, Contribution of Archery, p. 104.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٨٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٨٤.

(٣) البشناق، شعب تركي الأصل موطنه الأصلي التركستان الصينية، إلا أنه انتقل بعد ذلك إلى منطقة شمال بحر قزوين نتيجة لهجوم جيرانهم عليهم خاصة الخزر، ثم هجروا هذه المنطقة إلى سهوب شمال بحر بنطس، وتحالفوا مع الدولة البيزنطية لحماية حدودها الشمالية، ولكن نتيجة لضغط جيرانهم اضطرت جموع منهم لعبور الدانوب، وهاجمت الأراضي البيزنطية بهدف السلب والنهب، ولكن منذ عهد قنسطنطين مونوماخوس هدفت هجماتهم إلى الاستيلاء على الأراضي البيزنطية والاستقرار بها.

لمزيد من التفاصيل:

المتولي السيد تميم، البشناق والبيزنطيون، دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية (٨٥٠-١١٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة المنصورة، ١٩٩٦.

Angold, M., The Byzantine Empire 1025- 1204: A Political History, (London 1984), pp. 14-15.؛ Franzius, E., History of The Byzantine Empire, Mother of Nations, (New York 1967), pp. 275- 276.

جريجورس دروسيس Georgus Droses-أحد كتبة أرون Aaron حاكم فاسبوراكان- إلى طغرلبك طالبًا منه وقف الإغارات السلجوقية وإبرام الصلح، ثم أرسل إليه طالبًا افتداء ليباريتس، فوافق طغرلبك على طلب الصلح، بل وأطلق سراح ليباريتس دون فدية[1]، الأمر الذي يثير تساؤلًا هامًا، وهو **لماذا وافق طغرلبك على هذه الصلح؟ وإلى أي حد تأثر الهجوم السلجوقي على آسيا الصغرى بتوقيعه؟.**

إذا كان كاهن Cahen قد وصف طلب قنسطنطين مونوماخوس للصلح بأنه درجة من درجات الخداع والدهاء التي كانت تقتضيها الضرورة[2]، فإن قبول طغرلبك ذلك الصلح لا يعني أنه أقل دهاءً من قنسطنطين، أو أنه تخلى عن أهدافه ضد الدولة البيزنطية، وإنما كان يهدف من وراء ذلك القبول تأجيل فتح باب العداء مع الدولة البيزنطية في هذه المرحلة التي انشغل فيها بتنظيم أمور دولته[3].

وربما كان هذا القبول أيضًا تكتيكًا حربيًا من جانبه، لالتقاط الأنفاس بعد سلسلة طويلة من العمليات العسكرية، خاصة وأن الدولة البيزنطية دولة لها ثقلها السياسي والعسكري، ومن ثَمَّ كان على السلاجقة أن يعدُّوا أنفسهم إعدادًا جيدًا قبل فتح باب العداء مع البيزنطيين، ويبدو أيضًا أن طغرلبك قد قبل هذا الصلح رغبةً منه في استغلاله لخدمة أغراضه ضد الفاطميين في مصر، ومما يدل على ذلك أنه بعد توقيع هذا الصلح بفترة قصيرة وتحديدًا سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م) أرسل طغرلبك مبعوثًا من عنده إلى قنسطنطين مونوماخوس يستأذنه في السير إلى مصر عن طريق بلاد الشام ، إلَّا أن الإمبراطور رفض طلبه مظهرًا له المودة التى تربط بينه وبين الخليفة الفاطمي وأنه «لا

---

(1)Cedrenus, Historiarum Compendium, pp. 580-581؛Kafesoglu, Seljuks p. 41؛ Cahen, La Premiere Penetration, p. 16؛ Franzius, Byz. Empire, p. 277.

ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٨٩؛النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(2)Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 68-69.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٦٦؛ شاكر مصطفى، "دخول الأتراك الغز إلى الشام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر"، مجلة كلية الآداب والتربية- جامعة الكويت- العدد الخامس، (١٩٧٤)، ص٥٦.

يرخص في أذيته»[1].

على أي حالف إن قبول طغرلبك لهذا الصلح لم يؤثر بصورة كبيرة على قوة الإغارات السلجوقية على آسيا الصغرى، فما حققه السلاجقة من نجاح في تلك الجهات، أغرى الكثير من العناصر السلجوقية المغامرة على القيام بالغزو في آسيا الصغرى، ضاربين بهذه الاتفاقيات عرض الحائط، واشتدت إغاراتهم فكانوا «كالذئاب الشرسة»؛ مما دفع قسطنطين مونوماخوس إلى أن يرسل إلى طغرلبك معترضًا على هذه الأعمال، فما كان من طغرلبك إلا أن رد عليه قائلاً: «إن هذه الهجمات تقوم بها عناصر متمردة لا تخضع لسيطرته»[2].

ومع ذلك فإن طغرلبك نفسه خرج على رأس جيش سنة (**٤٦٦هـ/١٠٥٥م**)، لغزو آسيا الصغرى مع ابن عمه قتلمش[3]، وقد بدأ عملياته العسكرية بإرسال بعض قواته؛ لنهب المنطقة الواقعة بين بحيرة وان وسهل أرزورم وجنوب طرابيزون، أما هو

---

(١) شاكر مصطفى، دخول الترك الغز، ص **٥٦**.

- لم تكن علاقة الود والصداقة بين الدولتين البيزنطية والفاطمية وليدة عهد قسطنطين مونوماخوس، بل تمتد جذورها إلى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي، وإن كانت قد توترت في بعض الأوقات إلا أنها عادت ودية مرة أخرى في عهد قسطنطين مونوماخوس، ومما يدل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها هذا الإمبراطور إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يطلب منه فيها قيام تحالف بين الجانبين البيزنطي والفاطمي ضد السلاجقة، وأيضا موافقته على إرسال الغلال والأقوات إلى مصر لمساعدتها في مواجهة المجاعة التي وقعت بها في ذلك الوقت.

لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين الجانبين:

أسمت غنيم، العلاقات السياسية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية، **٩٦٩-١٠٩٤**م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، **١٩٦٨**، ص **٢٩٧-٢٩٨**؛ عبد الرحمن محمد عبد الغني، موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور الأتراك السلاجقة بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت- الحولية الخامسة عشر، (**١٩٩٤-١٩٩٥**)، ص **٤١**.

(2)Attaliatae, Historia, p. 46.

(**٣**) يبدو أن ما دفع طغرلبك إلى القيام بهذا الهجوم رغم الصلح المعقود بين الطرفين هو رفض قسطنطين مونوماخوس للمرة الثانية التحالف مع السلاجقة ضد الفاطميين بل ولم يكتف بهذا الرفض بل أرسل تفاصيل الرسالة السلجوقية للفاطميين.

شاكر مصطفى، دخول الترك، ص **٥٦-٥٧**.

فاتجه إلى مدينة بركري Berkri[1]، وبعد الاستيلاء عليها اتجه إلى مدينة آرجيش، واستولى عليها، ومنها أسرع إلى مدينة مانزيكرت وحاصرها أكثر من ثلاثين يومًا، دون أن يتمكن من الاستيلاء عليها؛ وذلك بسبب صمود سكانها في وجه هذا الحصار، بما لديهم من مخزون المؤن وأعلاف الماشية، فتركها طغرلبك مؤقتًا واتجه إلى مدينة أرزورم ونهبها، ثم عاد إلى مانزيكرت وشدد عليها الحصار، إلا أنه لم يلبث أن رحل عنها وعاد إلى قاعدة إنطلاقه في بلاد ما وراء النهر[٢].

هكذا شهد عهد قنسطنطين مونوماخوس زيادة توغُّل السلاجقة في آسيا الصغرى، وعجزه عن مقاومتهم واضطراره إلى مهادنتهم، الأمر الذي أدَّى إلى زيادة جرأتهم في الهجوم على أراضيه، وقد عبَّر المؤرخ أرستاكيس اللسيتيقرتي عن نتائج هذا العجز بعبارته البالغة الدلالة حيث قال: «لهذا انقضَّ الأعداء كالذئاب الجائعة التي تلتهم بلا رحمة القطيع الذي بلا راعٍ يحرسه»[٣].

وبالرغم من أن الإمبراطورة ثيودورا Theodora (١٠٥٥-١٠٥٩)[٤] -التي تولت العرش بعد قنسطنطين مونوماخوس- قد دخلت في مفاوضات مع طغرلبك

---

(١) بركري، باركري أو بهركري، مدينة مشهورة تقع شرق مدينة آرجيش.

لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢١٨.

(2)Cedrenus, Historiarum Compendium, pp. 590-591؛ Attaliatae, Historia, p.46؛ Matthieu D'Edesse, Chronique, pp. 98-102؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 42.؛ Cahen, La Premiere Penetration, pp. 16-17.

- يبدو أن ما دفع طغرلبك في ذلك هو حلول فصل الشتاء، ونفاذ المؤن وإمدادات الجيش السلجوقي المحاصر للمدينة، فضلا عن قيام حاميتها بحرق آلات ومنجنيقات السلاجقة.

Attaliatae, Historia, p. 46-47؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 42.

ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص ٣١٦؛النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٨٨؛ عثمان الترك، صفحات، ص ٢٧-٢٨.

(٣) نقلاً عن: فايز اسكندر، أرمينية، ص ٩٦.

(٤) ثيودورا، آخر أباطرة البيت المقدوني، أنتقلت إليها مقاليد الأمور بعد وفاة قنسطنطين مونوماخوس، ولم تأل جهدا خلال فترة حكمها القصيرة في إصلاح أوضاع الدولة الاقتصادية، وارتكزت سياستها الخارجية على إقرار السلام.

Ostrogorsky, Byz. State, p. 298؛ Hussey, Later Macedonians, p. 204؛ Treadgold, Byz. State, p. 597.

وحاولت إقامة علاقات سلمية معه[1]، إلا أن الهجمات السلجوقية على آسيا الصغرى لم تتوقف في الفترة التالية؛ حيث هيأت الظروف على الجانبين البيزنطي والسلجوقي المناخ المناسب لمواصلة التوغل السلجوقي في هذا الإقليم، فعلى الجانب البيزنطي فإن الثورة التي قامت ضد الإمبراطور ميخائيل السادس Michael VI (١٠٥٦-١٠٥٧)[2]، بقيادة إسحاق كومنين Isaac Komnenos (١٠٥٧-١٠٥٩)[3]، عادت بالعواقب الوخيمة على الدولة البيزنطية، وأدت إلى مزيد من التوغل السلجوقي في آسيا الصغرى، إذ اتجهت معظم القوات العسكرية المدافعة عن أرمينية إلى القسطنطينية؛ لمساندة إسحاق في ثورته، وبذلك تركت الحدود الشرقية دون حماية، فانتهز السلاجقة هذه الفرصة وضاعفوا من هجماتهم، حيث قاد الزعيم التركماني ساموك Samuk حملة تتكون من ثلاثة آلاف فارس، وهاجم شرق آسيا الصغرى، وانضم إليه جماعة من المرتزقة بقيادة هيرف Herve[4]، وأغاروا على مدينة خلاط[5].

---

(١) فايز إسكندر، أرمينية، ص ٩٦.

(٢) ميخائيل السادس، كان متقدمًا في السن ضعيف الإرادة، خضع لسيطرة البيروقراطيين وعجز عن إدارة شئون الدولة البيزنطية، فاستغل السلاجقة هذه الفرصة وكثفوا هجماتهم على آسيا الصغرى حتى وصلوا إلى بحر بنطس، مما أثار سخط الأرستقراطية العسكرية وقاموا بالثورة ضده.

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج٣، ص١٣.

Ostrogorsky, Byz. State, p. 298؛ Hussey, Later Macedonians, p. 205

(٣) إسحاق كومنين، ولد سنة ١٠٠٧م، ويرجع نسبة إلى أسرة كومنين الشهيرة، وبالرغم من فترة حكمه القصيرة، إلا أنه عمل على إصلاح أوضاع الدولة الاقتصادية، وأوضاع الجيش.

لمزيد من التفاصيل أنظر:

Hussey, Later Macedonians, p. 206؛ O.D.B., 2, pp. 1011-1012.

(٤) هيرف، قائد نورماني استعان قسطنطين مونوماخوس وزوي بفرقته لقتال البشناق والسلاجقة، ونتيجة لرفض ميخائيل السادس بعض مطالبه، رحل إلى آسيا الصغرى عازمًا على الانتقام، وانضم إليه جماعة من النورمان وتحالف مع ساموك الذي حقق بواسطته نجاحًا كبيرًا في الهجوم على الأراضي البيزنطية.

نبيلة مقامي، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان، ص ٤٠.

(5)Vryonis, Decline, pp. 87-88؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 70؛ Laurent, Byzance et Les Turcs, pp. 23-24؛ Charanis, P., "The Byzantine Empire in The Eleventh Century" in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W., (eds), History of the Crusades, I, (Philadelphia 1955), pp. 190-191.

=

وقامت جماعة تركمانية أخرى بنهب المنطقة الواقعة جنوبي طرابيزون وهنزيت Khanzt[١]، وبعد شهر واحد من اعتلاء إسحاق كومنين العرش قامت جماعة تركمانية بزعامة القائد دينار Dinar بالهجوم على مدينة كمخ Camacha[٢]، ومدينة كلونية Colonia[٣]، وكذلك نهبت مدينة ملطية التي حلَّ بها نفس مصير مدينة أرزن[٤].

أما على الجانب السلجوقي فقد ساعدت الظروف -بطريقة غير مباشرة- على زيادة الهجوم السلجوقي على آسيا الصغرى؛ نتيجة لوقوع نزاع بين طغرلبك وإبراهيم إينال، ووقوف قتلمش إلى جوار إبراهيم إينال في قتاله الذي انتهى بمقتله، ففرَّ قتملش إلى آسيا الصغرى؛ خوفًا من بطش طغرلبك لموقفه السابق، وكان بصحبته ٦ آلاف فارس، وهاجم عدة مدن واستولى على مدينة قرص Kars (قارص Carse) [٥]، وأثناء تعقب

=

خلاط، مدينة مشهورة في أرمينية عامرة بالسكان تقع قرب مدينة مانزيكرت وصفها أبو الفدا: "بأن لها بساتين كثيرة وأنهار". أبو الفدا، تقويم البلدان، ص **٣٩٥**؛لسترنج، بلدان الخلافة، ص **١٢٨**.

(1)Cahen, La Premiere Penetration, p.22.

- هنزيت أو هنزيط، من الثغور الإسلامية وتقع قرب ملطية.

البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ علي محمد البجاوي، ج**٣**، (القاهرة **١٩٥٤**)، ص **١٤٦**.

(**٢**) كمخ أو كمخا، إحدى مدن أرمينية تقع على رافد نهر الفرات الغربي وتتبعها عدة قرى خصبة.

لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج**٤**، ص **٥٤٤**؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص **١٥٠-١٥١**.

Ramsay, Historical Geography, p. 18.

(**٣**) كلونية أو قلونية، مدينة تقع شمال مدينة ملطية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج**٤**. ص **٤٤٦**.

(4)Matthieu D'Edesse, Chronique, pp. 107-109؛ Vryonis, Decline, p. 88؛Cahen, Turkish Invasion, p. 147؛Laurent, Byzance et Les Turcs, p.24.

- ملطية، تقع شرق قبادوقيا، على راس الطرق المؤدية من آسيا الصغرى إلى أعالي الجزيرة، وكانت من أعظم الثغور الإسلامية في مواجهة البيزنطيين.

لمزيد من التفاصيل: الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق/ جانين سورديل طومين، (دمشق **١٩٥٣**)، ص**٨٣**. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص **٣٨٤**.

Ramsay, Historical Geography, p. 313.

(**٥**) قرص، مدينة أرمينية تقع شمال شرق آسيا الصغرى، انتعشت كمركز تجاري بين مدينة أني ومدينة أرزورم، وأصبحت مركزًا ثقافيًا هامًا.

O.D.B., 2, p. 1108.

طغرلبك له قام هو الآخر بتدمير عدة مدن في أيبيريا[١].

سرعان ما اشتدت حدة الهجمات السلجوقية على آسيا الصغرى، وبدأت تدخل مرحلة الفتح المنظم في عهد قنسطنطين العاشر دوقاس Constantine X Ducas (١٠٥٩-١٠٦٧م)[٢]، ففي نفس العام الذي اعتلى فيه هذا الإمبراطور العرش هاجم السلاجقة مدينة سيواس (سباستيا Sebastieia) وقاموا بتدميرها[٣]، ولم يكتف هذا الإمبراطور بعدم قيامه بأي دور في التصدي للهجوم السلجوقي المستمر، بل إنه أهمل الجيش البيزنطي إهمالًا كبيرًا، وانتقده في ذلك مستشاروه المدنيون مثل المؤرخ ميخائيل بسللوس[٤]، مما شجع السلاجقة على تكثيف هجومهم على آسيا الصغرى التي أضحت مسرحًا لهجماتهم فبلغوا مدن وسط آسيا الصغرى وغربها التي ظلت فترة طويلة بمنأى عن هجمات السلاجقة[٥].

ولم تتأثر هجمات السلاجقة على آسيا الصغرى بوفاة طغرلبك، حيث واصل ألب أرسلان (١٠٦٣-١٠٧٢م) سياسة سلفه، بل ودخلت في عهده سياسة السلاجقة تجاه أراضي آسيا الصغرى طورًا جديدًا، إذ غدت تستهدف الاستيلاء عليها وامتلاكها[٦].

---

(١) الحسيني، الدولة السلجوقية، ص ١٩-٢٠،؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت ١٩٠٨)، ص ٨٧-٨٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٤١-٣٤٥.

Cedrenus, Historiarum Compendium, pp. 606-607؛ Kafesoglu, Seljuks, p.44.

(٢) قنسطنطين العاشر دوقاس، ولد سنة ١٠٠٦م، ويعد عصره انتصارًا للبيروقراطية المدنية في القسطنطينية على الأرستقراطية العسكرية في الأقاليم.

لمزيد من التفاصيل:

Vasiliev, Byz. Empire, I, p. 352؛ Franzius, Byz. Empire, p. 284؛
O.D.B.I, pp. 501-502.

(3)Charanis, Byz. Empire, p. 191.؛Laurent, Byzance et Les Turcs, p. 24؛

- سيولس، مدينة أرمينية مشهورة تحدها من الشرق مدينة أرزورم، وبينها وبين مدينة قيصرية ٦٠٠ ميل، وصفها ابن بطوطة بأنها "حسنة العمارة" واسعة الشوارع، أسواقها غاصة بالناس؛ ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٣٨٤-٣٨٥؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص١٩٧.

(٤) نقلاً عن:

Charanis, Byz. Empire, pp. 197-199.

(5)Hussey, Later Macedonians, pp. 207-208؛ Franzius, Byz. Empire, p. 285؛
Vryonis, Decline p. 95.

(٦) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٦٨.

فقد خرج ألب أرسلان على رأس جيش كبير للغزو في آسيا الصغرى، وبعد أن فتح عدة مدن وحصون في «بلاد الكرج»[١]، اتجه إلى مدينة آني الأرمينية فاستولى عليها بعد حصار شاق سنة (٤٠٦هـ/ ١٠٦٤م)، واضعًا بذلك نهاية للحكم البيزنطي لأرمينية[٢]، وقد أدت انتصارات ألب هذه إلى خضوع العديد من حكام تلك الجهات له، فخضع له جاجيك عباس Gagik Abas (١٠٢٩-١٠٦٥م) ملك قرص الذي تنازل للسلطان عن أملاكه[٣].

وبذلك استولى السلاجقة على آني وقرص، العاصمتين القديمتين لأرمينيه والمركزين الأساسيين لقوة الدولة البيزنطية ونفوذها في شمال شرق آسيا الصغرى، وسيطروا على أرمينية، الدرع الواقي للدولة البيزنطية في الشرق[٤]. وأضحى الطريق مفتوحًا أمامهم على مصراعيه للغزو والسيطرة على آسيا الصغرى، فاجتاحوا إقليم قبادوقيا Cappadocia[٥]، ودمروا مدينة قيصرية Caesareia[٦]، واقتحموا كنيسة

---

(١) بلاد الكرج، نسبة إلى الكرج وهو قوم من النصارى يسكنون جبال القبق في أرمينية، وقد زادت قوتهم حتى سيطروا على عدة مدن ومنها تفليس.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٠٦-٥٠٧.

(2)Attaliatae, Historia, pp. 80-83؛Scylitzae, Exoerpta, pp. 653-654؛
Matthieu D'Edesse, Chronique, pp. 1263-124.
الحسيني، الدولة السلجوقية، ص ٣٧-٤٠؛ ابن الاثير الكامل، ج٨، ص٣٦٨ -٣٧٠.فايز نجيب أسكندر، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية، "أني" سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، (الإسكندرية ١٩٨٧)، ص٩.

(3)Matthieu D'Edesse, Chronique, pp. 125-126؛ Der Nersessian, Armenians , p. 40؛ Finlay, Hist. Greece, 2, p. 18.

(٤) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٦٨؛ حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة ١٩٩٣)، ص ١٨٥.

(٥) قبادوقيا أو قباذق، من أكبر أقاليم آسيا الصغرى، يمتد من جال بنطس حتى طرسوس ومن بحيرة الملح حتى الفرات، واكتسب أهمية كبيرة لتحكمه في الطرق الرئيسية المارة عبر آسيا الصغرى.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤. ص ٣٤٤.
O.D.B., I, pp. 378-379.

(٦) قيصرية، تكتب قيسارية أو قيصارية، وهي Caesarea Mazaka عاصمة إقليم قبادوقيا، تقع شرق مدينة سيواس، وأصبحت قاعدة عسكرية في القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين.
Ramsay, Historical Geography, pp. 303-304؛O.D.B.,I, pp. 363-354.
الهروي، الإشارات، ص ٥٩-٦٠؛أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٣٨٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ١٧٨.

القديس باسيل St Basil، ودمروا محتوياتها[1].

على أن الهجوم السلجوقي على آسيا الصغرى لم يقف عند هذا الحد، بل إن العديد من الأمراء التركمان قد استغلوا ضعف المقاومة البيزنطية وشاركوا في هذه الملحمة الهجومية، فقاموا بشن هجمات متواصلة على آسيا الصغرى، وكان من أبرز هؤلاء الأمراء: الأمير أفشين بن بكجي Afshin، الذي بدأ عملياته العسكرية بالهجوم على مدينة قيصرية، وتوجه منها إلى مدينة قيصرية الجديدة (Neo-Caesarea) أو نيكسار[2] فقام بنهبها، ثم دمر مدينة قونية، ووصل إلى مدينة عمورية الشهيرة في أقصى غرب آسيا الصغرى، فضلاً عن أن مدينة خوناي لم تنجُ هي الأخرى من تدميره[3].

وهكذا انطلق أفشين يغزو ويدمر في آسيا الصغرى حتى وصل إلى حد قول ابن العبري: «إلى ساحل البحر الذي يمر بالقسطنطينية (بحر مرمره) وغزا وسبى وانطلق إلى مقدونية»[4].

على هذا النحو اجتاح السلاجقة آسيا الصغرى وشنوا هجماتهم المدمرة على معظم أنحائها دون أن يجدوا مقاومة تذكر؛ نظرًا لِما انتاب الدولة البيزنطية في ذلك الوقت من

---

(1)Scylitzae, Exoerpta, pp. 660-661؛ Laurent, Byzance et Les Turcs, pp.24-25؛ Vryonis, Decline p. 95؛ Turan, O., "Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks", C.H.I., (1970), p. 232.

- كنيسة القديس باسيل، نسبة إلى باسيل العظيم أسقف مدينة قيصرية الذي وضع عدة قوانين للرهبان والراهبات، ساهمت بقدر كبير في تطور الحياة الديرية داخل وخارج الدولة البيزنطية.

لمزيد من التفاصيل:

O.D.B., I, pp. 269-270.

(٢) قيصرية الجديدة، يطلق عليها أحيانًا اسم نيكسار وهي إحدى مدن ولاية سيواس.

لسترنج، بلدان الخلافة، ص ١٧٩؛ علي بن صالح المحيميد، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، (الإسكندرية ١٩٩٤)، ص ١٨، حاشية٦.

(3) Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 71-72؛Scylitzae, Exoerpta, p. 670؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 48.؛ Laurent, Byzance et Les Turcs, p. 25.

العظيمي، تاريخ العظيمي، نشره/ كلود كاهن؛

J.A. CCXXX (1938), p. 358.

(٤) ابن العبري، تاريخ الزمان، نقله إلى العربية/ إسحق ارمله، (بيروت ١٩٨٦)، ص ٨.

(Kafesoglu, Seljuks, p. 48).

ضعف واضطراب نتيجة الصراع بين البيروقراطيين في العاصمة، والعسكريين في الأقاليم[1]،فما ترتب على هذا الصراع من فوضى وإهمال الأباطرة للأمور العسكرية كان الطريق الذي عبَر من خلاله السلاجقة إلى آسيا الصغرى، وساعدهم على اجتياح أراضيها على حد قول هسي Hussey[2].

على أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته، هو أنه على الرغم من النجاح الذي حققه السلاجقة في آسيا الصغرى، إلا أنهم لم يحاولوا الاستقرار فيها؛ حيث انشغلوا خلال تلك الفترة بتنظيم أمور دولتهم وفرض سيطرتهم على البلدان الإسلامية، فضلاً عن صراعهم مع الدولة الفاطمية.

يضاف إلى ذلك أنه بالرغم من انتصاراتهم العديدة في آسيا الصغرى إلا أنها كانت لا تزال مكانًا غير آمن لإقامة الجماعات السلجوقية؛ ذلك لوجود عدد كبير من القلاع والحصون التي أقامها البيزنطيون في كل مكان في آسيا الصغرى للدفاع عنها وحماية سكانها[3]، فضلاً عن مقاومة بقايا القوات البيزنطية في آسيا الصغرى[4].

على هذا النحوكان وضع السلاجقة في آسيا الصغرى حتى موقعة مانزيكرت سنة (**٣٦٣هـ/ ١٠٧١م**)، التي حقَّق فيها السلاجقة انتصارًا رائعًا على الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجنيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٨-١٠٧١م)،

---

(١) ظهر هذا الصراع بعد وفاة باسيل الثاني بقليل، إذ تولى بعده أباطرة ضعاف عملوا على تحويل دفة الأمور إلى البيروقراطيين وإزالة الشكل العسكري من الإدارة البيزنطية، الأمر الذي أدى إلى سخط العسكريين وقيامهم بالثورة، فتحركت جيوش الأقاليم لمساندتهم واستغل السلاجقة هذه الظروف وهاجموا آسيا الصغرى، كما أن هؤلاء الأباطرة البيروقراطيين أهملوا الجيش، وامتنعوا عن دفع مرتبات الجنود، وإمداد قواته بما تحتاج إليه من مؤن وإمدادات وقاموا بتسريح عدد كبير من جنوده الأمر الذي أضعف الجيش و ساعد على تزايد حدة الهجوم السلجوقي.

Vryonis, Social Basis, pp. 160-161؛ Idem, Decline, pp. 85-86؛ Charanis, Byz. Empire, pp. 195-196؛ Ostrogorsky, Byz. State, pp. 383-384.

(2)Husssey, Later Macedonians, pp. 194-195.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن القلاع والحصون في آسيا الصغرى:

Foss, C., "The Defenses of Asia Minor Against The Turks". G.O.T.R., 27 (1982), pp. 145-205.

(4)Turan, Anatolia, p. 232.

والتي قلبت الأوضاع في آسيا الصغرى رأسًا على عقب[1].

*****

موقعة مانزيكرت مدخل للحروب الصليبية:

إذا كانت الظروف لم تسمح للسلاجقة قبل موقعة مانزيكرت بالاستقرار في آسيا الصغرى، فلم يَعُد هناك بعد هذه الموقعة أي عائق يحول دون بقائهم في هذا الإقليم، أو أي خطر يتهددهم من قبل البيزنطيين بعد الانهيار التام لمقاومتهم، وهو الأمر الذي عبر عنه ميخائيل الكبير بقوله: «لم يعد الروم (البيزنطيون) يستطيعون مجابهة الأتراك بعد هزيمتهم»[2].

ذلك أن الدولة البيزنطية قد تعرضت للعديد من الهزائم في الماضي، لكنها كانت في كل مرة تستطيع تخطي أزماتها والنهوض كقوة عظمى من جديد، لكنها بعد كارثة مانزيكرت عجزت عن استرداد قوتها مرة أخرى، إذ قضت هذه الموقعة عليها سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، وأدت إلى استيلاء السلاجقة على آسيا الصغرى وتأسيس سلطنة سلاجقة الروم[3].

على ذلك يمكن القول بأن موقعة مانزيكرت كانت التمهيد الحقيقي للاستيطان

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن موقعة مانزيكرت:

الحسيني، الدولة السلجوقية، ص ٣٤-٥٣؛ عماد الدين الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار/ الفتح بن علي بن محمد البنداري، (بيروت ١٩٨٠)، ص٤٠-٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (حيدر آباد ١٣٥٩)، ج٨، ص ٢٦٠-٢٦٢؛ الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة/ عبد النعيم محمد حسنين؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، (القاهرة ١٩٦٠)،ص ١٨٨-١٩٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق/ سامي الدهان، ج٢، (دمشق ١٩٥١)، ص ٢٦٢-٢٦٨.

Taeschner, F., "The Turks and The Byzantine Empire to the End of the Thirteenth Century", C.M.H., 4, I, (1964), pp. 739-740.

بسام العسلي، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، (بيروت ١٩٧٨)، ص ٢٩-٣٠.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج٣، ص ١٣٨-١٣٩.

(3)Vryonis, Social Basis, p. 159؛ Vasiliev, Byz. Empire, I. pp. 356-357.

عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (القاهرة ١٩٦٧)، ص ١٣٠.

السلجوقي لآسيا الصغرى، التي أضحت بعدها جثة هامدة تحت أقدام السلاجقة، فأخذوا في السيطرة على مدنها الواحدة تلو الأخرى والاستقرار بها[١].

لكن كيف حدث هذا التحول؟ وما هي العوامل التي ساعدت على حدوثه:

يبدو أن هذا التحول الخطير في موقف السلاجقة في آسيا الصغرى بعد مانزيكرت يكمن في حالة الحرب الأهلية والفوضى السياسية التي أعقبت هذه الموقعة داخل القسطنطينية، فقد ساعدهم ذلك على الاستقرار بها، واستغل السلاجقة هذه الظروف وأخذوا يتوغلون في آسيا الصغرى، في الوقت الذي لم تتورع فيه أطراف النزاع على العرش الإمبراطوري عن الاعتماد عليهم، بل وقاموا باستدعاء السلاجقة إلى قلب آسيا الصغرى، وسلموهم العديد من المدن لحراستها لهم-تلك المدن التي لم يكن قد دخلها السلاجقة من قبل- ولكن السلاجقة لم يكتفوا بحراسة هذه المدن وإنما قاموا بالاستيلاء عليها[٢].

وهكذا سيطر السلاجقة على معظم مدن آسيا الصغرى؛ الأمر الذي دفع الكسيوس إلى التوجه نحو الغرب الأوربي يطلب المساعدة للدفاع عن دولته ضد المد السلجوقي واسترداد آسيا الصغرى من السلاجقة، وما ترتب علي ذلك من استجابة البابا أوربان الثاني لتقديم المساعدة للدولة البيزنطية وحماية المسيحية الشرقية بعد أن انتهى دور الدولة البيزنطية في القيام بهذه المهمة، وزيادة على ذلك عجزت عن الدفاع هي نفسها عن أراضيها ضد المد السلجوقي، وكان من نتيجة ذلك قيام الحركة الصليبية.

ولهذا فإن «موقعة ملازكرد (مانزكرت) تبرر-في نظر كثير من المؤرخين- ما حدث سنة (**١٠٩٥**م) من دعوة للحرب الصليبية، على أساس أن هذه الدعوة إنما جاءت رد

---

(1)Cahen, Pre-Ottoman Turkey,Idem, Turkish Invasion, p. 149؛ p. 72؛
Brice, W.C., "The Turkish Colonisation of Anatolia", B.J.R.L., 38 (1955), pp. 18-19.

فشر، (هـ. أ. ل)، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة/ محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، ج١، (القاهرة **١٩٥٤**)، ص **١٧٢-١٧٣**.

(2)Vryonis, Social Basis, pp. 165-166؛Cahen, la Premiere Penetration, p. 33.

فعل للكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية سنة (١٠٧١م)»[١].

وكانت البداية عندما استغل ألب أرسلان الأول الحرب الأهلية التي نشبت بعد إطلاق سراح الأمبراطور رومانوس الرابع[٢]، وعزم على الهجوم على الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى والسيطرة عليها، فأعلن أنه سيذهب لينتقم لما حلَّ لحليفه رومانوس الرابع من هزيمة وإهانة على يد أعدائه وأعطى لرجاله حرية الغزو والفتح في آسيا الصغرى[٣].

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام وهو: هل كان السبب الحقيقي الذي دفع ألب أرسلان إلى إعلان ذلك هو رغبته في الانتقام لحليفه رومانوس الرابع؟ كما يقول زوناراس Zonaras بأنه «عندما علم بما جري لصديقه وحليفه استشاط غضبًا، وهاجم أراضي الروم لا لغزوها فقط بل للاستيلاء عليها»[٤].

في الواقع يبدو أن مبرر الانتقام هذا كان مجرد ذريعة تذرع بها ألب أرسلان لخرق المعاهدة التي كان قد عقدها مع رومانوس الرابع[٥]والهجوم على الأراضي البيزنطية، ذلك أنه لم يكن أمر رومانوس الرابع يهم ألب أرسلان في شيء، بل كان من مصلحته استمرار الحرب الأهلية داخل الدولة البيزنطية، والتي ستؤدي بالضرورة إلى مزيد من

---

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٧١.

(٢) اندلعت هذه الحرب الأهلية بعد عودة رومانوس الرابع من أسر السلاجقة ومحاولة استرداد عرشه بعد أن انتهز البيروقراطيون في العاصمة، فرصة أسره ونصبوا ميخائيل السابع دوقاس Michael VII Ducas (١٠٧١-١٠٧٨م) إمبراطورًا وخاض رومانوس الرابع لتحقيق ذلك سلسلة من المعارك انتهت بالقبض عليه وسمل عينيه.

لمزيد من التفاصيل:ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج٣، ص١٣٩؛ فايز نجيب إسكندر، موقعة ملازكرد وصداها في القسطنطينية (٢٦ أغسطس سنة ١٠٧١- ٤ أغسطس سنة ١٠٧٢م)، (القاهرة ١٩٨٧).

Franzius, Byz., Empire, pp. 291-292.؛ Vryonis, Decline, p. 110.

(3)Turan Anatolia, p. 233.Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 503-504.؛

Cahen, La Premiere Penetration, p. 31؛ Charanis, Byz. Empire, p. 193.

(4)Zonaras, Epitomae Historiarum, ed. Buttnerwobst, C.S.H.B, T.3, p. 709.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة بين الطرفين وبنودها:

ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٩٩؛ الحسيني، الدولة السلجوقية، ص ٥٢-٥٣.

مرسي الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣١٣.

الفوضى، الأمر الذي يسهل عملية الفتح السلجوقي لآسيا الصغرى، ومما يدل على ذلك أنه أثناء تلك الحرب لم يرسل ألب أرسلان المساعدة العسكرية لحليفه رومانوس الرابع الذي كان قد وعده بها، في حين أخذ الأخير ينتظرها أكثر من مرة، وراح يشجع رجاله على الصمود مبشرًا لهم بقرب وصول المساعدات السلجوقية، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث[1]، وبهذا يتضح أن دعوة الانتقام هذه كانت مجرد حجة للهجوم على آسيا الصغرى، وهو ما أكده كاهن بقوله: «إن قسم ألب أرسلان للانتقام كان مجرد ذريعة لإطلاق حرية السلاجقة للغزو»[2].

وفي خضم هذه الظروف لم يكن من المنتظر أن يقف ميخائيل السابع[3] مكتوف اليدين فحشد جيشًا كبيرًا سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م)، أسند قيادته إلى إسحاق كومنين Isaac Komnenos[4]، وضم إليه القائد النورماني روسل باليل[5] وبصحبته ٤٠٠ جندي من المرتزقة النورمان للتصدي للسلاجقة والحد من هجماتهم[6]، إلا أن ذلك الجيش لم يحقق ما كان يصبو إليه ميخائيل السابع، بل على النقيض من ذلك، إذ أتاح سلوكه الفرصة للسلاجقة لتحقيق مزيدًا من التوغل في آسيا الصغرى، وكان ذلك كله بسبب تمرد روسل[7]، الذي كان كما ذكر برينييوس السبب في أعظم ما وقع

---

(١) فايز إسكندر، موقعة ملازكرد، ص ١٦، ٢٢.

(2)Cahen, La Premiere Penetration, p. 31.

(٣) ميخائيل السابع، كان تلميذًا للمؤرخ ميخائيل بسللوس الذي مدح كثيرًا طبيعته المغرمة بالدرس وحب المطالعة.

نقلاً عن:

Charanis, Byz. Empire, p. 199; Hussey, Later Macedonians, p. 201.

(٤) إسحاق كومنين، هودمستق الشرق وابن شقيق الإمبراطور الذي يحمل نفس الاسم

Treadgold, Byz. State, p. 606.

(٥) انظر ما سبق ص ٣٢، هامش (١)

(6)Attaliatae, Historia, p.183; Bryennios, Les Quatre Livers, p. 503; Zonaras, Epitomae, 3, p. 709; Vryonis, Decline, p. 110; Treadgold, Byz. State, p.606.

(٧) كان روسل يفكر في الثورة منذ فترة لتحقيق هدفه بإقامة دولة نورمانية في آسيا الصغرى، وجاءت له الفرصة عندما قام إسحاق بمعاقبة أحد الجنود النورمان لقيامه بالإعتداء على السكان المحليين، فاتخذ هذا الحادث ذريعة للتمرد.

=

للإمبراطورية البيزنطية من شرور[1]؛ وذلك لأنه بعد انسحاب روسل التقى الجيش البيزنطي المضطرب بقيادة إسحاق كومنين بالسلاجقة، الذين كانوا يفوقونه عددًا وكفاءةً، فتمكنوا من هزيمته بالقرب من حدود قبادوقيا، ووقع عدد كبير من البيزنطيين في الأسر، كان من بينهم إسحاق كومنين نفسه، وتم تدمير معسكر الجيش البيزنطي[2].

على هذا النحو، فشلت آخر محاولة بيزنطية-حتى عهد الكسيوس- لإيقاف الزحف السلجوقي على آسيا الصغرى، الأمر الذي أدى إلى تزايد جرأة السلاجقة، فضاعفوا من هجومهم على آسيا الصغرى، وبدأوا في السيطرة على مداخل الطرق والممرات الحيوية الممتدة عبر هذا الإقليم، وفي احتلال الريف حول المدن، والقرى التي عزلوها عن بعضها البعض[3].

ومن ناحية أخرى استغل روسل هو الآخر هذه الهزيمة وقام باحتلال عدد من المدن شرق آسيا الصغرى، وفرض الضرائب عليها، بل وتمكن من هزيمة الجيش البيزنطي الذي أرسله ميخائيل السابع لقتاله وأسر قائده القيصر يوحنا دوقاس John Ducas مع عدد كبير من رجاله[4].

ونتيجة لازدياد خطر روسل وعجز القوات البيزنطية عن التصدى له اتخذ ميخائيل السابع خطوة على جانب كبير من الخطورة-سيكون لها أسوأ النتائج على

=

لمزيد من التفاصيل:

Attaliatae, Historia, pp. 183-184؛ Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 503-504؛ Zonaras, Epitomae, 3, p. 709؛ Vryonis, Decline, pp. 106-109.

سميرة يونس، النورمان والدولة البيزنطية، ص ٨٣.

(١) نقلاً عن:

Vryonis, Decline, p.18.

(2)Attaliatae, Historia, pp.183-184؛Bryennios, Les Quatre Livers, p. 504؛ Zonaras, Epitomae, 3, pp. 709-710؛ Cahen, La Premiere Penetration, p.33؛ Treadgold, Byz. State, p. 606.

(3)Attaliatae, Historia, p.184؛Vryonis, Decline, pp. 110-111؛ Treadgold, Byz. State, p. 606.

(4)Attaliatae, Historia, pp. 184 -185؛Zonaras, Epitomae, 3, p. 710؛ Vryonis, Decline, p.107.

النفوذ البيزنطي في آسيا الصغرى- وهي الاستعانة بالسلاجقة للقضاء على تمرده، فأرسل إلى الأمير السلجوقي أرتق[١] مقدمًا له الكثير من الأموال والهدايا، ووعده بأنه إذا نجح في القبض على روسل، وسلمه إليه سيكون من حق السلاجقة البقاء في كل ما يفتحونه من أراضي كان قد استولى عليها روسل من قبل[٢].

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام وهو: **كيف يجرؤ ميخائيل السابع على طلب مساعدة السلاجقة أعداء الدولة البيزنطية، الذين حاول الأباطرة البيزنطيون مرارًا التصدى لهم، بل إن رومانوس الرابع راح ضحية مقاومتهم، وميخائيل السابع نفسه كان قد أرسل منذ قليل جيشًا لإيقاف زحفهم؟، وكيف يسمح لنفسه بأن يقدم للسلاجقة هذا العرض الذي يجعل آسيا الصغرى لقمة سائغة في فمهم؟، ألم يكن ميخائيل السابع يدرك أطماعهم التي لن تنتهي عند هذا الحد، بل إنه بذلك سيفتح لهم الباب لمزيد من الأطماع في آسيا الصغرى؟.**

لا شك أن ميخائيل السابع كان مضطرًا لاتخاذ هذه الخطوة خاصة بعد أن زاد خطر روسل وأصبح يهدد مكانة الإمبراطور نفسه، عندما أعلن أسيره القيصر يوحنا دوقاس إمبراطورًا منافسًا له[٣]، فهو لم يكن يجهل أطماع السلاجقة لكنه ليس أمامه أحد

---

(١) ارتق هو: ارتق بن اكسب، جد الأرتقية ومؤسس دولتهم التي لعبت دورًا هامًا في مجريات الحوادث التاريخية لمنطقتي أعالي الشام والجزيرة في العصور الوسطى، وكان من بين العناصر السلجوقية التي استغلت الفوضى التي عمت الدولة البيزنطية بعد مانزيكرت وقام بالغزو في آسيا الصغرى.

لمزيد من التفاصيل:

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، يوسف على طويل- مريم قاسم طويل، (بيروت١٩٩٨)، ج١، ص ١٩٩؛ محمد رمضان بطران، بنو أرتق وسياستهم الخارجية في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ص ٤-٥

لمزيد من التفاصيل عن الظهور الفعلي لهذا الأمير ودوره وفتوحاته: محمد رمضان، بنو أرتق، ص ٤٥-٥٥.

(2)Attaliatae, Historia, p.189؛Scylitzae, Exoerpta, p. 710؛ Bryennios, Les Quatre Livers, p. 519؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p.73؛ Idem, La premiere penetration, p. 33؛Laurent, J. "Byzance et Les Origines du Sultant de Roum", Etudes Sur L' Histoire et sur L' Art de Byzance, in: Melanges Charles Diehl, I,

زبيدة محمد عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، (القاهرة د.ت)، ص ٥٦.

(3)Zonaras, Epitomae, 3, p. 710.Scylitzae, Exoerpta, 3, p. 710؛ =

سواهم ليستنجد به، فقد كانوا القوة الوحيدة القادرة على مساعدته في أزمته على حد قول رنسيمان(١).

على أي حال، فإن تصرف ميخائيل السابع هذا يدل على مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة البيزنطية وجيشها في الوقت الذي زادت فيه قوة السلاجقة ونفوذهم، كما أنه يدل على قصر نظر الإمبراطور البيزنطي وعدم إدراكه لعواقب الأمور، فالسلاجقة لم يقبلوا على تقديم هذه المساعدة رغبةً منهم في إنقاذ الدولة البيزنطية أو إقالتها في عثرتها، وإنما كان كل ما يعنيهم هو تحقيق هدفهم الأساسي وهو السيطرة على آسيا الصغرى، ومما يدل على ذلك أنهم عندما تمكنوا من هزيمة روسل والقبض عليه لم يسلموه لميخائيل السابع وفقًا لاتفاقهم معه، بل سلموه لزوجته قبل وصول المبعوث البيزنطي(٢).

مما لا شك فيه أن هذا العمل يدل على مدى ذكاء الأمير السلجوقي، الذي كان يدرك جيدًا أطماع روسل في الدولة البيزنطية التي لن تنتهي عند حد معين، وأنه إذا أطلق سراحه سيواصل اعتداءاته ضد الأراضي البيزنطية، الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من الفوضى، وعندئذٍ سيضطر الإمبراطور إلى الاستعانة بالسلاجقة مرة أخرى، مما سيعود بالنفع عليهم، ولذلك لم يسلم الأمير السلجوقي روسل لميخائيل السابع، وإنما سلمه لزوجته ليس لأنها افتدته بفدية كبيرة كما يذكر برينييوس(٣)؛ لأنه كان بإمكان هذا الأمير أن يساوم ميخائيل السابع، الذي بات في وضع حرج للغاية، الأمر الذي قد يضطره إلى قبول أي طلب، أو تقديم أية فدية يطلبها السلاجقة، ولكنه كان يطمع فيما هو أكبر من ذلك، ومن هنا قدم روسل لزوجته ولم يقدمه للإمبراطور لميخائيل السابع.

على أي حال، فإن ما خطط له الأمير السلجوقي قد حدث، فبعد أن أطلق صراح

=

Vryonis, Decline, p.107؛ Angold, Byz. Empire, p. 94.

(١) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص١١٤.

(2)Scylitzae, Exoerpta, pp. 710-712؛ Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 519-520؛ Zonaras, 3, Epitomae, p.711؛ Cahen, La Premiere Penetration, p. 33؛ Treadgold, Byz. State, p. 606.

(3)Bryennios, Les Quatre Livers, p. 520؛ (Zonaras, Epitomae,3, p. 711).

روسل انطلق نحو أرمينية، التي كان له فيها العديد من الأنصار، وعاوده الأمل في إنشاء دولة نورمانية في تلك الجهات، فاستولي على مدن أماسية Amaseia[١] وقيصرية الجديدة وعدة مدن أخرى ملحقًابها الدمار[٢]، وشكل تهديدًا خطيرًا للدولة البيزنطية، الأمر الذي دفع أتالياتس إلى القول: بأن الإمبراطور كان يفضل رؤية الأتراك (السلاجقة) في أراضي الروم على أن يرى هذا الرجل في أي شبر منها[٣].

كان ذلك كله في مصلحة السلاجقة؛ ذلك لأن ميخائيل السابع لم يلبث أن طلب مساعدتهم مرة أخرى، ولم يدع السلاجقة هذه الفرصة تضيع من أيديهم فقبل الأمير السلجوقي توتاق بترحاب عرض القائد البيزنطي الكسيوس كومنين بالتحالف ضد روسل، وضاربًا عرض الحائط باتفاقه السابق معه[٤].

الأمر الذي يوضح كيف أن السلاجقة كانوا يستغلون كل فرصة ممكنة قد تحقق لهم مزيدًا من السيطرة على أجزاء من آسيا الصغرى بغض النظر عن الطرف الذي يحالفونه فالوقوف إلى جانب ميخائيل السابع سيحقق لهم مكاسب أكبر من الوقوف إلى جانب روسل الذي قام منذ قليل بمهاجمة المدن الأرمينية التي كان السلاجقة يسيطرون

---

(١) أماسية أو أماصية، مدينة كبيرة على نهر ليكوس جنوب بحر بنطس، ونقطة اتصال الطرق الحيوية التي تمر بالمنطقة:

لمزيد من التفاصيل:

أبو الفدا، تقويم البلدان، ص **٣٨٣**؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص **١٩٨**.

O.D.B., I, 3, p. 74.

(2)Zonaras, Epitomae, 3, p. 712؛ Vryonis, Decline, p.107؛ Anglod, Byz, Empire, p. 94.

(3)(Scylitzae, Exoerpta, p. 713)Attaliatae, Historia, p.199؛

(4)Attaliatae, Historia, p.199؛Scylitzae, Exoerpta, p. 713؛ Bryennios, LesQuatre Livers, p. 522؛ Anna Comnena, Alexiad, pp. 33-34؛ Zonaras, Epitomae, 3, p. 712؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 73؛Idem, La Premiere Penetration, p. 33؛ Vryonis, Decline, p.108؛

- كان هناك تحالف بين روسل وتوتاق، حيث تحالف روسل مع الأمير السلجوقي، وذلك للاستعانة بقواته العسكرية لإجبار المدن التي امتنعت عن دفع الضرائب له لدفعها بالقوة.

Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 521- 522.

عليها[١].

وقد أخذ القائد الكسيوس كومنين يحصي هذه المكاسب لمبعوث الأمير توتاق إليه والتي يأتي على رأسها كسب ثقة الإمبراطور، هذه الثقة التي تجعله يعتمد على مساعدة السلاجقة ضد أي خطر قد يهدد دولته، ومن هنا استغل توتاق فرصة قدوم روسل إليه وقام بالقبض عليه وسلمه لالكسيوس كومنين[٢].

على أي حال، إذا كان تمرد روسل قد انتهى بالفشل، إلا أنه أظهر عجز الدولة البيزنطية عن التصدى للخارجين عليها، وهو الأمر الذي اضطرها إلى اللجوء إلى السلاجقة الذين أدركوا مدى ضعفها مما شجعهم على اجتياح مدن آسيا الصغرى وقراها حتى وصلوا بهجماتهم إلى إقليم بيثينيا[٣] ودمروا العديد من أراضيه[٤].

ومما يدل على مدى الانتشار السلجوقي في آسيا الصغرى في هذه الفترة ما ذكره القائد الكسيوس كومنين عن رحلة عودته مع أسيره روسل إلى القسطنطينية، حيث تعرض لهجوم السلاجقة أكثر من مرة، وكاد أن يقع في أسرهم عند مدينة كستمون Kastamon[٥] -التي دمرها السلاجقة- ، وعند وصوله إلى مدينة هرقلة (هرقلية

(1)Scylitzae, Exoerpta, p. 713.Attaliatae, Historia, p.198؛

(2)Attaliatae, Historia, p.199؛ Scylitzae, Exoerpta, p. 713؛ Bryennios, Les Quatre Livers, p. 522؛Zonaras, Epitomae, 3, p.712؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 73؛ Idem, La Premiere Penetration, p.33؛ Treadgold, Byz. State, p. 606.

(٣) بيثينيا، إقليم يقع في شمال غرب آسيا الصغرى في مواجهة مدينة القسطنطينية، ويشمل على ثلاث مناطق وهي نيقوميديا، ونيقية، وخلقدونية.

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, p. 94؛ O.D.B.,I, p. 292.

(4)Vryonis, Decline, p.108.

سميرة يونس، النورمان والدولة البيزنطية، ص ٨٦.

(٥) كستمون أو قصطمونية، مدينة غنية واسعة تقع شرق آسيا الصغرى وهي موطن أسرة كومنين، أحتلت مكانة هامة في الفترة البيزنطية المتأخرة.

أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٣٩٢-٣٩٣؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢١.

O.D.B.,2, p. 1110.

Heracleria)[1] تعرض لهجوم آخر، الأمر الذي دفعه إلى التخلي عن مواصلة الرحلة برًّا، واتخذ سفينة عبر بحر بنطس إلى القسطنطينية[2].

فضلاً عن ذلك فإن تلك التمردات كانت دليلاً على ضعف الحكومة المركزية، وهذا في حد ذاته كان مكسبًا للسلاجقة، وسياسة «فرق تسد» سياسة لها ثقلها الكبير على مدار التاريخ وفي كل الأحقاب، فمعني التمرد: هو لجوء الإمبراطور البيزنطي والمتمرد لطلب المساعدة السلجوقية، وفي أحيان كثيرة كان يقف السلاجقة إلى جانب المتمرد ليس تعاطفًا معه؛ وإنما إضعافًا للحكومة البيزنطية، الأمر الذي يتيح لهم مزيدًا من الحرية لتحقيق أهدافهم في آسيا الصغرى.

ومهما يكن من أمرٍ فقد استمر الهجوم السلجوقي على آسيا الصغرى طيلة عهد ميخائيل السابع دون أن يستطيع التصدي له، وأصبحت مدينة كريسوبوليس Chrysopolis[3]–التي لا يفصلها عن القسطنطينية سوى بعض الممرات- مستقرًا وقاعدة للسلاجقة التي وصلت إغاراتهم إلى بحر إيجة[4].

سرعان ما استغل القائد البيزنطي بوتانياتس –قائد ثغر الأناتوليك- سوء أوضاع الدولة البيزنطية في عهد ميخائيل السابع بصفة عامة، وعجزه عن التصدي للتوغل السلجوقي في آسيا الصغرى بصفة خاصة، التي أضحت على حد قول:«أتالياتس ميدانًا لغزوات الأعداء... وأصبحت القسطنطينية نفسها مهددة بهذه الخطر بسبب عجز

---

(١)هرقلة أو أركلية، وهي أركلية الحديثة مدينة بآسيا الصغرى عامرة بالسكان وميناء جيد على ساحل بحر بنطس شمال بافلاجونيا.

لمزيد من التفاصيل:

أبو الفدا، تقويم البلدان، ص **٣٨٣**؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج**٣**، ص **١٤٥٦**؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص **١٦٦**.

O.D.B.,I, pp. 915-916.

(2)Bryennios, Les Quatre Livers, p. 520; Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 72; Idem, La Premiere Penetration, pp. 33-34.

(٣) كريسوبوليس، ميناء هام على الشاطئ الشرقي لمضيق البسفور وضاحية لخلقدونية.

O.D.B.,I, p. 455.

(4)Vryonis, Decline, p.112.

سلطاتها وتقصيرها»[١]؛ للقيام بالتمرد[٢]، خاصة بعد أن عقد ميخائيل السابع سنة (**٤٦٥—٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م**) اتفاقية مع سليمان بن قتلمش –مؤسس سلطنة سلاجقة الروم– تنازل فيها عن بعض مدن آسيا الصغرى –التي سبق للسلاجقة الاستيلاء عليها– في مقابل تقديم المساعدة العسكرية للدولة البيزنطية وقت الحاجة، الأمر الذي أدى إلى تزايد نفوذ السلاجقة واكتساب فتوحاتهم صفة الشرعية بهذا الاعتراف[٣].

ومن هنا عندما أعلن بوتانياتس تمرده أرسل ميخائيل السابع إلى سليمان بن قتلمش ورجاله مخاطبًا لهم بالأخوة والأقارب، طالبًا مساعدتهم وواعدًاإياهم بالكثير من الأموال والهدايا إذا نجحوا في القبض على هذا المتمرد وتسليمه له[٤].

وقد أخطأ ميخائيل السابع مرة أخرى بطلبه هذه المساعدة، إذ لم يكن من مصلحة السلاجقة بأي حال من الأحوال القضاء على حركات التمرد التي كانوا يحققون من ورائها العديد من المكاسب، وخير دليل على ذلك موقفهم من أنصار بوتانياتس، إذ كانوا يسمحون لهم بعبور المناطق التي كانوا يسيطرون عليها دون اعتراض طريقهم أثناء ذهابهم إليه (بوتانياتس)، وفي هذا الصدد يقول أتالياتس: «إنهم (السلاجقة) عندما كانوا يسألون أي شخص ويعلمون أنه متجه إلى بوتانياتس يفسحون له الطريق» مشجعين بذلك على استمرار تمرد بوتانياتس ونجاحه[٥]، ولكن طلب ميخائيل السابع المساعدة هذا كان في صالح السلاجقة، حيث لجأ بوتانياتس هو الآخر إليهم طالبًا

---

(1)Attaliatae, Historia, p.21

(2)Attaliatae, Historia, pp.212-213؛ Scylitzae, Exoerpta, p. 726؛ Bryennios, Les Quatre Livers, p. 894؛ Zonaras, Epitomae, 3, p. 715؛ Vryonis, Decline, p.105؛ Angold, Byz. Empire, p. 69.

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج**٣**، ص **١٤٤**.

(**٣**) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٧٨؛ حسنين ربيع، الدولة البيزنطية، **١٩٧**.

Finaly, Hist., Greece, 3, p. 88.

(4)Attaliatae, Historia, p.240؛ Scylitzae, Exoerpta, p. 726؛Bryennios, Les Quatre Livers, p. 894؛ Zonaras, Epitomae, 3, p.715؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 75؛Idem, La Premiere Penetration, p.43؛ Angold, Byz. Empire, p. 96.

(5)Attaliatae, Historia, p.269؛ (Scylitzae, Exoerpta, p. 733).

مساعدتهم، الأمر الذي ترتب عليه مزيد من المكاسب بالنسبة لهم.

لكن أليس من المدهش أن يطلب بوتانياتس مساعدة السلاجقة وهو الذي تمرد بسبب عجز السلطات البيزنطية عن التصدي لهم؟!، ألم يكن يدرك أنه بهذا التصرف سوف يقدم للسلاجقة مزيدًا من الفرص للتوغل في آسيا الصغرى والسيطرة على أراضيها؟ فلماذا إذًا طلب هذه المساعدة؟

يبدو أن مفتاح تفسير موقف بوتانياتس يكمُن في الظروف التي أحاطت به، فبالرغم من أن بوتانياتس حاول إخفاء مسيرته إلى نيقية عن السلاجقة وسار إليها ليلاً في طرق غير مألوفة، إلا أن عيونهم استطاعت أن تترصده وتكتشف سيره، وأحاطوا به من كل جهة، وعبر المؤرخ أتالياتس عن هذه المراقبة لبوتانياتس بقوله: «لقد احتشد الأعداء (السلاجقة) ضد (بوتانياتس) من كل صوب... وأحاطوا به من كل جهة... وساروا إلى جواره كأنهم حرس لموكبه»[١].

يضاف إلى ذلك أن السلاجقة كانوا في هذه الفترة يسيطرون على العديد من الطرق والممرات التي تخترق جوف آسيا الصغرى، كما أنهم شنوا هجماتهم على معظم أجزائها بل ووصلوا إلى أقصى غرب آسيا الصغرى، إلى مدن خلقدونية وكريسوبوليس التي أصبحت «موطنا للأتراك»[٢]، ومن هنا كان بوتانياتس مضطرًا -حتى يضمن نجاح تمرده ووصوله إلى القسطنطينية آمنًا- أن يعمل على استمالة السلاجقة إليه وإغرائهم بشتى الوسائل للوقوف إلى جواره، فأرسل إليهم طالبًا مساعدتهم وقدم لهم الكثير من الأموال والوعود بتحقيق مكاسب أكبر إذا وقفوا إلى جانبه وتركوا جانب ميخائيل السابع[٣]، وكانت هذه هي الفرصة التي انتظرها السلاجقة فتخلوا عن ميخائيل السابع واتجهوا إلى بوتانياتس مرحبين[٤].

---

(1)Attaliatae, Historia, p.264.

(2)Vryonis, Decline, p.111 Attaliatae, Historia, p.264 ؛

(3)Attaliatae, Historia, p.240؛ Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 894-895؛ Charanis, Byz. Empire, p. 201؛Vryonis, Decline, p.105 .

(4)Attaliatae, Historia, p.241؛ Scylitzae, Exoerpta, p. 732؛Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 7؛Idem, La Premiere Penetration, p. 43؛ Laurent Byzance et Les Origines, p. 178؛ Angold, Byz. Empire, p. 96.

هكذا تخلى السلاجقة عن ميخائيل السابع الذي وقفوا إلى جواره أكثر من مرة، وساعدوه في القضاء على تمرد روسل، الأمر الذي يؤكد ما سبق ذكره، من أن كل ما كان يعني السلاجقة هو تحقيق مصالحهم فقط، فهم يتحالفون مع من يقدم لهم امتيازات أكثر، وفي هذه المرة كان بوتانياتس الذي يبدو أن سليمان بن قتلمش قد أدرك رجحان كفته، خاصة بعد أن رأي بعيني رأسه التأييد الكبير لتمرده ومبايعة سائر المدن وخضوعها له في طريقه إلى نيقية وتسليم حامياتها لقواته[١].

ومن هنا كان الوقوف إلى جانب بوتانياتس (صفقة مضمونة)، فتحالف السلاجقة معه وجاءه سليمان ومنصور ابنا قتلمش وغيرهما من السلاجقة في مدينة نيقية وأظهروا له من مظاهر الطاعة والخضوع مالم يظهروه لأحد من قبله لا من سلاطين السلاجقة أو أباطرة الروم[٢]، وقد كان ذلك كله من أجل كسب ثقته والحصول على عطاياه، وبالفعل نجح السلاجقة في تحقيق ذلك إلى حد كبير، فقد استقبلهم بوتانياتس بحفاوة بالغة وخاطبهم بأجمل العبارات، ليس هذا فحسب، بل وسمح لهم بنصب خيامهم خارج نيقية كحاميات تعمل على خدمته بل وكل المدن التي استسلمت لبوتانياتس في طريقه إلى القسطنطينية مثل خلقدونية Chalcedon وبيلاي Pylae[٣] وكريسوبوليس ونيقوميديا Nikomedeia[٤] قام بتسليمها لهم، وبذلك دخل السلاجقة هذه المدن الهامة شمال غرب آسيا الصغرى على يد بوتانياتس لأول مرة،

---

(1)Attaliatae, Historia, p.264.

(2)Zonaras, Epitomae,3, pp. 716-726؛Attaliatae, Historia,p226.

(٣) بيلاي، ميناء هام على ساحل بحر مرمره لشحن المواد الغذائية للقسطنطينية واقلع منه رومانوس الرابع سنة ١٠٧١م في حملته المشئومة في مانزيكرت.

O.D.B.,3, p. 1760.

(٤) نيقوميديا، مدينة هامة في إقليم بيثينيا، أطلق عليها الجغرافيون المسلمون اسم نقمودية أو نقموذية، وهي أزميت الحالية Izmit، وكانت قاعدة عسكرية هامة للدولة البيزنطية

لمزيد من التفاصيل:

لسترانج، بلدان الخلافة، ص ١٩٠؛ رايس (تامارا تالبوت)، السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ترجمة/ لطفي الخوري- إبراهيم الداقوقي، (بغداد ١٩٦٨)، ص ٤٧-٤٨، حاشية ١٠

O.D.B.,3, p. 1483.

وكانوا ظاهريًّا يعملون في خدمته بينما في الحقيقة كانوا يعملون لتحقيق أهدافهم[1]، علاوة على ذلك فإنه عندما تم تتويجه إمبراطورًا في القسطنطينية، من الطبيعي أن يرد الجميل لمن قدموا له يد العون والمساعدة وقاموا بحراسة المدن له حتي وصل إلى القسطنطينية، فبذل الأموال والهدايا بسخاء على معاونيه خاصة السلاجقة الذين لم يأل جهدًا في إرضائهم[2].

ومهما يكن من أمر، فإن تمرد بوتانياتس مثل تمرد روسل من قبله، قد عاد على السلاجقة بالكثير من المكاسب؛ حيث مكنهم من الاستقرار على الشاطئ الآسيوي للبسفور، ولم يعد بمقدور البيزنطيين من الآن فصاعد طردهم من هذا المكان أو حتى الاقتراب منه[3]، بل ويمكن القول إنه بعد نجاح تمرد بوتانياتس فإن المنطقة الممتدة من بحر بنطس وحتى بحر مرمرة قد خضعت تمامًا لسيطرة السلاجقة[4].

لم تلبث الأقدار أن ساقت للسلاجقة فرصة جديدة لإحراز نجاح آخر في آسيا الصغرى، وذلك عندما أعلن نقفور برينييوس تمرده ضد ميخائيل السابع سنة(**٤٧٠هـ ١٠٧٧م**)، وأعلن نفسه إمبراطورًا وحشد له أخوه جيشًا في أدريانوبل اتجه به إلي القسطنطينية للإستيلاء عليها[5].

وعندما فشلت وسائل بوتانياتس الدبلوماسية –بعد اعتلائه العرش[6]– للقضاء

(1)Attaliatae, Historia, pp.266-268؛ Scylitzae, Exoerpta, pp. 723-733؛ Vryonis, Decline, pp.106-133؛ Laurent, Byzance et Les Origines, pp. 180 -181؛ Charanis, Byz. Empire, p. 201؛ Angold, Byz. Empire, p. 96.

(2)Scylitzae, Exoerpta, p. 735؛Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 898-899؛ Treadgold, Byz. State, p. 607.

(3)Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 75؛ Idem, La premiere penetration, p. 43؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 50.

(4)kafesoglu, Seljuks, p. 50.

(5)Scylitzae, Exoerpta, p. 727Attaliatae, Historia, pp.242-243؛ Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 901-905؛ Zonaras, Epitomae,3, pp. 716-717؛ Ostrogorsky, Byz. State, p.307.

(٦) عندما أعلن برينييوس تمرده حاول بوتانياتس كسبه إلى جواره، فأرسل إليه مذكرًا إياه بالعلاقات الودية التي كانت تجمع بينه -أي بوتانياتس- وبين والده، وعرض عليه أن يتبناه وينصبه قيصرًا ولكن المفاوضات =

على تمرد برينييوس وكسبه إلى جواره، لجأ إلى السلاجقة حلفاء الأمس يطلب مساعدتهم، فأرسل إلى منصور وسليمان ابني قتلمش في نيقية مقدمًا لهما الكثير من الأموال والوعود إذا ساعدوه في القبض على برينييوس[1].

إن استعانة بوتانياتس بالسلاجقة تدل على المكانة الهامة التي وصل إليها السلاجقة في ذلك الوقت وما سيطروا عليه من مناطق في آسيا الصغرى، فعندما تمرد برينيوس كانت الدولة البيزنطية تمر بظروف حرجة، فقد ضعف جيشها وتدهورت أوضاعها، وأدى التوغل السلجوقي إلى تشتت جيوش الأقاليم الشرقية في كل اتجاه للتصدى لهذا المد الكاسح، هذا بالإضافة إلى ازدياد قوة السلاجقة الذين أصبحوا يسيطرون على كل مقاطعات آسيا الصغرى الواقعة بين بحر بنطس ومضيق الدردنيل (الهلليسبونت Hellespont) وبحر إيجه وفرضوا سيطرتهم على معظم أنهارها[2].

كما أنه قد سبق لبوتانياتس الاستعانة بالسلاجقة، فأتاحوا له الفرصة للجلوس على العرش ليكون عميلاً وحليفًا لهم، ومن ثم فقد كان يدرك أن السلاجقة حريصون تمامًا على وجوده على العرش؛ لأنه إذا جلس شخص آخر عليه دون مساندتهم لن يدين لهم بأي فضل وسيكون مناوئًا لهم ويعمل على انتزاع ما سيطروا عليه في آسيا الصغرى.

في ظل هذه الظروف لم يكن أمام بوتانياتس، سوى طلب مساعدة السلاجقة لمواجهة خطر تمرد برينييوس، الذي كان في طريقه إلى القسطنطينية لإقصائه عن منصبه، وكان من مصلحة السلاجقة مساعدته وبقائه على العرش، لذا لبوا دعوته مسرعين[3]؛ فقد أمده السلاجقة بصفة مبدئية بقوة تتألف من**٣** آلاف فارس التحقوا بالقائد الكسيوس كومنين، وأثبتت هذه القوة جدارتها، في القتال الذي دار بين القوات

=

بينهما انتهت بالفشل.

Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 903-904.

(1)Bryennios, Les Quatre Livers, p. 902؛Attaliatae, Historia, p. 289؛

Anna Comnena, Alexiad, p. 39؛Laurent, Byzance et Les Origines, p. 181.

(2)Anna Comnena, Alexiad, p. 39.

(3)Bryennios, Les Quatre Livers, p. 902؛Scylitzae, Exoerpta, p. 736؛

Vryonis, Decline, p.106.

البيزنطية بمصاحبة السلاجقة وقوات برينييوسإذ أظهرت هذه الفرقة مهارة فائقة، وكان للرماية والكمائن السلجوقية الدور الحاسم في إنهاء المعركة لصالح بوتانياتس، والقضاء على جيش برينييوس الذي وقع الكثير من رجاله أسرى للسلاجقة(١).

لاشك أن هذه الأحداث التي مرت بها الدولة البيزنطية منذ موقعة مانزيكرت قد أثبتت قوة وجدارة السلاجقة ورجحان كفة من يقفون إلى جواره؛ ولهذا عندما أعلن نقفور ميليسينوس Nicephoros Melissenos(٢) تمرده في جزيرة كوس Cos(٣) سنة (**٤٧١-٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م**)، وإيمانًا منه بقوة السلاجقة العسكرية المهيمنة على آسيا الصغرى، وتقليدًا لمن سبقه من المتمردين، طلب مساعدة السلاجقة، الذين سرعان ما تخلوا عن بوتانياتس-حليف الأمس- واتجهوا إلى ميليسينوس(٤)، الذي قدم لهم عرضًا مغريًا، ففي مقابل إمداده بالقوات العسكرية التي ستساعده في دخول القسطنطينية يكون من حقهم الحصول على نفس المدن والمقاطعات التي يستولون عليها من بوتانياتس(٥).

لا غرو في أن ميليسينوس كان ذكيًا بتقديمه هذا العرض السخي للسلاجقة، فقد كان يدرك تمامًا أنهم لن يترددوا في مساعدته وفي التخلي عن بوتانياتس أمام هذا الإغراء

---

(1)Scylitzae,Exoerpta,pp.736-737؛ Attaliatae,Historia, pp.289-291؛Bryennios, Les Quatre Livers, pp. 902-912؛Anna Comnena, Alexiad, pp. 44-45؛ Kaegi, Contribution of Archery, p. 107؛ Cahen, La Premiere Penetration, p. 43.

(٢) نقفور ميليسينوس، ينتمي لأسرة ميليسينوس، وهي أسرة بيزنطية عريقة لمع أفرادها منذ القرن التاسع الميلادي فتولوا مناصب الحكم والقيادة، ونقفور هذا يتصل بهذه الأسرة من ناحية الأم، وفي نفس الوقت ارتبط بنسب مع عائلة كومنين عن طريق زواجه من إيدوكيا Eudokiaأخت الكسيوس.

Bryennios, Les Quatre Livers, p. 921؛ O.D.B.,2, p. 1335.

(٣) جزيرة كوس تقع شمال شرق جزيرة رودس، وزادت أهميتها في القرن الحادي عشر الميلادي، وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي تولى حكمها نقفوركومنين جد أنا كومنينا.

O.D.B.,1, p. 1150.

(4)Angold, Byz. Empire, p. 96؛Bryennios, Les Quatre Livers, p. 92

Cahen, La Premiere Penetration, p. 43؛ Ostrogorsky, Byz. State, p.308.

رايس، السلاجقة، ص ٤٨.

(5)Laurent, Byzance et Les Origines, p.181.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١،ص ٧٤.

الكبير، وبناء على ذلك الاتفاق فإن كل مدن آسيا الصغرى التي فتحت أبوابها لميليسينوس اضطر إلى تسليمها للسلاجقة، ولذلك فإنه في غضون فترة قصيرة كانت مدن فريجيا Phrygia(١) وجلاتيا Galatia(٢) حتي نيقية وكزيكوس Cyzicus(٣) احتلها السلاجقة(٤).

إلا أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته أنه إذا كان السلاجقة قد وصلوا إلى بعض هذه المناطق عن طريق توسعهم أو بمساعدة المتمردين على الدولة البيزنطية، إلا أنهم قد استقروا في بداية الأمر في الريف فقط حول المدن دون أن يستطيعوا دخولها، ولكن مع ميليسينوس دخلوا هذه المدن وأقاموا حامياتهم بداخلها، بل وكان احتلالهم لها احتلالًا نهائيًا، ذلك أنه عندما فشل تمرد ميليسينوس وطلب منهم الانسحاب من هذه المدن رفضوا ذلك، وبما أنه لم يكن يمتلك القوة العسكرية لإجبارهم على تنفيذ رغبته، فقد استقر السلاجقة في هذه المدن(٥).

على أي حال يمكن القول بأن تمرد ميليسينوس قد سلم مدن وسط آسيا الصغرى

---

(١) فريجيا، منطقة جبلية في آسيا الصغرى تقع بين السهول الإيجية والسهل الأوسط، ولها أهمية إستراتيجية كبيرة لمرور العديد من الطرق الهامة بها

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, p. 180؛ O.D.B.,3, p. 11671.

(٢) جلاتيا، منطقة هامة في آسيا الصغرى تمتد من جبال بافلاجونيا شمالًا حتى بحيرة الملح جنوبًا ومن نهر سنجاريوس إلى الهاليس، حققت أهمية كبيرة لوقوعها على الطرق الحيوية الممتدة من القسطنطينية إلى آسيا الصغرى.

Ramsay, Historical Geography, p. 252؛ O.D.B.,1, p. 816.

(٣) كزيكوس، مدينة على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة، وتقع على بداية الطرق المؤدية إلى آسيا الصغرى.

Ramsay, Historical Geography, pp. 119-120؛O.D.B.,1, p. 1640.

رايس، السلاجقة، ص ٤٧، حاشية ٨.

(4)Bryennios, Les Quatre Livers, p. 921؛Laurent, Byzance et Les Origines, p. 181؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 75؛Idem, La Premiere Penetration, p.43؛Laurent, Byzance et Les Origines, p. 181؛ Charanis, Byz. Empire, p.201.

(5)Cahen, La Premiere Penetration, p. 43؛ Laurent, Byzance et Les Origines, p. 181؛ Charanis, Byz. Empire, p. 201.

وغربها للسلاجقة[1]. وتأكدت هذه السيطرة عندما فشلت آخر المحاولات البيزنطية لطرد السلاجقة من نيقية حيث تمكنت القوات السلجوقية من هزيمة الحملة التي أرسلها بوتانياتس لطرد السلاجقة منها سنة (٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م)[2].

على هذا النحو استولى السلاجقة على معظم مدن آسيا الصغرى مستغلين فرصة الحرب الأهلية التي اجتاحت الدولة البيزنطية بعد موقعة مانزيكرت وأدت إلى تبديد طاقاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية أيضًا، في وقت كان أعداؤها خاصة السلاجقة يتربصون بها الدوائر، فبدلًا من توجيه هذه الطاقات لقتال السلاجقة، تم تبديدها في الصراع على السلطة والقضاء على المتمردين، حيث كان الوصول للعرش الإمبراطوري لدى هؤلاء المتصارعين أكثر أهمية من الدفاع عن آسيا الصغرى وحمايتها ضد السلاجقة، فعمل كل طرف منهم على كسب ود السلاجقة واللجوء إلى مساعدتهم مهما كانت النتائج، تلك المساعدات التي كان يقابلها مزيد من سيطرة السلاجقة على آسيا الصغرى والاستقرار بها[3].

صفوة القول، أن البيزنطيين أنفسهم قد ساعدوا على التوغل السلجوقي في آسيا الصغرى، فبدون هذه الفوضى السياسية التي غرقت فيها الدولة البيزنطية، لم يكن في استطاعة السلاجقة الوصول إلى تلك الجهات البعيدة من هذا الإقليم التي وصلوا إليها بصحبة المتمردين، فقد فتحت الحرب الأهلية أبواب آسيا الصغرى للسلاجقة وكانت ثمرتها تأسيس سلطنة سلاجقة الروم[4]التي اتخذ مؤسسها سليمان بن قتلمش من مدينة نيقية القريبة من القسطنطينية عاصمة لها سنة**٤٧٣-٤٧٤**هـ/ **١٠٨١**[5].

---

(1)Vryonis, Decline, p. 133.

(2)Turan, Anatolia, p. 235.

(3)Vryonis, Social Basis, p. 165؛ Idem, Decline, p. 103؛ Angold, Byz. Empire,p. 95؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 33؛ Vasiliev, Byz. Empire, I, p. 357.

السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ١٠٥٠-١١٩٣م، (القاهرة ١٩٦٣)، ص ٨.

(4)Lilie, R.J.,"Twelfth-Century Byzantine and Turkish States",B.F.,16 (Amsterdam 1991), p. 37؛ Anglod, Byz, Empire, p. 97؛Cahen, Turkish Invasion, p. 150.

فايز اسكندر، موقعة ملازكرد، ص ٢٨.

(5)Anna Comnena, Alexiad, p. 129؛ Laurent, Byzance et Les Origines, p. =

ومن هذا المكان أخذت سلطنة سلاجقة الروم في التوسع والامتداد حتى وصلت إلى شواطئ بحر بنطس في الشمال والبحر المتوسط في الجنوب، وفي التوسع غربًا حتي سيطرت على ثلاثة أرباع آسيا الصغرى وصارت عدوا خطيرًا للدولة البيزنطية(١).

وعندما اعتلى الكسيوس كومنين العرش الإمبراطوري سنة ١٠٨١م بدت آسيا الصغرى وكأنها انتقلت نهائيًا إلى أيدي السلاجقة على حد قول فريونس Vryonis(٢)إذ اجتاح السلاجقة أراضيها وهاجموا منطقة بيثينيا ووصلوا إلى مضيق البسفور نفسه عند مدينة دماليس Damalis(٣)،وأصبحوا السادة الحقيقيين لآسيا الصغرى من الفرات شرقًا حتى بحر مرمرة غربًا(٤)، بينما تمثل النفوذ البيزنطي في وجود عدد من الموظفين في هرقلة وموانئ بافلاجونيا وقبادوقيا وكوما Khoma(٥) وطرابيزون وبعض المناطق القليلة الأخرى، هذا بالإضافة إلى وجود الأرمن في منطقة جبل طوروس وطوروس الداخلية(٦) الذين كانوا يدينون بالولاء للدولة البيزنطية(٧).

=

177؛Taeschner, Turks and Byzantine, p. 740.

الحريري، الإعلام والتبيين بخروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق/ سهيل زكار، (دمشق د.ت)، ص ٢٧-٢٨.

(1)Vasiliev, Byz. Empire, I, pp. 357-358.

(2)Vryonis, Decline, p. 114.

(3)Anna Comnena, Alexiad, p. 129؛Chalandon, Essai sur le Regne D'Alexis 1er Comnene (1081-1118), (Paris 1900), pp. 71-72.

(٤) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٧٥.

(٥) كوما، مدينة صغيرة في إقليم فريجيا بالقرب من نهر الماندر على الطريق الممتد بين أعالي نهر الماندر وشرق آسيا الصغرى،

Ramsay, Historical Geography, p. 80؛ Foss, Defenses of Asia Minor,p148.

(٦) جبال طوروس، سلسلة جبال عظيمة تفصل آسيا الصغرى عن غيرها، ومن أشهر جبالها جبل اللكام الذي يطلق أحيانا عليها جميعًا.

لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٣٨، ١٦٠، ١٦٢.

(7)Vryonis, Decline, p.114؛Diehl,Ch.,Byzantium:Greatness and Decline, English Trans. Walford, N., (U.S.A. 1957), p. 205.

ينبغي ملاحظة أنه بالرغم من تحديد النفوذ البيزنطي في هذه الجهات، فإنه من العسير أن نحدد بدقة الممتلكات البيزنطية في هذه الفترة أو في أي وقت أخر أثناء حكم الكسيوس؛ وذلك لأنه حتي المناطق التي سيطر عليها

من هنا كان على الكسيوس ضرورة التصدي لهذا الخطر الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى من عاصمته، فقام ببعض العمليات العسكرية المحدودة لطرد السلاجقة من ضواحي نيقوميديا وإعادة السيطرة على مضيق البسفور-عن طريق شن حرب الكمائن ضدهم التي تمثلت في قيام فرق من الفرسان البيزنطيين بالهجوم المفاجئ ليلاً ثم العودة بسرعة إلى قاعدة انطلاقها- إلا أن هذه المجهودات لم تستمر طويلاً وذلك بسبب التهديد النورماني لسواحل إيطاليا من جهة وازدياد خطر البشناق من جهة أخرى[١].

عند ذلك اضطر الكسيوس إلى توقيع معاهدة صلح مع سليمان بن قتلمش في شهر يونيه **١٠٨١**م؛ لضمان أمان الجهة الشرقية-آسيا الصغرى- من ناحية والحصول على مساعدة السلاجقة أثناء قتاله مع النورمان من ناحية أخرى[٢]، وقد نصت هذه المعاهدة على جعل نهر دراكون Drakon-نهر صغير يصب في بحر مرمرة- حدًّا فاصلاً بين الحدود البيزنطية والسلجوقية، وتم منع السلاجقة من عبوره أو حتي الاقتراب من منطقة بيثينيا تحت أي ظرف من الظروف[٣].

وقد اختلفت الآراء حول الطرف الذي بدأ بطلب الصلح فتذكر أناكومنيا، أنه نتيجة لانتصارات الكسيوس على السلاجقة اضطر سليمان بن قتلمش أن يطلب بإلحاح

=

البيزنطيون كانت عرضه للهجوم السلجوقي.

Foss, Defenses of Asia Minor, p. 148.

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 129-130؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene, pp.72-73؛Vryonis,Declinep114,

سميرة يونس، النورمان والدولة البيزنطية، ص **١٠٣**.

(2)Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 75؛ Idem, La Premiere Penetration, p. 43؛ Angold, Byz. Empire, p. 112؛

هسي (ج.م) العالم البيزنطي، ترجمة / رأفت عبد الحميد، (القاهرة، **١٩٩٧**)، ص **١٥١**.

- لقد تم تقديم هذه المساعدة بالفعل فأثناء قتال الكسيوس مع النورمان أرسل إلى سليمان يطلب مساعدته فأرسل له الأخير فرقة عسكرية تألفت من ٧ آلاف فارس ساعدته في إحراز الانتصار على النورمان.

Laurent, Byzance et Les Origines, p. 182؛ Norwich, J.J., Byzantium, TheDecline and Fall, (New York 1996), p. 20.

(3)Anna Comnena, Alexiad, p. 130؛Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 72؛ Vryonis, Decline, p. 114 .

كبير منه معاهدة سلام فوافق الكسيوس على ذلك مسرورًا[١]، ويعتقد شالندو Chalandon في عدم صحة هذه الرواية، ويرى أن مبادرة السلام هذه جاءت من الكسيوس، ويدلل على صحة رأيه: بأنه من غير المحتمل أن يكون نتيجة لهذه النجاحات المحدودة أن يقدم سليمان بن قتلمش على اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة[٢].

لا شك أن رأي شالندو هو الأقرب إلى الصواب والمنطق وذلك لأنه لم يكن هناك دافعًا يجعل سليمان بن قتلمش الذي تغمره الحماسة للتوسع ومد حدود دولته الناشئة يطلب الصلح، فهو لم يكن واقعًا تحت أي تهديد أو ضغط، على النقيض من الكسيوس الذي كان يعاني من ضغط النورمان من جهة والوضع المتوتر مع البشناق من جهة أخرى، فكيف يمكنه في وقت واحد أن يقاتل على كل هذه الجبهات، ومن هنا وحتى لا يقع بين شقي الرحى (النورمان- السلاجقة) طلب الصلح مع سليمان بين قتلمش[٣]، فضلاً عن ذلك فإن طلب الصلح هذا كان وسيلة لجأ إليها الكسيوس أكثر مرة مع السلاجقة خاصة عندما كان يتهدد دولته خطر غيرهم[٤]، كذلك ينبغي ملاحظة أن أنا كانت ابنة الكسيوس ومنطقيًا أن تحاول تمجيد أبيها وإظهاره في موقف البطولة وليس في موقف الضعف، ومن هنا أرجعت مبادرة الصلح إلى السلاجقة.

إضافة إلى ما سبق يمكن أن يستشف مما ذكرتهأنا أن الكسيوس قد رضى -ولو مؤقتًا- عما حققه في آسيا الصغرى، فهو لم يكن يهدف من وراء هذه العمليات العسكرية طرد السلاجقة من آسيا الصغرى، وإنما إبعاد خطر تهديدهم المباشر على عاصمته وبث الطمأنينة في نفوس سكانها، الذين أصابتهم هجمات السلاجقة-بعد أن أصبحوا على مقربة منهم- بالفزع والرعب[٥]، وقد نجح الكسيوس في تحقيق ذلك وهو ما تؤكده ابنته أنا التي تذكر أن أباها قد تمكن ليس فقط من إبعاد خطر السلاجقة

---

(1)Anna Comnena, Alexiad, p. 130.

(2)Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 72.

(٣) محمد نجيب زكي الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين (١٠٨١-١١٨٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص ٨١.

(٤) انظر ما يلي، ص

(5)Anna Comnena, Alexiad, p. 129.

عن مضيق البسفور وإنما تمكن أيضًا من طردهم من منطقة بيثينيا حتي حدود نيقوميديا(١).

على أي حال، لم تنجح هذه المعاهدة في حماية آسيا الصغرى من التهديد السلجوقي، إذ انتهز السلاجقة ما قام به الكسيوس أثناء قتاله مع النورمان من استدعاء القوات العسكرية البيزنطية الموجودة في بافلاجونيا وهرقلة وقبادوقيا وكوما، وقاموا بالهجوم على هذه المناطق(٢)، كما أنهم استغلوا عدم قدرة الكسيوس على إجبارهم على تنفيذ هذه الاتفاقية وانشغاله بقتال النورمان، وشنوا هجماتهم على بحر مرمرة ومضيق البسفور، ومما يؤكد ذلك ما ذكرته أنا: من أن الكسيوس أثناء عودته من حملته ضد النورمان قد وجد السلاجقة قد عادوا للهجوم على أراضيه مرة ثانية وأن الساحل الآسيوي لبحر مرمرة أصبح بأيديهم واجتاحوا ساحل بحر إيجة(٣).

وإذا كان الكسيوس قد اعتقد أن بوفاة سليمان بن قتلمش سنة (**٤٧٩**هـ/**١٠٨٦**م)(٤) قد تخلص من التهديد السلجوقي، إلا أن الواقع لم يكن كذلك، فلم يلبث أن ظهر له مناوئون جدد عملوا على اقتطاع أجزاء من آسيا الصغرى وشجعتهم وفاة سليمان بن قتلمش على الاستقلال بما تحت أيديهم من مناطق ومدن(٥)،

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 129-130؛ (Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 70).

(2)Treadgold, Byz., State, p. 614.Vryonis, Decline, p. 114؛

(3)Anna Comnena, Alexiad, p. 198.

(**٤**) لقد اتاح صلحه مع الكسيوس مباشرة فتوحاته، فاتجه إلى الجنوب وبعد استيلاءه على إنطاكية فكر في الاستيلاء على مدن الشام وبدأ بمدينة حلب ولكن انتهي الأمر بمقتله على يد تاج الدولة تتش- أخو السلطان السلجوقي ملكشاه وصاحب دمشق- الذي كان يطمع هو الآخر في حلب- بالقرب من حلب.

لمزيد من التفاصيل:

ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص**١١٧-١١٩**؛ العظيمي، تاريخ العظيمي، ص **٣٦٥-٣٦٦**

ابن الاثير، الكامل ج٨، ص **٤٣٥-٤٣٧**؛ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، (القاهرة **١٢٨٥**)، ج١، ص **٣٨٣-٣٨٤**.

Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 77-78؛ Idem, La Premiere Penetration, pp. 44-45.

رايس، السلاجقة، ص **٥٢-٥٣**.

(**٥**) لقد اندفع العديد من الأمراء السلاجقة إلى آسيا الصغرى واستولوا على العديد من المدن وعملوا على

بل وهدد بعضهم القسطنطينية ذاتها، وكان من أبرز هؤلاء الأمراء الأمير أبو القاسم الذي عينه سليمان بن قتلمش نائبًا له في نيقية عند رحيله إلى الشرق، وكان رجلاً ماهرًا وطموحًا لم يكتف بإدارته لشئون دولة سليمان بن قتلمش، بل تطلع إلى أكثر من ذلك، فاستغل وفاته وأعلن نفسه سلطانًا على دولته، واتبع سياسة سلفه في الهجوم على الأراضي البيزنطية[١]،فقام بإرسال قواته للهجوم على منطقة بيثينيا حتى بحر مرمرة، مما اضطر الكسيوس إلى إرسال بعض القوات العسكرية للتصدي لهذا الهجوم، وعندما اشتدت حدة هجماته على الأراضي البيزنطية أرسل الكسيوس جيشًا كبيرًا بقيادة تاتيكيوس Taticius[٢] لقتاله، إلا أنه بعد أن اشتبك مع إحدى الفرق السلجوقية خارج نيقية، اضطر للانسحاب صوب بازيليا Basileia -بالقرب من نيقية-واتجه منها بعد قليل إلى نيقية وسط الهجوم السلجوقي عليه[٣].

لم تكن هذه الحملة لتثني أبا القاسم عن أهدافه، فقد كان مصممًا على التحكم في ساحل بحر مرمرة والاستيلاء على جزره، ومن هنا قام بعد استيلائه على مدينة كيوس Cius (Kios)-الواقعة على ساحل هذا البحر- بتشييد أسطول هناك بمساعدة سكانها[٤]، واستمر في مواصلة هجومه، فأرسل الكسيوس حملة بحرية بقيادة القائد

=

الاستقلال بعد وفاة سليمان بن قتلمش وكان من هؤلاء الأمراء الدانشمنديون الذين أقاموا دولتهم في شمال ووسط الأناضول، ومنكوجك، وسالتوق (صندق) وكذلك تنجارميش وقراتقين (أنظر الخريطة رقم١)

لمزيد من التفاصيل:

ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص **٣٢٨**؛ ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج**٣**، ص**١٤٢-١٤٣**.

Kafesoglu, Seljuks, p. 67؛ Turan, Anatolia, pp. 236-237.

Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 108-109؛ Vryonis, Decline, pp. 115-118.

على المحيميد، الدانشمنديون، ص **٢٨، ٣٢**

(1)Anna Comnena, Alexiad, p. 201.

(٢) تاتيكيوس، أحد الأمراء السلاجقة ودخل في خدمة الدولة البيزنطية.

Cahen, La Premiere Penetration, p. 50.

(3)Anna Comnena, Alexiad, pp. 201-20؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 100.

(4)Anna Comnena, Alexiad, p. 202؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 80؛ Idem, La Premiere Penetration, p. 50

مانويل بوتوميتس Manuel Boutoumits لقتاله، بل وأمر تاتيكيوس بشن هجوم عليه من ناحية البر، إلا أن أبا القاسم استطاع التصدي لهذا الهجوم البحري والبري بكل قوة، وبالرغم من أن هذه الحملة قد انتهت بقتل وأسر عدد كبير من رجاله، وانسحابه إلى نيقية إلا أنها فشلت في القضاء عليه أو الاستيلاء على عاصمته[1].

نتيجة لفشل الكسيوس في القضاء على أبي القاسم ومتاعبه مع البشناق أرسل إليه يطلب منه إيقاف اعتداءاته على الأراضي البيزنطية، والتوصل إلى اتفاق بين الطرفين، فوافق أبو القاسم على طلب الكسيوس[2].

ومن الواضح أن الظروف التي أحاطت بأبي القاسم ووضعته في موقف حرج هي التي اضطرته إلى الموافقة على عرض الكسيوس، فقد تمكنت قوات الكسيوس من هزيمته وأجبرته على الانسحاب إلى نيقية، وأرسل السلطان ملكشاه ضده حملة ضخمة-تتألف من ٥٠ ألف فارس على حد قول أناكومنينا- بقيادة الأمير السلجوقي برسق Bursuq (Prosouch) [3]، والتي حاصرت عدد من المراكز القوية التي كان يحكمها بعض الأمراء التابعين لأبي القاسم، بل وأوشكت على الاقتراب من العاصمة السلجوقية نيقية، عندئذٍ خشي أبو القاسم أن يتحالف هذا الأمير مع الإمبراطور الكسيوس، خاصة وأن ملكشاه قد حاول أكثر من مرة التحالف مع الكسيوس ضد سلاجقة الروم[4]، مما سيؤدي بالضرورة للقضاء عليه، ومن ثم وافق على عرض

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 203-208؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene, p.100

(2)Anna Comnena, Alexiad, p. 203.

عبدالغني محمود عبد العاطي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين ١٠٨١-١١١٨م، (القاهرة ١٩٨٣)، ص١٩١.

(3)Anna Comnena, Alexiad, pp. 201-203؛

- برسق أحد أمراء السلطان ملكشاه، وكان شحنه بغداد في عهد طغرلبك وقربه ملكشاه إليه وأسند إيه العديد من المهام، وقيل أنه هو الذي قتل منصور ابن قتلمش أخو سليمان.

Cahen, La Premiere Penetration, p. 44.

(٤) عمل السلطان ملكشاه أكثر من مرة على كسب الكسيوس ضد سلاجقة الروم ومنها محاولة تلت وفاة سليمان بن قتلمش ورغم أنه فشل في تحقيق هدفه إلا أنه لم ييأس فعاد الكره من جديد وأرسل برسق مرة أخرى يطلب التحالف.

=

الكسيوس بالصلح حتى يزول هذا الخطر، كما أن التحالف مع الكسيوس سيمكنه من الاستعانة بالقوات البيزنطية للتصدي لحملة ملشكاه[1].

ومن هنا لم يكن أبو القاسم ليوافق على هذا الصلح لولا هذه الظروف التي كان يمر بها، وهذا ما أكدته أناكومنينا، بقولها: «إنه (أبو القاسم) قد رحب بالسلام مع الإمبراطور دون تردد تحت الضرورة الملحة»[2].

على أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته أن هذه الموافقة لم تكن تعني زوال خطر أبي القاسم على الدولة البيزنطية أو أن الكسيوس قد أمن جانبه، والذي كان يعرف خبايا الرجل ونواياه، وبذلك استغل الإمبراطور فترة وجود أبي القاسم في القسطنطينية وما أحاط به من مظاهر الحفاوة وما أغدقه عليه من أموال وهدايا، وقام ببناء حصن كيفتوت Civetot (كيبوتوس Kibotos)[3] على بحر مرمره؛ لحماية هذه المنطقة الحيوية من هجوم أبي القاسم، وأمر الكسيوس القائد المكلف بهذا العمل بإتمام عملية البناء في سرية تامة[4].

وصدق حدس الكسيوس، فلم يلبث أبو القاسم أن عاود الهجوم مرة أخرى على الأراضي البيزنطية، ففي سنة (**٤٨٢-٤٨٣**هـ/**١٠٩٠**م) أخذ في الاستعداد للقيام بهجوم شامل على منطقة نيقوميديا، الأمر الذي دفع الكسيوس إلى إرسال عدة فرق من

=

لمزيد من التفاصيل:

Anna Comnena, Alexiad, pp. 200-202؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 79؛ Idem, La Premiere Penetration, p. 44.

(**١**) لقد حدث هذا بالفعل، فعندما حاصرت قوات برسق نيقية، بعد ذلك بقليل، أرسل أبو القاسم يطلب مساعدة الكسيوس، الذي أسرع بتلبية طلبه وأرسل إليه عددًا من أفضل الفرق العسكرية المتاحة لديه.

Anna Comnena, Alexiad, p. 205؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 110.

(2)Anna Comnena, Alexiad, p. 203؛ (Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 110؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 50).

(**٣**) كيفتوت، حصن يقع على الشاطئ الجنوبي لخليج نيقوميديا ويبعد **٥٠**كم غرب مدينة أزميت الحالية.

France, Victory, p. 93.

(4)Anna Comnena, Alexiad, pp. 203-204 ..

لمزيد من التفاصيل عن تحصينات الكسيوس في آسيا الصغرى:

Foss, Defenses of Asia Minor, pp. 157-166.

الفرسان البيزنطيين للدفاع عن هذه المنطقة(١).

لقد ظل أبو القاسم يشكل خطرًا على الدولة البيزنطية حتى وفاته سنة (**٤٨٤-٤٨٥هـ/١٠٩٢م**)، عندئذٍ اعتقد الكسيوس أنه بإمكانه الاستيلاء على نيقية بكل سهولة، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث، حيث رفض بولداجي Buldaji (بولخاسيس Poulchases)-شقيق أبي القاسم الذي تولي حكم نيقية عند ذهاب أخيه إلى السلطان ملكشاه طالبًا عفوه- ما عرضه عليه الكسيوس من أموال وهدايا في مقابل تسليمه المدينة وسلمها إلى قليج أرسلان الأول بن سليمان بن قتلمش بعد عودته(٢).

وإذا كان قليج أرسلان الأول قد انشغل في بداية عهده بتنظيم أمور دولته(٣)، إلا أن التهديد السلجوقي ظل مستمرًا على الدولة البيزنطية خاصة منأتباعه ومن بينهم الخانس Elkhanes الذي استولى على مدن أبولنياس Apollonis(٤) وكزيكوس وبوامنينون Poimanenon(٥)، ونهب كل مقاطعات بحر مرمره، الأمر الذي دفع

---

(1)Anna Comnena, Alexiad, p. 232-233.

عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص **٢٩٢-٢٩٣**.

(2)Anna Comnena, Alexiad, pp. 209-210؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 80-81؛Idem, La Premiere Penetration, p. 52.

- بعد مقتل سليمان بن قتلمش أرسل أبناؤه إلى السلطان ملكشاه وظلوا هناك حتى وفاته، عندئذ استغل قليج أرسلان الأول، الفوضى التي عمت الدولة السلجوقية بسبب الخلاف على وراثة العرش وهرب إلى آسيا الصغرى.

Turan, Anatolia, pp. 236-237؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 67؛
Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 81؛ Idem, La Premiere Penetration, p. 52.

(**٣**) لمزيد من التفاصيل عن طبيعة العلاقات بين الكسيوس وقليج أرسلان الأول في بداية حكمه:

عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص**١٩٤**.

(**٤**) أبولنياس، هي Apolyont الآن، وهي مدينة في بيثينيا، توجد على بحيرة تعرف بأسمها، وظهر أسمها أول مرة في المصادر التاريخية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، كقلعة قوية تربطها عدة طرق بمدينتي ساريس وبرجامون.

Ramsay, Historical Geography, pp. 123-126؛ O.D.B.,1, p. 137.

(**٥**) بوامنينون، هي Eski manyas الحالية، وهي مدينة حصينة تقع جنوب بحر مرمرة على بعد **٣٥** ميلاً جنوب مدينة كزيكوس.

لمزيد من التفاصيل

=

الكسيوس إلى إرسال حملة بحرية بقيادة ألكسندر إيفوربينوس Alexander Euphorbenus؛ للتصدى له، وقد بدأ ألكسندر عملياته العسكرية بفرض الحصار على مدينة أبولنياس، عندئذٍ جاءت إمدادات إلى الخانس مما اضطر القائد البيزنطي إلى الانسحاب، فضاعف الخانس من حدة هجومه، ونتيجة لذلك أرسل إليه الكسيوس قوة برية بقيادة أبوس Opus استطاعت هزيمته والاستيلاء على مدن أبولنياس وكزيكوس[١].

لم يمثل قليج أرسلان وحده خطر على الدولة البيزنطية، بل كذلك كان أتباعه، ومن هؤلاء كان تراخاس Tzachas(جكا Chaka)[٢] من أشد أتباع قليج أرسلان الأولخطورة على الدولة البيزنطية، فقد هددها لفترة طويلة في وقت كانت تعاني فيه من العديد من الصعوبات في أقاليمها الأوربية، فقد استولى هذا الأمير على مدينة سميرنا Smyrna[٣]، وبمساعدة سكانها نجح في إقامة أسطول جعل مرساته ميناء كلازمـوني Clazomenae على خليج سميرنا -والذي كان قد استولى عليه منذ

=

Ramsay, Historical Geography, pp. 157-263؛ O.D.B.,3, pp. 1690-1691.

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 210-211؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p.81؛ Idem, La Premiere Penetration, p.52؛ Vryonis, Decline, p. 115.

(٢) تزاخاس، أمير سلجوقي من الأمراء الذين أغاروا على آسيا الصغرى بعد موقعة مانزيكرت، لكنه وقع في أسر السلاجقة، ثم تم تحريره بعد ذلك وقضى فترة شبابه في القسطنطينية، حيث وصل إلى مكانة عالية في عهد نقفور بوتانياتس، لكن عندما اعتلى الكسيوس العرش جرده من ممتلكاته فرحل إلى قومه في آسيا الصغرى مصممًا على الانتقام.

Anna Comnena, Alexiad, p. 236؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 126؛ Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 384.

(٣) سميرنا أو أزمير Izmir الحالية تقع على ساحل بحر إيجة الأسيوي، وكانت قاعدة بحرية هامة، أحرزت أهمية كبيرة كميناء لإفيسوس، وجعلها الكسيوس قاعدة لعملياته في آسيا الصغرى.

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, pp. 107-108, Pococke, R., A, Description of The East and Some Other Countries, 2, Observation on the Island of the Archipelago, Asia Minor, Thrace, Greece and Some Other Parts of Europe, (London 1845), pp. 34-39؛ O.D.B.,3, p. 1919-1920.

قلـيل-[١]،ومن هذا الميناء توجه إلى مدينة فوكـيا Phocaea[٢] التي نجح في الاستيـلاء عليها، ومن هذه المدينة أرسل إلى البوس Alopus حاكم جزيرة مدلي (Mitylen ميتلين)[٣] مهددًا إياه الانتقام إذا لم يتخل عنها، الأمر الذي أفزع هذا الحاكم فرحل ليلاً إلى القسطنطينية تاركًا جزيرته، فانتهز تراخـاس هذه الفرصة واستولى عليـها، بل واسـتطاع أيضًا الاستيـلاء على جزيرتي خيوس Chios[٤] وساموس Samos[٥] وغيرهما، وتمكن من هزيمة الحملة البحرية التي أرسلها الكسيوس بقيادة القائد نيقتاس كستمونيتس Nicetas Castamonits للتصدي له واستولى على سفنها[٦].

عندئذٍ اضطر الكسيوس إلى إرسال حملة بحرية أخرى بقيادة قنسطنطين دلاسينوس Constantine Dalassenus الذي قام بمجرد وصوله إلى جزيرة

(1)Anna Comnena, Alexiad, p. 233؛Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 81؛ Idem, La Premiere Penetration, p. 52؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene p.127.

(٢) فوكيا (فوجه) وهي فوجيه، مدينة قديمة تقع على المدخل الشمالي لخليج سميرنا بالقرب من مصب نهر الهرماس، وكانت تحل محل سميرنا كميناء لتصدير تجارة وادي الهرماس عندما يتعرض للخطر.

Ramsay, Historical Geography, pp. 60,62؛ O.D.B.,3, p. 1665.

(٣) جزيرة مدلي، جزيرة كبيرة تقع شمال شرق بحر إيجه، كانت قديمًا تعرف باسم ليسبوس Lesbos، ثم نسبت إلى اكبر مدينة في الجزيرة وهي مدينة ميتلين، واحتلت أهمية كبيرة في القرن السابع قبل الميلاد.

بنيامين التطيلي، رحلة ابن يونه الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي **٥٦١-٥٦٩**هـ، ترجمة/ عزرا حداد، (بيروت **١٩٩٦**)، ص **٨٣**، حاشية ٦.

O.D.B.,2, p. 1219.

(٤) خيوس، جزيرة في شرق بحر إيجة بالقرب من ساحل آسيا الصغرى.

O.D.B.,1, p. 423.

(٥) ساموس، جزيرة في بحر إيجه بجانب ساحل البحر الغربي لآسيا الصغرى، وفي القرن العاشر الميلادي استخدمت كقاعدة حربية لكل من المسلمين والبيزنطيين.

O.D.B.,3, p. 1838.

بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ص **٨٤**، حاشية **٣**

(6)Anna Comnena, Alexiad, pp. 333-334؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene,p.126؛ Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 81؛ Idem, La Premiere Penetration, p.52؛ Charanis, Byz. Empire, p. 213.

خيوس بفرض الحصار عليها محاولًا الاستيلاء عليها قبل وصول تراخاس من مدينة سميرنا، وقصف أسوارها، إلا أنه فشل في السيطرة على قلعتها، وبعد مجيء تزاخاس والاشتباك مع هذا القائد في بعض العمليات العسكرية عند أسوار القلعة، أرسل تزاخاس إلى قنسطنطين دلاسينوس عارضًا الصلح[1]. وترى أنا كومنينا، أن السبب الذي دفع تزاخاس إلى طلب الصلح من القائد البيزنطي «أنه فقد كل أمل في تحقيق الانتصار بعد أن رأى شجاعة خصمه واستعداده لمواجهة الخطر»[2].

وإذا كان هذا التفسير يحمل في طياته بعض الوجاهة من الناحية النظرية -خاصة بعدما تحطمت قوات تزاخاس وأصبح في وضع حرج-إلا أن الواقع كان مختلفًا تمامًا؛ وذلك لأن الأحداث التي تلت هذا لا تشير إلى أي ضعف أو استسلام من جانب تزاخاس، الذي سارع بالرحيل إلى سميرنا، وأخذ يعمل على بناء أسطول جديد أضخم من أسطوله السابق، وبعد إتمام تشييده اجتاح به كل مدن الساحل واستولى على العديد منها، ولم يكتف بذلك، بل اتصل بالبشناق، واتفق معهم على القيام بحملة مشتركة ضد الدولة البيزنطية، فيقوم هو بحصار القسطنطينية بحرًا، بينما يهاجمها هؤلاء برًا، بل وحاول إقناع الجند المرتزقة الأتراك في الجيش البيزنطي بالوقوف إلى جواره، ووعدهم بالكثير من الأموال والعطايا إذا انضموا إليه وتركوا العمل لصالح الدولة البيزنطية[3].

بهذا يكون من العبث الاعتقاد بأن طلب الصلح هذا كان يأسًا أو استسلامًا من جانب تراخاس، ذلك الرجل العنيد الذي كان من الصعب أن يستسلم دون أن يكون وراء هذا (الخضوع الظاهري) هدف آخر خفي، وهو الأمر الذي لم تدركه أناكومنينا، ورضيت بهذا التفسير السطحي البسيط، إذ كان طلب الصلح هذا خدعة هدف هذا الأمير من ورائها كسب الوقت لإعداد قوات جديدة وحشدها بدلًا من قواته التي تحطمت.

---

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 334-335.

(2)Anna Comnena, Alexiad, p. 335.

(3)Anna Comnena, Alexiad, pp. 251-252؛ Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 127؛ Ostrogorsky, Byz. State, p.319؛ Angold, Byz. Empire, p. 110؛ Franzius,Byz. State, p.303

المتولي تميم، البشناق والبيزنطيون، ص١٢٢-١٢٣.

على أي حال قد زاد خطر تراخاس على الدولة البيزنطية بعد تحالفه مع البشناق، الأمر الذي وضع الكسيوس في وضع حرج للغاية خاصة وأن الشتاء في ذلك العام (٤٨٣-٤٨٤هـ/ ١٠٩٠-١٠٩١م)، كان قارس البرودة وأعاقت الثلوج حشد القوات العسكرية البيزنطية وإبحارها، وأمام هذا التهديد أرسل الكسيوس إلى القيصر نقفور ميليسينوس في الأقاليم الأوربية طالبًا حشد القوات العسكرية، ليس فقط من المحاربين وإنما أمره بتجنيد قوات جديدة من الشعوب الخاضعة للدولة البيزنطية لمواجهة هذا الخطر، وذهب الكسيوس بنفسه إلى جبهة القتال، وأخذ يشجع قواته على التصدي للعدو بكل قوة[١].

وبالرغم من نجاح الكسيوس في إجبار تراخاس على رفع الحصار البحري واتجاهه نحو البشناق ونجاحه أيضًا في هزيمتهم[٢]، إلا أن كل هذه المجهودات لم تضعف تراخاس أوتفلح في إثنائه عن طموحاته، بل تمادى في سياسته تجاه الدولة البيزنطية واتخذ لقب الإمبراطور، واستقر في سميرنا التي اعتبرها بمثابة عاصمة لدولته الناشئة، وأخذ يعد الأسطول لمعاودة الهجوم من جديد على جزر بحر إيجة والوصول إلى القسطنطينية متحديًّا الكسيوس نفسه[٣].

لذلك أصرَّ الكسيوس على ضرورة طرده من سميرنا ومن كل المناطق التي استولى عليها والقضاء عليه، فأرسل ضده حملتين: إحداهما برية بقيادة يوحنا دوقاس John Ducas –شقيق زوجته–، والأخرى بحرية بقيادة قنسطنطين دلاسينوس –السالف الذكر–، وبعد العديد من المعارك والهجوم البري والبحري الذي استمر عدة شهور دون انقطاع، استطاعت القوات البيزنطية إحراز بعض الانتصارات عليه واسترداد جزر مدلي، ساموس، خيوس، وعدة جزر أخرى[٤].

---

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 251-252.

(٢) لمزيد من التفاصيل

Anna Comnena, Alexiad, pp. 251-252؛Angold, Byz. Empire, pp. 110-111.

المتولي تميم، البشناق والبيزنطيون، ص١٢٤-١٢٥.

(3)Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 384.Anna Comnena, Alexiad, p. 269؛

(4)Anna Comnena, Alexiad, pp. 270-272؛Angold, Byz. Empire, p. 112؛ Franzius, Byz. State, p.303؛ Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 384.

لكن بالرغم من ذلك فإن هذه الضربات لم تقض تمامًا على تزاخاس، عند ذلك أدرك الكسيوس فشل الجهود العسكرية في إزالة خطره، فلجأ إلى سلاح المكيدة والخداع فأثار قليج أرسلان الأول –صهر تزاخاس- ضده، فخرج لقتاله في نفس الوقت الذي هاجمته القوات البيزنطية من ناحية البحر، وانتهى الأمر بقتل تزاخاس على يد قليج أرسلان الأول[١].

على هذا النحو تخلص الكسيوس من تزاخاس الذي هدد الدولة البيزنطية لفترة طويلة، وأصاب البيزنطيين بالفزع والرعب، إلا أن ذلك لم يكن يعنى زوال الخطر السلجوقي على الدولة البيزنطية، إذ أنه لم يلبث أن ظهر أمراء آخرون ساروا على نهج تزاخاس وأخذوا يشنون هجماتهم على الأراضي البيزنطية[٢].

ومما يدل على ذلك ما قام به الكسيوس من إنشاء العديد من الحصون للتصدي لهذه الهجمات، ومن هذه الحصون حصن أقامه سنة (**٤٨٦-٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م**) جنوب مدينة ميلتوس Miletos[٣]؛ لحماية منطقة بحر إيجة من الهجوم السلجوقي، وحصن آخر أقامه سنة (**٤٨٧-٤٨٨هـ/١٠٩٥م**) عند مدينة نيقوميديا[٤].

بيد أن الاجتياح السلجوقي لآسيا الصغرى الذي تلى موقعة مانزيكرت، وجعل من السلاجقة القوة المهيمنة والمحركة للأحداث في آسيا الصغرى-تلك البقعة الغالية على الدولة البيزنطية- كان من الصعب إن لم يكن مستحيلاً التصدي له بمثل هذه الأعمال الدفاعية البسيطة، ومن هنا رأى الكسيوس ضرورة اتخاذ خطوة أكثر جرأة وفعالية ضد السلاجقة الذين أصبح كل همهم ابتلاع أراضي آسيا الصغرى وتهديد عاصمته نفسها. وإيمانًا منه بعدم قدرته على حل هذه المشكلة المعقدة –التي تفوق قدراته– بمفرده، اتجه صوب الغرب الأوربي يطلب المساعدة ضد السلاجقة في مجمع

---

(1)Anna Comnena, Alexiad, pp. 274-275؛ Cahen, La Premiere Penetration, p. 52؛ Turan Anatolia, p. 238؛Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 358.

(2)Idem, La Premiere Penetration, p. 52.Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 81؛

(٣) ميلتوس، مدينة على ساحل بحر إيجة احتلها السلاجقة بعد مانزيكرت لفترة قصيرة ثم استردها البيزنطيون بعد ذلك.

O.D.B.,2, pp. 1372-1373.

(4)Foss, Defenses of Asia Minor, p. 149, 157؛Angold, Byz. Empire, p. 112 .

بياكنزا[١]،تلك المساعدة التي أكدها برانارد أف بالسين Bernold of Blasienبقوله: «... إنه خلال انعقاد مجمع بياكنزا وصلت سفارة من إمبراطور القسطنطينية، يتوسل ويتضرع فيها إلى سيدنا البابا، وإلى كل المؤمنين أن يقدموا له المساعدة ضد الكفار للدفاع عن كنيستنا المقدسة التي حطمها الكفار الذين جعلوا من أنفسهم سادة على أراضيه ووصلوا حتى أسوار القسطنطينية»[٢].

إلا أن فريقًا من الباحثين المحدثين ويأتي على رأسهم شالندو ينكرون طلب الكسيوس لهذه المساعدة، ويعتمدون في رأيهم هذا على أن العام الذي عقد فيه هذا المجمع كان الموقف قد تحسن بشكل كبير داخل الدولة البيزنطية بوجه عام، وعلى جبهة آسيا الصغرى بوجه خاص، وبهذا لم يكن الكسيوس في حاجة إلى تقديم هذه الالتماسات للغرب الأوربي[٣].

مما لا شك فيه أن هؤلاء الباحثين قد أساءوا فهم موقف الكسيوس، حقيقة أن الوضع في الدولة البيزنطية في ذلك الوقت كان أقل خطورة، ولكن ألم يكن الكسيوس في ذلك الوقت في حاجة ماسة إلى إعادة الأراضي البيزنطية المحتلة في آسيا الصغرى؟، لقد استطاع بالفعل صد عدة هجمات للسلاجقة، لكن لم يتغير من الأمر شئ فلا يزال السلاجقة خطرًا قائمًا وعدوًا جاثمًا على صدر الدولة البيزنطية، وكل ما قام به الكسيوس حتى الآن مجرد إجراءات دفاعية، ولم يقم بخطوة واسعة نحو استرداد آسيا

---

(١) فايز اسكندر، موقعة ملازكرد، ص ٢٥؛ جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين، ص ١٥٠.

- لمزيد من التفاصيل حول مجمع بياكنزا:

Duncalf, F., "The Councils of Piacenza and Clermont", in: Setton, K.M & Baldwin, M.W. (eds), A History of The Crusades, I, (Philadelphia 1955), pp. 220-252.

(٢) نقلاً عن:

Charanis, P., "Byzantium, The West and the Origin of the Frist Crusade" B, 19 (1949), pp. 28-29.

(3)Chalandon, Alexis 1er Comnene, pp. 155-159؛ Charanis, Byzantium, p. 25. Idem, "Amis of the Medieval Crusades and How They were Viewed by Byzantium" Ch. H., 12 (1952), p. 126.

الصغرى، التي كان من الصعب عليه أن يتركها فريسة في أيدي السلاجقة(١).

وكان هذا الوقت مناسبًا -من وجهة نظر الكسيوس- لطلب المساعدة، فإذا كانت الصعوبات التي واجهت دولته في الأقاليم الغربية قد أعاقته طيلة الخمسة عشر عامًا الماضية عن القيام بهذه الخطوة، إلا أنه قد تمكن في ذلك الوقت من إزالة معظم هذه الصعوبات بعد أن خاض سلسلة من المعارك ضد أعداء الدولة البيزنطية في الغرب الأوربي، وأقام علاقات طيبة مع البابا أوربان الثاني، وأصبح مستعدًا لشن هجوم ضد السلاجقة لاسترداد آسيا الصغرى، خاصة بعد أن انشغل السلاجقة بالصراع فيما بينهم(٢).

ولكن تحقيق ذلك الهدف لم يكن بالأمر الهين، وإنما كان يحتاج إلى جيش ضخم، في الوقت الذي لم يكن بإمكان الكسيوس إعداد مثل هذا الجيش، خاصة وأن آسيا الصغرى التي تعد مصدر إمداد الدولة البيزنطية بالقوة البشرية قد سادتها الفوضى وسقط معظمها في أيدي السلاجقة، كما أنه لم تتوافر لديه الأموال الكافية لإعداد جيشًا ضخمًا للقيام بهذا العمل، ومن هنا أرسل الكسيوس سفراءه إلى بياكنزا(٣).

ويرى مونرو Munro أن وجود هذا الموضوع ضمن جدول أعمال مجمع بياكنزا، وحثُّ البابا أوربان المشاركين على تقديم المساعدة للدولة البيزنطية دليل واضح على هذا الاستدعاء الذي ذكره برنارد -كما أن الإشارات إلى القسطنطينية والإمبراطور اليوناني (البيزنطي) في خطبة البابا أوربان الثاني في مجمع Clermont كما ذكره روبرت الراهب Robert The Monk، وفوشيه الشارتري، وجيبرت النوجاني Guibert

---

(1)Charanis, Byzantium, The West , p. 30; Idem, Amis of the Medieval Crusades, p. 26.

(2)Norwich, Byzantium, p. 30.Charanis, Byz. Empire, pp. 218-219;

عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ٢٠٣؛رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص١٢٩.

(3)Norwich, Byzantium, p. 31; Brundage, J.A., Crusades, A Documentary Survey, (London 1962), p. 15.

هسي، العالم البيزنطي، ص١٥١.

عامرة علي عبد اللطيف الحمد، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، دراسة تطبيقية في ضوء العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وإمارة أنطاكية الصليبية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٩٨-١١١٨م)، (القاهرة ١٩٨٠)، ص٤٧.

-of Nogent، كلها تؤكد أن الكسيوس طلب المساعدة في بياكنزا[١]، كما أن جعل مدينة القسطنطينية ذاتها ملتقى للجيوش الصليبية دليل على ارتباط الحركة الصليبية بالكسيوس كومنين[٢].

على ذلك يمكن القول أن الكسيوس قد استنجد فعلاً بالغرب الأوربي لطرد السلاجقة في آسيا الصغرى، خاصة وأن الأباطرة البيزنطيين منذ موقعة مانزيكرت قد رسخ في أذهانهم مبدأً أساسيًا وهو أن استعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى عمل يصعب عليهم أن يحققوه بمفردهم، وإنما يمكنهم ذلك بمساعدة حلفاء لهم[٣]، ومن ثَمَّ فإنه منذ ذلك الوقت والأباطرة البيزنطيون لا ينقطعون عن طلب هذه المساعدة على كافة المستويات من الغرب الأوربي، فقد أرسل ميخائيل السابع إلى البابا جريجوري السابع Greogory VII (١٠٧٣-١٠٨٥م) يطلب مساعدته لإنقاذ الدولة البيزنطية وأراضيها في آسيا الصغرى من السلاجقة، ووعد البابا بإعادة الوحدة الدينية بين الكنيستين الشرقية والغربية[٤].

وبهذا لم يكن أمرًا غريبًا أن يطلب الكسيوس هو الآخر المساعدة الغربية، فأرسل إلى بياكنزا لتحقيق ذلك، وكان هذا الطلب هو السبب المباشر الذي فجر سلسلة الأحداث التي أدت إلى الحملة الصليبية الأولى[٥] وشن حرب ضد العالم الإسلامي

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول خطبة أوربان الثاني في كليرمونت:

فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٣٢-٣٣.

Munro, D.C., "The Speech of Pope Urban II at Clermont", A.H.R., II (1906), pp. 231-242؛ Idem, "Papal Proclamtion of The Crusade" In: Brundage, J.A. (ed), Crusades, motives and Achievements, (U.S.A. 1966).pp. 9-11.

(2)Munro, D.C., "Did the Emperor Alexius I Ask for Aid at the Council of Piacenza?" A.H.R., 27 (1922), pp. 732-733.

(3)Charanis, Byzantium, The West, p. 17.

(٤) لمزيد من التفاصيل:

Cowdrey, H.E.J., "The Gregorian Papacy, Byzantium and the Frist Crusade". B.F., (1988), pp. 153-156.Charanis, Byzantium, The West, pp. 20-23.

عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، (دمشق ١٩٨٠)، ص٨٢.

(5)Riley-Smith, J., The Crusades, A Short History, (London 1987), p. I؛ Wise, =

استمرت أكثر من قرنين من الزمان، أدت إلى استنزاف طاقاته البشرية والمادية، وساهمت بقدر كبير في تدهور أوضاعه في آواخر العصور الوسطى.

ولكن كيف تحوَّل هذا الطلب من الرغبة في المساعدة العسكرية إلى الدعوة لحرب صليبية؟

لقد رأى الكسيوس أنه من غير المُجْدي أن يبحث عن إمدادات من الغرب الأوربي لإنقاذ الدولة البيزنطية وطرد السلاجقة من آسيا الصغرى، دون أن يربط ذلك بشيء يهم مسيحي الغرب، وبحث عن ذلك فوجد ضالته المنشودة في فكرة إنقاذ المسيحيين والأماكن المقدسة في الشرق من اضطهاد المسلمين[١]. وأخذ سفراؤه في مجمع بياكنزا يرسمون صورة مظلمة عن معاناة المسيحيين وكنائسهم في الشرق على أيدي المسلمين[٢].

وأكدت ذلك المصادر اللاتينية واليونانية على حد سواء، ومن ذلك حولية يونانية بعنوان «Synopsis Chronike»، والتي كانت أكثر دقة من غيرها؛ حيث ميزت بين الدوافع الظاهرية والحقيقية للإمبراطور البيزنطي لطلب المساعدة فذكرت: «كان من المستحيل بالنسبة له -الكسيوس- أن يشن حربًا بمفرده، ومن هنا رأى ضرورة استدعاء الإيطاليين كحلفاء له، وحتى ينجح في تحقيق ذلك فكر ببراعة، فوجد ذريعة وهي أن هذه الأمة لا تحتمل أن تكون السيطرة على أورشليم -بيت المقدس- للفرس -الأتراك- فاستخدم تلك الذريعة، وبإرسال السفراء إلى أسقف روما القديمة وحكام تلك الجهات... استطاع أن يكسب عدد غير قليل منهم...»[٣].

بيد أن هذا الطلب سرعان ما تحول من مساعدة عسكرية إلى دعوة لحملة صليبية في الغرب الأوربي ضد مسلمي الشرق، وهو أمر لم يكن يتوقعه الكسيوس أو يرغب

=

T., The Wars of The Crusades 1096-1291, (London 1978), p. 31

(١) ناقش كاهن بالتفصيل قضية اضطهاد المسلمين للمسيحيين في الشرق وأكد على عدم صحتها. لمزيد من التفاصيل:

Cahen, Introduction, pp. 6-30.

(2)Cahen, Introduction, pp. 15-16.

(3)Charanis, P., "A Greek Source on The Origin of the Frist Crusade", Sp., 24 (1949), p. 93؛ (Idem, Byzantium, The West, pp. 33-34).

فيه؛ فتحرير الأراضي المقدسة لم يكن يهم السياسة البيزنطية في شيء، وإنما كان حجةً لجأ الإمبراطور البيزنطي إليها ليضمن الحصول على مساعدة البابا أوربان الثاني في تجنيد قوات عسكرية تعمل في صفوف الجيش البيزنطي من أجل استعادة آسيا الصغرى، ولكن البابا استغل هذا الطلب لشن حرب ضد المسلمين وتحقيق أهدافه الخاصة[1].

على أي حال، ينبغي في النهاية الإقرار بما أكده سيبل Sybel، وهو أن طلب الكسيوس للمساعدة ضد السلاجقة كان هو «الحافز الحاسم» الذي أدى إلى شن الحرب الصليبية ضد الشرق الإسلامي، وكانت دعوة كليرمونت رد فعل لهذا الاستنجاد[2].

******

(١) Charanis, Amis of The Medieval Crusades, p. 128؛ Cahen, Introduction, p. 16؛ Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 204؛ Duncalf, J.A. "The Pope's Plan for the Crusade", in: Crusades, Motives and Achievements, (U.S.A. 1966), pp. 22-24.

(٢) Sybel, H., The History and Literature of The Crusades, English Trans. Gordon, L.D., (London 1965), p. 45؛ Munro, Did Alexius I Ask for Aid, p. 731.

الفصل الثاني

دور آسيا الصغرى في السياسة البيزنطيةتجاه الحروب الصليبية

- آسيا الصغرى بين الكسيوس كومنين وقادة الحملة الصليبية الأولى.
- دور حملة سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠١م) في السياسة البيزنطية تجاه آسيا الصغرى.
- سياسة مانويل كومنين تجاه الحملة الصليبية الثانية.
- موقف إسحاق الثاني إنجيلوس من جيش فردريك بربروسا.

شكلت آسيا الصغرى جزءًا هامًا وحيويًا داخل الدولة البيزنطية، فلم تقتصر أهميتها على النواحي الاقتصادية فحسب بل امتدت لتشمل الجوانب السياسية والدفاعية، حيث كانت موقعًا هامًا وحصنًا منيعًا يحمي الدولة البيزنطية من ناحية الشرق، ففيها نظمت الثغور (الثيمات)[١]؛ للدفاع عن أراضيها وحمايتها من الهجمات التي كانت تشنها قوى الشرق الإسلامي عليها مما دفع بعض الباحثين المحدثين إلى القول:«إن آسيا الصغرى شكلت قلب الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وإن القسطنطينية لم تكن سوى موقعًا للدفاع على الشاطئ الأوروبي»[٢].

أما عن الأهمية الاقتصادية لآسيا الصغرى بالنسبة للدولة البيزنطية فإنها كانت المصدر الرئيسي لثروتها، ودعامة اقتصادها، ومركزها التجاري النشط، وهذا ما عبر عنه نورمان بينز Norman Baynes بقوله: «إن العامل الأساسي في ازدهار الدولة البيزنطية ورخائها يكمن في امتلاكها آسيا الصغرى التي كانت بمثابة مستودع الرجال والأموال على حد سواء»، فقد عاش على أراضيها الجانب الأكبر من سكان الدولة البيزنطية، وكانت المصدر الرئيسي لثروة الدولة الاقتصادية؛ فعلى أرضها نمت كافة أنواع المحاصيل الزراعية، وكانت غنية بالمناجم التي احتوت في باطنها على مختلف المعادن الهامة، وانتعشت فيها الصناعات، فضلاً عن كونها مركزًا لحركة تجارية نشطة[٣].

هكذا كانت آسيا الصغرى تمثل موردًا هامًا ساهم في قوة اقتصاد الدولة البيزنطية بالقدر الذي دفع أحد الباحثين يذهب إلى القول: بأن ما أصاب الدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي من ضعف واضطراب لم يكن سببه الضعف السياسي بقدر

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن نظام الثغور في آسيا الصغرى:

السيد الباز العريني، أجناد الروم، (القاهرة **١٩٥٦**).

(2)Lilie, Twelfth- Century Byzantine, p. 42؛ Charanis, P., "Cultural Diversity and The Breakdown of Byzantine Power in Aisa Minor", D.O.P., 29 (1975), p.3؛ Diehl, Byzantium, pp. 112-113.

(٣) نقلاً عن:

Charanis, Cultural Diversity, p. 3؛ Vryonis, Decline, p. 406؛ Idem, "Problems in the History of Byzantine Anatolia", T.A.B., I (1963), p. 114.

ما كان ناتجًا عن فقدان الدولة البيزنطية للموارد الاقتصادية التي كانت تتدفق عليها من آسيا الصغرى، فضلاً عن أموال الضرائب التي كانت تمثل جزءًا كبيرًا من إيرادات الخزانة الإمبراطورية[1].

إضافة إلى ما سبق، فإن آسيا الصغرى شكلت موردًا بشريًا لا يستهان به للدولة البيزنطية؛ حيث أمدتها بعدد كبير من القادة والجنود الذين شكلوا أساس الجيوش البيزنطية التي تصدت لهجمات المسلمين في القرنين السابع والثامن الميلاديين، وعلى أيديهم تحققت انتصارات كبيرة للدولة البيزنطية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ومن مدنها الساحلية جندت معظم قوات الأسطول البيزنطي، وقدمت العديد من الأسر الحاكمة الشهيرة للدولة البيزنطية، فمنها جاءت أسر فوقاس، وديوجنيس، وبوتانياتس، ودوقاس، وكومنين، التي لعبت دورًا بارزًا في تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الوسيط، وكذلك أمدت الدولة البيزنطية بنخبة ممتازة من موظفي البلاط الإمبراطوري[2].

على هذا النحو تتضح المقومات التي جعلت لآسيا الصغرى مكانًا بارزًا في تاريخ الدولة البيزنطية، التي عبر عنها أحد الباحثين بقوله: إن آسيا الصغرى لم تكن تقل أهمية عن القسطنطينية في السياسة البيزنطية، فكلتاهما كانتا تشكلان قلب الدولة البيزنطية النابض، وإن أي تهديد لآسيا الصغرى كان يشكل تهديدًا خطيرًا للدولة البيزنطية ذاتها[3].

ومن ثم لم يكن غريبًا أن تلقي آسيا الصغرى بظلالها على سياسة الأباطرة البيزنطيين تجاه الحملات الصليبية المارة بأراضيهم، بل يمكن القول بأنها كانت تمثل العامل الأساسي والمهيمن الذي صاغ طبيعة العلاقات بين الجانبين، تلك العلاقات

(1)Vryonis, Decline, p. 405؛ Herrin, J., "The Collapse of the Byzantine Empire in Twelfth Century: A Study of A Medieval Economy", U.B.H.S., 1 (1970), pp. 189-190

(2)Diehl, Byzantium, pp. 114-115؛ Charanis, Cultural Diversity, p. 3؛ Vryonis,Decline, p.405.

(3)Lilie, Twelfth- Century Byzantine, p. 42.

التي كان محورها المساعدات البيزنطية مقابل تعهدات صليبية برد كافة الأراضي البيزنطية المتوقع استردادها من أيدي السلاجقة في آسيا الصغرى.

آسيا الصغرى بين الكسيوس كومنين وقادة الحملة الصليبية الأولى:

كانت استعادة الأراضي التي فقدتها الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى هي القضية الأساسية التي استحوذت على فكر الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، ولعبت دورًا بارزًا في صياغته لأسلوب التعامل مع قادة الحملة الصليبية الأولى، ولكن لم تكن الجيوش المنظمة القادرة على الحرب والقتال هي أول من وصل إلى القسطنطينية من الصليبيين، وإنما كانت جموع حملة العامة-المفتقرون إلى النظام- بقيادة والتر المفلس Walter Sans Avoir وبطرس الناسك Peter The Hermit.

وعلى الرغم من ذلك فقد حاول الكسيوس أن يكون واقعيًّا في تعامله مع هذه الحشود، وربما راودوه الأمل في الاستفادة منها، وتجنيدها كقوات مرتزقة تعمل في خدمته وتحت رايته، ويستخدمها في عملية استرداد الأراضي البيزنطية المفقودة في آسيا الصغرى، فبادر بإرسال مبعوثية إلى بطرس الناسك بمجرد دخوله الأراضي البيزنطية طالبًا منه الإسراع في المسير لمقابلة الإمبراطور المتشوق إلى رؤيته، ولم يكن غريبًا أن يستقبله الكسيوس بما استطاع كرم الضيافة البيزنطي أن يجود به من صور، واعدًا إياه بمساعدته في تحقيق هدفه الذي جاء من أجله إلى الشرق[1]، وكان يهدف من وراء ذلك أن يكسبه إلى جواره وخطوة يمهد بها لسياسته.

غير أن الكسيوس سرعان ما أدرك صعوبة الاستفادة من هذه الحشود الفوضوية، التي تجهل أبسط قواعد الحرب والقتال، كما أنها تتكون من الرهبان والنساء والشيوخ والأطفال، فضلاً عن اللصوص وقطاع الطرق، مما جعله يتأكد من صعوبة السيطرة عليها، وتدريبها على فنون الحرب، لذلك أسرع بنقلهم إلى آسيا الصغرى في شعبان (**٤٨٩**هـ/ أغسطس **١٠٩٦**م)، متخليًّا عن فكرة الاستعانة بهم في تحقيق هدفه، لتلقى هذه الحملة مصيرها المحتوم فوق أراضيها[2].

---

(1)Duncalf, F., "The Peasants' Crusade", A.H.R. 26 (1921), p. 447.

حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، (القاهرة **١٩٤٧**)، ص**٣٥**؛ جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين، ص**١٣١**.

(2)Payne, R., The Dream and The Tomb, A History of The Crusades, (U.S.A. =

وبعد أن لقيت حملة العامة نهايتها المشئومة فوق أراضي آسيا الصغرى، نهض الغرب الأوروبي يتهم الكسيوس بالخيانة لها في آسيا الصغرى فراح ريموندا جيل Raymond of Aguilers، يعبِّر عن ذلك بقوله: «خانه (بطرس الناسك) الكسيوس عندما أجبره هو وأتباعه على عبور المضايق رغم أنه يدرك بأنهم لم يكونوا على دراية بأصول الحرب، ولا بفنونها، ولا يملكون دفاعات قوية ضد الأتراك»[1].

بينما ذكر المؤرخ المجهول: أن الكسيوس لم يستطع إخفاء فرحته العارمة عندما ذاع نبأ تشتيت السلاجقة لرجالنا[2].

ربما كانت هذه الاتهامات وجيهة من الناحية النظرية خاصة وأن هذه الجموع قد أتت على الأخضر واليابس وهي في طريقها إلى القسطنطينية[3]، وكان على الكسيوس أن يسعى قدر استطاعته إلى إبعادها عن عاصمته، إلا أنه من الناحية العملية فإن الكسيوس لم يقدم منذ أن وطأت أقدام الصليبيين أراضيه على أي تصرف يظهر رغبة منه في القضاء عليهم، أو تقديمهم لقمة سائغة للسلاجقة، بل على العكس من ذلك فقد تعامل معهم بحكمة، وقدم لهم كل المساعدة، وعمل على تأمينهم.

والأكثر من ذلك أنه عندما رأى ضعف هؤلاء وافتقارهم إلى المقدرة العسكرية التي تؤهلهم لمواجهة السلاجقة حاول إقصاء بطرس الناسك عن إصراره على العبور إلى آسيا الصغرى، وناشده البقاء في أراضيه حتى وصول الجيوش الصليبية النظامية،

=

1984), p. 43.

جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين، ص١٣٢.

(١) ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة إلى الإنجليزية/ جون هيوج هيل- لوريتا ل هيل، ترجمة إلى العربية/ حسين محمد عطية، (الإسكندرية ١٩٩٠)، ص٧٨.

(٢) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٢٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول أحداث خط سير حملة العامة حتى وصولها للقسطنطينية:

Runciman, S., "The Frist Crusaders' Journey Across The Balkan Peninsula" B, 19 (1949), pp. 210-214؛ Duncalf, F., "The Frist Crusade: Clermont to Constantinople", I, (Philadelphia 1955), pp. 259-262؛

Kerr, A.J.C., The Crusades, (New York 1966), pp. 21-22.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، بلاد المجر والحملة الصليبية الأولى، مقال مستخرج من كتاب (سعيد عاشور إليه في عيد ميلاده السبعين)، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص٢٣٥-٢٤٨.

وتحاشيًا للنتائج الوخيمة التي قد تنتج عن هذه الرحلة الانتحارية في قلب آسيا الصغرى[1]. وجاء ذلك على لسان المؤرخ المجهول نفسه حينما ذكر على لسان الكسيوس نصيحته لبطرس الناسك بقوله: «لا تعبروا البسفور قبل وصول بقية الجيش الصليبي؛ لأنكم لستم بالكثرة التي تمكنكم من محاربة الترك»[2].

لاشك أن الكسيوس كان يدرك تمامًا المصير المحتوم لصليبي هذه الحملة، إلا أنه قام بنقلهم إلى آسيا الصغرى، وبذلك وضع نفسه موضع الاتهام بأنه كان السبب في الكارثة التي لحقت بهم هناك، لكنه كان مضطرًا إلى ذلك أمام حوادث عنفهم، وهو ما أشار إليه المؤرخون اللاتينيون أنفسهم عندما ذكروا: أن ما قامت به جموع حملة العامة من أعمال سلب ونهب للدور والقصور وحتى الكنائس نفسها، أثار سخط الإمبراطور مما دفعه إلى الإسراع بنقلهم إلى آسيا الصغرى[3]. ومع ذلك فقد نصحهم بالبقاء داخل معسكرهم في كيفتوت، وتجنب الاحتكاك بالسلاجقة حتى تصل إليهم القوات النظامية، وقدم لهم المرشدين لمساعدتهم في عبور آسيا الصغرى[4].

فضلاً عن أن المنطقة التي نقلهم إليها الكسيوس كانت آمنة من الهجوم السلجوقي، وقد أقاموا فيها لمدة شهرين دون أن يتعرضوا لأية هجمات سلجوقية، بل إنهم هم الذين بدأوا بالعدوان على الأراضي السلجوقية عندما شرعوا في أعمال السلب والنهب حتى وصلوا إلى أبواب نيقية[5]، ولم يكن ذلك بدافع الحاجة، خاصة وأن

---

(١) أنا كومنينا، الالكسياد، ص١٤.

Krey, A.C., The Frist Crusade, Accounts of Eye-Witnesses and Participants (London 1958), p. 71؛Norwich, Byzantium, pp. 33-34؛
Franzius, Byz. Empire, p. 304.

(٢) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص١٨؛بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص٦٢.

(٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص١٨؛بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص٦٢.

(Mills, Ch., The History of the Crusades for The Recovery and Possession of the Holy Land, 1, (London 1828), p. 70؛ Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 404).

(4)Chalandon, Alexis 1er Comnene, pp. 171-172؛ Fletcher, C.R.L., The Making of Western Europe, 2, (London 1914), p. 350؛ Kerr, Crusades, pp. 22-23.

(٥) أنا كومنينا، الالكسياد، ص١٤؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص١٢٤-١٢٥. =

التجار البيزنطيين كانوا يمدونهم بكل ما يحتاجون إليه من مؤن طول مدة إقامتهم في كيفتوت، بل كان نتيجة الشعور بالملل الذي انتابهم من طول إقامتهم داخل المعسكر دون وصول الجيوش الصليبية النظامية[1].

هكذا يتضح أن الكسيوس لم يظهر أي تقصير تجاه حملة العامة، بل عمل على تأمينها، وظل يمد رجالها بما يحتاجون إليه طول مدة إقامتهم في المعسكر، ولم يبخل عليهم بالنصيحة؛ فعندما علم بتوغلهم في المنطقة السلجوقية أرسل إليهم يحذرهم من مغبة ما يقترفون من أعمال تثير العدو، وأمرهم بالبقاء داخل معسكرهم وعدم الاحتكاك بالسلاجقة[2].

ولعل خير دليل على براءة ساحة الكسيوس من هذا الاتهام، هو أن بطرس الناسك نفسه-وهو قائد الحملة- لم ينسب إليه أي تقصير أو إهمال تجاه الصليبيين، فعندما التقى به الأمراء الصليبيون في القسطنطينية وسألوه عن سبب هزيمة رجاله في آسيا الصغرى، وصف لهم روح الفوضى والتمرد التي كان عليها هؤلاء الرعاع العصاة، الذين رافقوه في رحلته، وأرجع سبب النكبة التي حلت بهم إلى سلوكهم الفوضوي أكثر من أي شيء آخر[3]. يضاف إلى ذلك أن الكسيوس بمجرد أن علم بما حل بهم على أيدي السلاجقة تأثر بشدة وأرسل لهم جانبًا من أسطوله لنجدتهم، الأمر الذي أجبر السلاجقة على رفع الحصار عمن تبقى منهم، وقام بنقلهم إلى القسطنطينية حيث استقبلهم الإمبراطور خير استقبال[4].

على هذا النحو، يمكن القول بأن الكسيوس لم يكن يهدف من وراء نقل جموع حملة العامة إلى آسيا الصغرى إلى القضاء عليهم، أو تقديمهم فريسة سهلة للسلاجقة، بقدر

=

Duncalf, Peasants' Crusade, pp. 450-451؛Payen, Crusades, p.43.

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص١٢٥.

France, Victory, p. 93. ؛Duncalf, Peasants' Crusade, p.451

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص١٢٥.

(٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص١٨٨.

(٤) أنا كومنينا، الالكسياد، ص١٥-١٦.

Duncalf, Peasants' Crusade, 451؛ Mills, Crusades, I, pp.73-74. ؛Krey, Frist Crusade, p. 78

ما كان يهدف إلى حماية عاصمته من اعتداءاتهم، وحفاظًا على أراضيه من سلبهم ونهبهم[1]، خاصة وأن الكسيوس لم يكن بالسذاجة السياسية التي تجعله يساعد في القضاء على هذه الجموع ويثير بذلك مشاعر إخوانهم الأمراء، الذين كانوا على وشك الوصول إلى عاصمته، ومضحيًا بإمكانية تعاونهم معه في تحقيق حلمه الأثير باستعادة أراضيه في آسيا الصغرى.

وإذا كان الغرب الأوربي قد أشار بأصابع الاتهام إلى الكسيوس، فقد جاء ذلك نتيجة لضخامة الكارثة التى حلت بهذه الجموع في آسيا الصغرى، بل يمكن القول بأنه لو كانت حملة الأمراء قد تعرضت لنفس المصير لكان الغرب الأوربي قد كرر نفس اتهامه لالكسيوس متناسيًا ما قدمه من مساعدات وتسهيلات لقادة هذه الحملة.

على أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته، هو أن حملة العامة وما أحدثته من شغب ودمار عبر الأراضي البيزنطية قد نبهت الكسيوس إلى الخطر الذي قد تتعرض له دولته من الجيوش الصليبية القادمة، لذلك عمل على رسم إستراتيجية محكمة لحماية أراضيه منهم والإفادة من هذه الجيوش[2]، وربما استقر في ذهنه أنه إذا كان الحظ لم يحالفه في تسخير حملة العامة لخدمة أهدافه في آسيا الصغرى، فإن الفرصة قد واتته الآن للاستفادة من هذه الجيوش المنظمة، إلا أن تحقيق ذلك كان أمرًا صعبًا للغاية استغرق منه ستة أشهر تكبد خلالها الكثير من المشاق لإخضاع هؤلاء الأمراء الذين اتسموا بالجموح وصعوبة المراس، ومن أجل انتزاع تعهد منهم باسترجاع أية أراضي بيزنطية يستردوها من السلاجقة في آسيا الصغرى، وذلك من خلال إلزامهم بأداء قسم الولاء والإخلاص له[3].

---

(1)Duncalf, Peasants' Crusade, p. 451.

جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين، ص١٦١.

(٢) عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية، ص٨٦.

(3)Pryor, J.H., "The Oaths of the Leaders of the Frist Crusade to Emperor Alexius I Comnenus: Fealty, homage", Parergon, N.S., 2 (1984), p. 111.

- ناقش براور Pryor، طبيعة هذا القسم ونفى ما ذكره معظم مؤرخي الحروب الصليبية من أن الأمراء، أدوا قسم البيعة الإقطاعية للإمبراطور وأصبحوا أفصاله، وخرج بنتيجة مفادها أن قسم الولاء والإخلاص يعني: أنهم لن يلحقوا أي ضرر بالأراضي البيزنطية أثناء سيرهم وأن يعملوا على تحقيق الأهداف البيزنطية بألا =

ولا ريب في أن الإستراتيجية التي صممها الكسيوس للتعامل مع الأمراء الصليبيين قد ارتبطت أساسًا بأهدافه ومصالحه في آسيا الصغرى، فالكسيوس-كما سبق ذكره- لم يكن راغبًا في حملة صليبية بقدر ما كان في حاجة إلى مساعدة عسكرية، غير أنه فوجئ بجموع من الغوغاء أصابته بالإحباط، ثم بجيوش صليبية منظمة على رأسها أمراء يدينون بالولاء لسادتهم الإقطاعيين-ملوك غرب أوربا-، الأمر الذي أثار قلقه وانزعاجه، خاصة وأن هؤلاء الأمراء لم يحاولوا تهدئة مخاوفه أو إزالة شكوكه، فقد تصرف أول من وصل منهم إلى الأراضي البيزنطية وهو هيواف فيرماندوا Hugh of Vermandois كما لو أنه ند للإمبراطور[1]، وسارت قوات جودفري دي بوايون Godfrey de Bouillon كما لو كانت في بلد معادٍ، ونشب قتال بينها وبين القوات البيزنطية خارج أسوار القسطنطينية[2]، وهو الأمر الذي تكرر حدوثه مع قوات ريموند الرابع كونت تولوز Raymond IV Count of Toulouse[3].

من أجل ذلك كان من الطبيعي أن يعمل الكسيوس على تحديد علاقته مع الأمراء الصليبيين المارين بأراضيه إلى الشرق، بما يضمن لدولته الحفاظ التام على أراضيها واستعادة ما فقدته في آسيا الصغرى، وما دام الغرب الأوربي قد أعلن أنه جاء لحماية المسيحية الشرقية من أعدائها، فلا ضير مطلقًا من استخدام قواته لاسترداد أراضي الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى مقابل تقديم التسهيلات والمساعدات لها[4].

=

يحتفظوا بأي مناطق كانت قد فقدتها الدولة البيزنطية للسلاجقة إذا استولوا عليها، وأن تكون جيوشهم في خدمة الدولة البيزنطية من أجل استرداد أراضيها في آسيا الصغرى.

Pryor, Oaths of the Leaders, pp. 122-124.

(١) أنا كومنينا، الالكسياد، ص١٦.

(٢) لمزيد من التفاصيل:

أنا كومنينا، الالكسياد، ص٢١-٢٦؛ وليم الصوري، الحرب الصليبية، ج١، ص١٥٥-١٦٣.

Payne, Crusades, pp. 53-56.

(3)Riley-Smith, Crusades, p. 24؛Lilie, R.J., Byzantium and The Crusader Sates 1096-1204, English Trans. Morris, J.C., & Ridings, J.E., (Oxford 1993), pp. 3-5.

عامرة الحمد، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، ص٤٨-٤٩.

(٤) رأفت عبد الحميد، "بيزنطة وخيانة القضية الصليبية"، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية،=

ويعقد جيبون مقارنة بين وضع الكسيوس ووضع أحد الرعاة في أسطورة شرقية قديمة والذي دُمِّر عندما تحققت آماله؛ حيث ظل يصلي ويتعبد من أجل نزول المطر، وعندما نزل الماء اكتسح الفيضان كوخه وقطيعه، فيرى جيبون بأن الكسيوس يتشابه مع هذا الراعي إلى حد كبير؛ حيث ناشد الغرب المساعدة فبُلِيَ بحشود كاسحة، غير أنه اختلف في المصير الذي آل إليه عن الراعي؛ حيث استطاع ببراعته وذكائه ليس فقط تجنب وقوع مصادمات عنيفة مع الصليبيين، بل استطاع كذلك توجيههم لخدمته وتحقيق هدفه الرئيسي وهو استعادة أراضيه في آسيا الصغرى[1].

من هنا أصر الكسيوس على أن يقسم له الأمراء يمين الولاء، حتى يضمن التزامهم بإعادة كافة الأراضي البيزنطية المتوقع الاستيلاء عليها من السلاجقة في آسيا الصغرى[2]، واستخدم الإمبراطور في سبيل ذلك كافة الوسائل الممكنة من الترغيب إلى الترهيب، فاستقبل بعضهم بالترحاب وأغدق عليهم الأموال والهدايا حتى أقسموا له مثلما فعل مع هيوفيرماندوا[3]، واستخدم في نفس الوقت سلاح القوة والترهيب مثلما فعل مع جودفري عندما رفض تأدية القسم، فقام بقطع المؤن عنه أكثر من مرة، ثم أمر القوات البيزنطية بالهجوم على رجاله حتى رضخ في النهاية لرغبة الإمبراطور وأدى القسم له[4].

أما بوهيموند فقد استجاب لأداء القسم دون معارضة[5]، بينما اكتفى ريموند

=

(القاهرة ١٩٩٨)، ص١٠٤.

(١) نقلاً عن:

Charanis, Amis of The Medieval Crusades, p. 128.

(2)Munro, D.O., The Kingdom of the Crusaders, (New York 1935), p. 42.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٢٤؛ عامرة الحمد، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، ص٥٠.

(٣) أنا كومنينا، الالكسياد، ص١٨.

Lilie, Crusader States, pp. 7-8.

(٤) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٢٤-٢٥؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص٧٦؛ أنا كومنينا، الالكسياد، ص٢٦.

Payne, Crusades, p. 56؛France, Victory, p. 114.

(٥) لمزيد من التفاصيل:

=

بالقسم بالمحافظة على حياة الإمبراطور وممتلكاته وعدم الإضرار بها[1]، وأخيرًا لم يجد الكسيوس صعوبة تذكر في الحصول على القسم والتعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى من آخر جيوش حملة الأمراء بقيادة ستيفن كونت بلو Stephen Count of Blois[2]، وروبرت كونت فلاندرز Robert Count of Flandres[3].

على هذا النحو، نجح الكسيوس على حمل أمراء الحملة الصليبية الأولى على أداء قسم الولاء له، وتم عقد معاهدة في القسطنطينية، تعهد فيها الأمراء بإعادة كافة الأراضي المتوقع الاستيلاء عليها في آسيا الصغرى من السلاجقة، والتي كانت فيما سبق خاضعة للسيادة البيزنطية، وفي المقابل وعدهم الكسيوس بتقديم المساعدة العسكرية برًا وبحرًا، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من مؤن وإمدادات أثناء رحلتهم، وتعويضهم عن كل الخسائر التي لحقت بهم، مع منح الأمان لجميع الحجاج المارين عبر أراضي دولته[4].

=

المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣٠-٣١؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص٨١-٨٢؛ أنا كومنينا، الالكسياد، ص٣٢.

Lilie, Crusader States, pp. 9-10

(١) ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص٧٢.

Pryor, Oaths of the Leaders, pp. 124-126؛Payne, Crusades, p. 62.

(٢) ستيفن كونت بلوا، ترك هذا القائد الحملة الصليبية الأولى أثناء حصار انطاكية وقبل الوصول إلى بيت المقدس، ويرى برندج Brundage، أن سبب ذلك هو اعتقاد ستيفن أن دوره قد انتهى بعد أن أصبحت المدينة على وشك الوقوع في أيدي الصليبيين ورغبة منه في عدم التورط في النزاعات التي ستندلع بين الأمراء الصليبيين بعد سقوط المدينة، إلا أن هذه العودة كانت السبب الذي دفع الكثير إلى اتهامه بالخيانة وأصدر البابا ضده قرار الحرمان الأمر الذي دفعه إلى المشاركة في الحملة الصليبية لسنة ١١٠١م.

لمزيد من التفاصيل:

Orderic Vitalis, Historia Ecclesiastica, English Trans., Chibnall, M., 5, (Oxford 1975), p. 325؛ Brundage, J.A., "An Errant Crusader. Stephen of Blois" T, 16 (1960), pp. 381-391.

فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص١٢٣.

(٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص١٨٩-١٩٠.

Lilie, Crusader States, p. 12.

(٤) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣١.

=

وقد وفَّى الكسيوس بتعهداته تجاه الأمراء الصليبيين؛ فقدم لهم السفن اللازمة للعبور إلى آسيا الصغرى، ووفر لهم ما احتاجوا إليه من مؤن وإمدادات، وقدم لهم فرقة من الجيش البيزنطي بقيادة تاتيكيوس Tatikios، فضلاً عن المرشدين والكشافين وآلات الحصار، وكان مستعدًا لأن يقدم لهم كل وسائل المساعدة بشرط أن يستمروا في المحافظة على قسم الولاء وإعادة ما يفتحونه من مدن في آسيا الصغرى إليه[1].

أما بالنسبة للصليبيين، فقد كان اجتياز الأمراء لمدينة نيقية هو أول اختبار عملي يبين مدى التزامهم ببنود الاتفاق المبرم بينهم وبين الكسيوس، خاصة وأن الإمبراطور قدم لهم كل ما احتاجوا إليه لحصار تلك المدينة، وأرسل إليهم السفن التي أغلقت بحيرة نيقية[2]، وأتمت الحصار حول المدينة، فضلاً عن فرقة من الرماة تألفت من **٢٠٠٠** فارس، وكان لهذه المساعدة دور كبير في استسلام المدينة[3].

والتزم الصليبيون أيضًا باتفاقهم مع الكسيوس، فبعد استسلام نيقية في رجب (**٤٩٠**هـ/ يونيه **١٠٩٧**م)، تنازل عنها الصليبيون للإمبراطور، وبذلك عادت مدينة نيقية للدولة البيزنطية بعد ستة عشر عامًا من السيطرة السلجوقية، وذهب القادة في اليوم إلى الإمبراطور لتجديد القسم ولشكره على ما قدم لهم من مساعدات، وتهنئته بعودة نيقية إليه، قبل أن يواصلوا رحلتهم عبر آسيا الصغرى[4].

=

Lilie, Crusader States p. 12؛ Vasiliev, Byz. Empire, 2, p. 408؛ Angold, Byz. Empire, p. 140.

- لم تذكر أنا كومنينا أي تعهد من قبل الكسيوس للصليبيين وإنما تضع التعهدات فقط على الصليبيين مما يعكس وجهة النظر البيزنطية من أن الصلبيين ما هم إلا مرتزقة في خدمة الكسيوس يعملون لتحقيق أهدافه.

أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٢٦**.

[France, Victory, p. 117].

(1)Payne, Crusades, pp. 62-63. Angold, Byz. Empire, p. 140؛

عامرة الحمد، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، ص**٦٨**.

(**٢**) بحيرة نيقية، بحيرة كبيرة تقع غرب مدينة نيقية، يصل طولها **٤٠**كم، وتوفر حماية طبيعية للمدينة من ناحية الغرب.

France, Victory, p. 143.

(**٣**) لمزيد من التفاصيل، انظر الفصل الثالث.

(4)Lilie, Crusader States, p. 12؛ Angold, Byz. Empire, p. 140؛ Ostogorsky, Byz. State, p. 332.

ومن نيقية كانت كل مدينة تستسلم للصليبيين كانوا يسلمونها إلى تاتيكيوس باستثناء مدن قيلقية التي رفض بلدوين Baldwin وتانكرد Tancred إعادتها للإمبراطور[١].وبذلك قام الصليبيون بتسليم كافة المدن التي استولوا عليها للقائد البيزنطي حتى وصلوا إلى مدينة مرعش[٢].

لم تكن هذه فقط هي المكاسب التي أحرزها الكسيوس من وراء الحملة الصليبية الأولى، بل استغل الإمبراطور الضربة التي أنزلها الصليبيون بالسلاجقة، وأدت إلى انسحابهم من مدن نيقية وضوروليوم Dorylaeum (اسكى شهر)، وأنطاكية- بيسديا Antioch- pisidia[٣]، وقونية وهرقلة، وغيرها من المدن إلى السهل الداخلي، وشرع في الاستيلاء على الجانب الغربي من آسيا الصغرى[٤]، فبعد أن قام بتحصين نيقية والاستيلاء على الحصون التي تتحكم في الطريق إلى ضوروليوم أرسل القائد يوحنا دوقاس على رأس جيش كبير يسانده الأسطول بقيادة كاسباكس Kaspaxللاستيلاء على ساحل أيونيا ومنطقة فريجيا، وأعطى زوجة قليج أرسلان الأول وابنة تزاخاس لقائد الجيش حتى يتأكد حكام تلك الجهات من هزيمة السلطان فيدب اليأس في نفوسهم ويستسلمون له.

---

(١) بعد هرقلة انفصل تانكرد وبلدوين عن الجيش الرئيسي الذي سار بطريق قيصرية إلى أنطاكية وسارا بطريق أبواب قليقية، ونجح تانكرد في الوصول أولًا إلى طرسوس واستولى عليها بمساعدة الأرمن، واتجه إلى إذنه وانتزعها من السلاجقة ومنها إلى المصيصة التي نجح في دخولها بعد فرار حاميتها السلجوقية ورفض إعادتها للدولة البيزنطية:

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٣٥-٢٤٧**.

Forse, J.H., "Armenians and The Frist Crusade" J.A.H., 17 (1991), pp 14-15.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٩٦-٣٠٢**.

(٢) جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين، ص**٢٣٧**؛ عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص**٢١١**.

(٣) أنطاكية بيسديا، تقع شرق بحيرة اجردير Egirdir على الطرق الممتدة عبر جنوب آسيا الصغرى في وادي خصب.

Ramsay, Historical Geography, p. 150؛O.D.B., I, p. 113.

(4)Vryonis, Decline, pp. 116-117؛ Taeschner, Turks and the Byzantine Empire, p. 741؛ Sayar, M., "The Empire of The Salcuqids of Asia Minor" J.N.E.S., 10 (1951), p. 270؛ Ostrogorsky, Byz. State, p. 322.

وبدأت القوات البيزنطية عملياتها العسكرية في غرب آسيا الصغرى بمدينة أزمير (سميرنا)، التي كان يحكمها ابن تزاخاس، فوصل إليها يوحنا دوقاس ونصب معسكره على مقربة من أسوراها، بينما قام كاسباكس بإرساء سفنه في الميناء، وبذلك تم حصار المدينة برًا وبحرًا، الأمر الذي دفع حاكمها إلى التسليم بشرط السماح له ولرجاله بالرحيل دون تعرض القوات البيزنطية لهم، وبذلك استولى البيزنطيون على هذه المدينة دون إراقة الدماء[1].

ثم زحفت القوات البيزنطية بعد ذلك بقيادة يوحنا دوقاس إلى مدينة أفسوس، التي كان يحكمها الأمير تنجارميش وتم الاستيلاء عليها بعد معركة عنيفة، قتل فيها الكثير من السلاجقة، وأسر حوالي **٢٠٠٠** شخص[2]، وبينما كان كاسباكس يحتل بأسطوله الساحل والجزر توغل يوحنا إلى الداخل يطارد السلاجقة الذين فروا عبر نهر المياندر، واستولى أثناء زحفه على مدن سارديس وفيلادلفيا Philadelphia[3]، ثم اتجه نحو لأودكيا التي خرج سكانها لاستقباله، فعفا عنهم، وسمح لهم بالإقامة في مدينتهم دون التعرض لهم، ومنها اتجه إلى عدة مدن نجح في الاستيلاء عليها، أهمها مدينة بوليبوتوس Polybotos[4]، التي كان قد احتشد فيها عدد كبير من السلاجقة، فقام بمهاجمتها ووقع قتال كبير بين الجانبين انتهى بانتصار القائد البيزنطي والاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم، ولم ينته خريف سنة (**١٠٩٧م**) إلا وصار الإقليم كله في قبضة البيزنطيين، واستعد القائد البيزنطي للزحف جنوبًا نحو أضاليا، بينما نجح الكسيوس أثناء ذلك في استعادة معظم إقليم بيثينيا[5].

(**١**) أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٥٠-٥٢**؛ عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص**٢١١**.

(**٢**) أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٥٢-٥٣**.

(**٣**) فيلادلفيا، مدينة في ليديا في ثغر تراقسيون، احتلها السلاجقة بعد موقعة مانزيكرت وكانت لها شهرة كبيرة كحصن عظيم على الحدود البيزنطية مع السلاجقة وقاعدة للحملات البيزنطية إلى الشرق.
لمزيد من التفاصيل

Ramsay, Historical Geography, p. 121؛ O.D.B., I, p. 1648.

(**٤**) بوليبوتوس، تقع في إقليم Paroreios Phrygia، ويمتد هذا الإقليم من سلطان داغ إلى أمير داغ.
محمد الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية، ص**١١١**.

(**٥**) أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٥٣**.

=

هكذا استطاع البيزنطيون استرداد الجزء الغربي من آسيا الصغرى ومعظم سواحلها الشمالية والجنوبية كنتيجة مباشرة للحملة الصليبية الأولى، وكان لذلك أهمية كبيرة، ويتضح هذا من خلال مقارنة حدود دولة سلاجقة الروم سنة (**١٠٩٥**م)، وبين ما صارت عليه سنة(**١٠٩٨**م)، ففي سنة (**١٠٩٥**م) كانت الحدود السلجوقية تمر بمدينة نيقية ونيقوميديا، أي على مسافة صغيرة من بحر مرمرة ومضيق البسفور، وكان يحكم سميرناوافسوس أمراء سلاجقة، أما في سنة (**١٠٩٨**م)، فكان قد تم طرد السلاجقة من بيثينيا وايونيا وليديا وفريجيا، وتراجعت الحدود السلجوقية في آسيا الصغرى إلى الوراء ما لا يقل عن **٢٠٠** ميل، أي إلى ما وراء تلال بيثينيا[١].

فعندما تقدم الكسيوس سنة (**١٠٩٨**م)، ليلتحق بالصليبيين عند أنطاكية استطاع أن يتقدم بدون صعوبة حتى وصل إلى مدينة فيلومليون Philomilion[٢](انظر الخريطة رقم **٢**)، وبعد ذلك بقليل استطاعت قواته البرية والبحرية السيطرة على جنوب آسيا الصغرى، وأمر بإعادة بناء وتحصين عدة مدن هناك[٣].

=

Vryonis, Decline, p. 117؛ Norwich, Byzantium, p. 44.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص**٣٩١**؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص**١٣٤**.

(1)Wittek, P., "Deux Chapiters de L'Histoire des Turcs de Roum", B, (1936), p. 296؛ Hussey, J.M., "Byzantium and The Crusades 1081-1204" in: Setton, K.M & Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, 2 (Philadelphia 1962), p. 129.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص**١٣٤**.

أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة/ مصطفى طه بدر، (القاهرة **١٩٥٣**)، ص**٢٠٦-٢٠٧**.

(2)Vryonis, Decline, p. 117.

عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص**٢١٢**.

- فيلومليون، احتلت مكانة هامة كمدينة حدودية بين البيزنطيين والسلاجقة وتقع في إقليم Paroreios Phrygia الذي يمتد من سلطان داغ إلى أمير داغ، وهو إقليم خصب ويحتوي على عدد كبير من البحيرات. لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, pp. 193-140؛ Webster, Geographical Dictionary, p. 19.

(3)Foss, Defenses of Asia Minor, p. 158. Vryonis, Decline, p. 117؛

مما سبق يمكن القول بأن الحملة الصليبية الأولى نجحت في تحقيق جزء كبير من أهداف الكسيوس ضد السلاجقة الذين انحصروا في قلب آسيا الصغرى، إلا أن هذا لا يعني زوال الخطر السلجوقي، ولكن يمكن القول بأن السلاجقة قد أصبحوا في هذه الفترة وحتى وفاة الكسيوس أقل خطرًا من السنوات الأولى من حكمه[1]، وأن الحملة الصليبية الأولى تعد نقطة تحول خطيرة في تاريخ السلاجقة؛ إذ كانت السبب الذي دفعهم إلى التقهقر بعيدًا عن الساحل وحصرهم في السهل المرتفع وجبال آسيا الصغرى، وأعطت الفرصة الذهبية للبيزنطيين لاستعادة المنطقة الغربية من آسيا الصغرى، وكانت خير أداة استطاعت أن تثأر بها الدولة البيزنطية لنفسها مما حل بها على أيدي السلاجقة منذ موقعة مانزيكرت[2].

دور حملة سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠١م) في السياسة البيزنطية تجاه آسيا الصغرى:

إن نجاح الحملة الصليبية الأولى أدَّى إلى إغراء الكثير من الأوربيين بحمل الصليب طمعًا في إحراز ما حققه السابقون من المجد والشهرة، بالإضافة إلى أن الأنباء قد وصلتهم في الغرب الأوربي، بأن الصليبيين في الشرق في حاجة ماسة إلى محاربين جدد لمواصلة عملية الفتح خاصة وأن موقفهم كان حرجًا؛ بسبب عودة الكثير من الصليبيين بعد سقوط بيت المقدس إلى الغرب الأوربي، وأن الشرق مليء بالثروات والضياع... الخ التي تنتظرهم، هذا بالإضافة إلى أن مشاركة بعضهم كانت خوفًا من الحرمان الذي أعلنه البابا على كل من أخذ الصليب ولم يذهب للشرق، أو ذهب وعاد قبل الاستيلاء على بيت المقدس، وشكل هؤلاء الحملة الصليبية الجديدة التي عرفت بحملة سنة (١١٠١م)[3].

أما على الجانب البيزنطي، فقد كانت هناك مساحات كبيرة في آسيا الصغرى لا

---

(١) أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٠٧.

(2)France, Victory, p. 184. Cahen, Pre-Ottoman Turkey, pp. 84-85؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٣٥.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن أسباب هذه الحملة:

Albert d'Aix, Historia, p. 559؛Orderic Vitalis, Historia, 5, pp. 323-325؛ Cate, J.L., "The Crusade of 1101", in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W., (eds), A History of The Crusades I, (Philadelphia 1955), pp. 343-346.

تزال تحت سيطرة السلاجقة، وكان الكسيوس يرغب في إعادة فتح الطريق المؤدي إلى بلاد الشام لتأمين المدن التي تم الاستيلاء عليها جنوب شرق آسيا الصغرى من ناحية، وليتمكن من التدخل في شئون بلاد الشام من ناحية أخرى، ومن ثم كان على أهبة الاستعداد للتعاون مع الجيوش الصليبية الجديدة، التي أخذت تتوافد على أراضيه سنة (١١٠١م)، عسى أن يستغل هذه القوات في تحقيق أهدافه في آسيا الصغرى[١].

كان أول هذه الجيوش الصليبية الجيش اللومباردي بقيادة أنسلم بويه Anselm Buius رئيس أساقفة ميلان، وألبرت كونت بياندرات Albert Count of Biandrat، الذي وصل إلى القسطنطينية في شهر مارس واستقبله الكسيوس استقبالًا طيبًا، وسمح لقواته بإقامة معسكرهم على الساحل الغربي للبسفور، ووزع على قادته الهدايا، وأقام لهم الأسواق، وقدم لهم السفن التي نقلتهم إلى آسيا الصغرى بعد إقامة في القسطنطينية دامت شهرين[٢].

وتم توقيع معاهدة سلام بين الكسيوس واللومبارديين أقسم فيها اللومبارديون قسم الولاء لالكسيوس وتعهدوا بإعادة كافة الأراضي التي قد يستولون عليها من السلاجقة في آسيا الصغرى[٣]. وعندما طلبوا من الإمبراطور قائدًا يرشدهم في آسيا الصغرى لبَّى طلبهم، وألَحَّ في ذلك على ريموند كونت تولوز[٤]؛ لما له من خبرة ودراية بطرق آسيا الصغرى وأساليب قتال السلاجقة، واستجاب لطلبه، وقدم لهم أيضًا فرقة من التركوبول Turcopoles[٥] تتألف من ٥٠٠ فارس بقيادة القائد البيزنطي

---

(١) السيد الباز، الحروب الصليبية، ج١، ص٣٠١.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 560؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 327. Oldenbourg, Z., The Crusades, Enlgish Trans., Carter, A., (New York 1967), p. 206؛ Rousset, P.Histoire des Croisades, (Paris 1957), p. 168.

(3)Lilie, Crusader States, p. 67. Albert d'Aix, Historia, pp. 560-562؛

(٤) كان ريموند في ذلك الوقت في القسطنطينية حيث ترك أهله في اللاذقية واتجه إلى الكسيوس يطلب مساعدته لتأسيس إمارة في بلاد الشام بعد أن فشلت كل محاولاته في ذلك هناك واستقبله الكسيوس بالترحاب. أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦١؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٢١٤.

Matthieu D'Edesse, Chronique, p. 241.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٦٩-٢٧١.

(٥) التركوبول، مرتزقة بيزنطيون استخدموا بشكل كبير كفرسان، والتركبلي كلمة يونانية تعني أبناء أو سلالة =

تيستاس Tistas؛ لإرشادهم وتقديم المساعدة لهم، واستلام المدن التي قد يفتحونها من السلاجقة[١].

ثم نصحهم الكسيوس باتباع طريق الحملة الصليبية الأولى؛ لأنه الأكثر أمانًا، ووافق على ذلك ريموند كونت تولوز، وستيفن كونت بلوا، غير أن اللومبارديين رفضوا ذلك؛ وذلك لأنهم علموا أثناء وجودهم بالقسطنطينية أن الأمير كمشتكين الدانشمندي[٢]، قد أسر بوهيموند أمير أنطاكية وسجنه في مدينة نيكسار[٣]، فأصروا على التوجه إليها لتحريره، خاصة وأنهم يعتبرونه القائد الوحيد الذي يثقون في قدرته على قيادتهم نحو النصر، وراحوا يزعمون أنهم قادرون على التوغل داخل أراضي الدانشمنديين وهزيمتهم والاستيلاء على أراضيهم، وأنهم في استطاعتهم تحقيق نصرًا أعظم مما حققه جيش الحملة الصليبية الأولى، وذلك بالاستيلاء على بغداد عاصمة

=

الترك، إذ ينحدر أفرادها من أب تركي وأم بيزنطية، وتم تكوين هذه الفرقة بعد اتصال البيزنطيين بالسلاجقة بعد مانزيكرت.

بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص٨٧، حاشية ١٣.

(1)Ekkehard of Aura, Hierosolymita, R.H.C-H.Occ., 5, (Pairs 1886), p. 31؛ Albert d'Aix, Historia, pp. 563-564؛ Chalandon, Alexis Ier Comnene, p. 226؛ Archer, T.A., The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, (London 1894), p. 104.

(٢) كمشتكين الدانشمندي، يعد هذا الأمير هو المؤسس الحقيقي للدولة الدانشمندية في آسيا الصغرى، توفي سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، وقد أثرت انتصاراته في تاريخ الحروب الصليبية بأكملها ومهدت الطريق لمن جاء بعده من القادة المسلمين لحمل راية الجهاد ضد الصليبيين.

علي محمد عودة الغامدي، المجاهد المسلم، كمشتكين بن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين، (السعودية ١٤١١هـ)، ص١٢-١٣، ٧٥.

(٣) هدد كمشتكين الدانشمندي ملطية، فأرسل حاكمها إلى بوهيموند يطلب مساعدته فرحب بذلك ولبى طلبه مسرعًا، وعلم كمشتكين بذلك، فكمن له قرب ملطية، ودار قتال بين الجانبين، انتهى بهزيمة جيش بوهيموند، ووقوعه في الأسر.

لمزيد من التفاصيل:

ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٩؛ الرهاوي المجهول، روايات المؤرخ الرهاوي المجهول عن الحملتين الأولى والثانية، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، (دمشق ١٩٩٥)، ص٢٦؛ حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص١٢٧-١٢٨؛ علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص١٦-٢٢.

الخلافة العباسية[1]، وعلى ذلك ساروا في طريقهم لتحرير بوهيموند.

بعد ذلك بقليل وفد الجيش الصليبي الثاني بقيادة وليم الثاني -كونت نافار- إلى الأراضي البيزنطية، واستقبله الإمبراطور بنفس الترحاب، وسمح له بإقامة معسكره على البسفور، وقدم لرجاله الكثير من الهدايا، ووزع على جنوده الأموال، وقدم له بعض القوات البيزنطية لتصحبه وترشده في رحلته عبر آسيا الصغرى، وبعد ثلاثة أيام غادر وليم التاسع وقواته القسطنطينية مسرعًا؛ حتى يلحق بالحملة اللومبادرية رغبة منه في مصاحبة أودو Odoدوق برجنديا[2] المشارك في هذه الحملة[3].

ولم تشر المصادر التي تناولت هذه الحملة الصليبية إلى أن الكسيوس قد طلب قسم الولاء من وليم الثاني، وإذا كان ذلك يعني أن الإمبراطور لم يطلب هذا الطلب، فمن المحتمل أن سبب ذلك يرجع إلى أن قوات وليم الثاني عبرت الأراضي البيزنطية دون ارتكاب حوادث عنف تثير شكوك الإمبراطور تجاه نواياها، حيث حذر وليم الثاني جنوده من القيام بأي حوادث سلب أو نهب، وهدد كل من تسوِّل له نفسه ذلك بعقوبة الموت[4].

ومن هنا لم يتوقع الكسيوس أن ينزل هذا الأمير ضررًا بأراضيه أو يستولى على أي جزء منها، ومن ثم لم يجد ما يدعو لأن يكرر عليه طلبًا أصبح أمرًا مسلمًا به وأساسيًا في

---

(١) أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦١-٦٢.

Albert d'Aix, Historia, pp. 563-564; Chalandon, Alexis Ier Comnene, p.226, Riley-Smith, Crusades, p. 36; Grousset, R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 1, (Paris 1934), p. 324; Finlay, Hist. Greece, 3, p. 114.

(٢) أودو، محارب قديم شارك في الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس لكنه جلب على نفسه سخط البابوية بسبب اعتدائه على ممتلكات دير كلوني، إلا أنه أعلن توبته وحمل الصليب وشارك في جيش ستيفن كونت بلوا.

Orderic Vitalis, Historia, 5 p. 325, Note 6; Cate, Crusade of 1101, pp. 349-350.

(3)Albert d'Aix, Historia, p. 575; Cate, Crusade of 1101, p. 358; Chalandon, Alexis Ier Conmene, p. 228.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٨.

(4)Albert d'Aix, Historia, pp. 574-575; Grousset, Croisades, I, p. 329; Chalandon, Alexis Ier Conmene, p. 228; Rousset, Croisades, p. 169.

العلاقة بين الجانبين البيزنطي والصليبي، خاصة وأن علاقته بوليم الثاني كانت على جانب من الود والصداقة؛ إذ يذكر األبرت دي اكس:«أنه (وليم الثاني) كان يلتقي كل يوم بالإمبراطور الذي احتفى به وقدم له الكثير من الهدايا»[1]، وقد يكون السبب في ذلك أيضًا أن الكسيوس ربما علم من وليم الثاني أنه ينوي اللحاق باللمبارديين مما يعني أنه سوف يبعد بجيشه عن الأهداف البيزنطية، ومن ثم لم تكن هناك حاجة لقسم الولاء والتعهد، وربما يدل على ذلك أنه طلب هذا القسم من وليم التاسع دوق اكويتين - أقطانيا- الذي وصل إلى القسطنطينية بعد ذلك بقليل وأعلن أنه عازم على سلوك طريق الحملة الصليبية الأولى، فاستقبله الكسيوس بحفاوة رغم غطرسته وتكبره، وأغدق عليه وعلى رجاله الكثير من الهدايا وعاملهم كأبنائه، ووفر لهم الأسواق حتى استطاع أن ينتزع من وليم التاسع قسم الولاء وتعهُدًا بإعادة الأراضي التي قد يستولى عليها في آسيا الصغرى للإمبراطور البيزنطي، وفي المقابل زوده الكسيوس ببعض القوات لإرشاده في رحلته عبر آسيا الصغرى[2].

وكذلك قدم الكسيوس المساعدة لكافة الفرق الصليبية التي قدمت إلى القسطنطينية بعد ذلك مباشرة، سواء كانت الألمانية أو الفرنسية والتحقت بهذه الحملة[3].

مما سبق يتضح أن الكسيوس لم يضن بأي مساعدة أو نصيحة على قادة هذه الحملة خاصة بعد أن انتزع منهم قسم الولاء والتعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، ورغم ذلك اتُّهم بأنه كان السبب فيما وقع لجيوشهم من إبادة في آسيا الصغرى، وأن سياسة اللين التي اتبعها معهم لم تكن سوى وسيلة لإخفاء نواياه السيئة

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 575.

(2)Ekkehard of Aura, Hierosolymita, p. 29؛ Albert d'Aix, Historia, p. 580؛Matthieu D'Edesse, Chronique, p. 242.

الرهاوي المجهول، الحملتين الأولى والثانية، ص٢٦.

Cate, Gay Crusade, pp. 517-518؛Chalandon, Alexis Ier Conmene, p. 229.

(3)Guibert of Nogent, Historia quae Dicitur Dei Per Francos, R.G.C.H.- Occ, 4, (Pairs 1879), p. 243.Brundage, Errant Crusader, p. 391؛ Grousset, ؛Croisades, I, p. 323.

تجاهم، وراح وليم الصوري يشبهه بالعقرب الذي لا يكمن السم في وجهه، وإنما في ذيله، فقد أجبر الصليبيين على عبور البسفور، وقدم لهم مرشدين خائنين ساروا بهم عبر دروب صحراوية وفي أراضي الأعداء، ولم يقدم لهم أي مؤن أو إمدادات رغم وعوده لهم، بل أرسل إلى السلاجقة يخبرهم بأعدادهم وبقرب وصولهم ويحرضهم على قتالهم[(١)]. بل وذكر أوردريك فيتاليس Orderic Vitalis أن السلاجقة أرسلوا إلى الكسيوس نصف الأموال والغنائم التي استولوا عليها بعد القضاء على هذه الجيوش، تنفيذًا لاتفاقه معهم، وتقديرًا منهم لتعاونه معهم[(٢)].

عند مناقشة هذه الاتهامات يتضح أن الكسيوس لم يكن له يد فيما نزل بهذه الحملة من كوارث في آسيا الصغرى، بل على النقيض من ذلك تمامًا، فقد أظهر لقادتها منذ البداية حسن النوايا، وقدم لجنودها يد العون والمساعدة رغم ما أحدثوه من سلب ونهب في أراضيه، خاصة من قبل اللومبارديين[(٣)]، وكذلك أتباع دوق اكويتين[(٤)]، ومع ذلك أخفى الرجل استياءه، وكان بارعًا وصبورًا في التعامل معهم، وأظهر لهم من الكرم والعطف أكثر مما يستحقون، محاولًا أن يحصل منهم على قسم الولاء وتجنيدهم لخدمة مصالحه في آسيا الصغرى[(٥)].

وإذا كان الكسيوس قد عمل على نقل اللومبارديين إلى آسيا الصغرى فقد كان مضطرًا لذلك أمام أحداث الشغب التي قاموا بها في ضواحي عاصمته[(٦)]، وخشية من

---

(1)Ekkehard of Aura, Hierosolymita, pp. 30-31؛ Guibert of Nogent, Historia, p. 234؛ Matthieu D'Edesse, Chronique, p. 241.

(2)Orderic Vitalis, Historia, 5, pp. 335,339.

(٣)لمزيد من التفاصيل:

Albert d'Aix, Historia, pp. 559-560؛ Cate, Crusade of 1101, pp. 352-353؛ Rousset, Croisades, p. 168.

(٤) لمزيد من التفاصيل:

Ekkehard of Aura, Hierosolymita, pp. 29-30؛ Albert d'Aix, Historia, pp. 579-580؛ Cate, Gay Crusader, p.517؛Grousset, Croisades, I, p. 330.

(5)Cate, Gay Crusader, p.520.

(٦) أقام اللومبارديون في معسكرهم خارج القسطنطينية لمدة شهرين، وظل الكسيوس يقدم لهم ما يحتاجون إليه دون أن يظهر نحوهم أي مضض، ولكن قابلوا إحسانه بالإساءة فطلب منهم العبور، وعندما حاول =

تفاقم هذه الأحداث بما قد يؤدي إلى نتائج وخيمة على دولته، خاصة إذا تم انضمامهم إلى الجيوش القادمة، وهذه النقطة شكلت مكانًا بارزًا في إستراتيجية الكسيوس في تعامله مع الأمراء الصليبيين منذ الحملة الأولى، وهي العمل على عدم اتحاد جيشين أمام القسطنطينية، ولذلك كان يحاول جاهدًا إنهاء مفاوضاته مع كل قائد صليبي ليعبر إلى آسيا الصغرى قبل وصول الآخر؛ وذلك لتفادي أي خطر قد ينجم على دولته من التقائهما، وإدراكًا منه بصعوبة إمداد جيشين في آنٍ واحدٍ، وبالتالي فإن هذا الإجراء كان يشكل في جوهره تدبيرًا أمنيًا، وليس مجرد الدفع بالجيوش الصليبية إلى آسيا الصغرى بهدف القضاء عليها، أو بناء على اتفاق مسبق بينه وبين السلاجقة[1].

أما فيما يتعلق باتهام الكسيوس بتقديم مرشدين خائنين قادوا الصليبيين إلى أراضي صحراوية، وعدم تقديمه المؤن لهم في آسيا الصغرى، فإن اللومبارديين هم الذين اختاروا هذا الطريق الشاق بمحض إرادتهم، ورفضوا الطريق الذي نصحهم به الكسيوس[2]، وعلى الرغم من أن ذلك يعد انحرافًا عن الهدف الذي يخدم المصالح البيزنطية، فقد ظل الإمبراطور ملتزمًا بتعهداته لهم ووفر لهم الأسواق حتى وصلوا إلى مدينة أنقرة التي تنتهي عندها المنطقة التابعة للسيادة البيزنطية في آسيا الصغرى، لذلك لم يشتكِ اللومبارديون حتى وصولهم إلى هذه المدينة من أي نقص في الإمدادات، ومما يدل على عدم شعورهم بأي تقصير أو خيانة من جانب الكسيوس أنهم بمجرد الاستيلاء على أنقرة سلموها للقائد البيزنطي[3]، ولو أنهم شعروا بأن الكسيوس قد

=

إجبارهم على ذلك هاجموا القصر الإمبراطوري وقتلوا أحد أقارب الكسيوس وحيوان كانفي حديقة القصر، مما جعله يصر على نقلهم.

Orderic Vitalis, Historia, 5, pp. 331-333؛Cate, Crusade of 1101, p. 353؛ Albert d'Aix, Historia, pp. 561-562؛ Riley-Smith, Crusades, p. 35؛ Norwich, Byzantium, p. 44.

(1)Finlay, Hist. Greece, 3, p. 113. Cate, Crusade of 1101, p. 520؛

(2)Cate, Crusade of 1101, p. 520.

(3) Albert d'Aix, Historia, p. 564؛ Richard, J. Histore des Croisades, (Fayard1996), p. 85؛ Fletcher, Making of Western, 2, p. 367؛ Lilie, Crusader State, p. 67.

أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦٢.

تخلى عنهم ولم يلتزم باتفاقه معهم، لما التزموا باتفاقهم معه وسلموا له المدينة.

أما بالنسبة لوليم الثاني الذي عزم على اللحاق باللومبارديين فقد واصل طريقه إلى أنقرة، وعندها تراجع عن رأيه بمحض إرادته ودون تدخل من المرشدين، واتجه صوب قونية عبر طريق يخترق المنطقة السلجوقية، فقام السلاجقة بتدمير كل مصادر الماء والإمداد أمامه[١].

ولم تشر المصادر إلى خيانة من قبل المرشدين البيزنطيين له، بل جاءت الخيانة من قبل جماعة من الأدلاء المحليين الموالين للسلاجقة الذين استعان بهم بعد تدمير جيشه على يد السلاجقة ليرشدوه إلى أنطاكية[٢].

أما وليم التاسع الذي سلك طريق الحملة الصليبية الأولى، فقد بدأ زحفه من مدينة نيقية، وكانت هذه المنطقة عرضة بأكملها للهجوم السلجوقي، فبالرغم من إعادة فتح نيقية الذي تلى الحملة الصليبية الأولى، ومجهودات الكسيوس لطرد السلاجقة من الجزء الغربي لآسيا الصغرى، فإن منطقة بيثينيا ظلت تعاني من الهجمات السلجوقية الشديدة، كما أن القوات البيزنطية لم تستطع التوغل بعيدًا عن منطقة فريجيا لكثافة الوجود السلجوقي، علاوة على أن بعض المدن الواقعة على هذا الطريق مثل مدينة قونية سرعان ما استولى عليها السلاجقة بعد الحملة الصليبية الأولى[٣]، وبذلك لم يكن في مقدور المرشدين البيزنطيين حماية وليم التاسع من مخاطر هذا الطريق.

بالإضافة إلى ما سبق يمكن القول: بأنه لم يكن من مصلحة الكسيوس القضاء على صليبي هذه الحملة، حقيقة أن وصولهم أدى إلى انزعاجه خاصة بعد توتر علاقته مع أمراء الحملة الصليبية الأولى بعد رفضهم تسليم أنطاكية له[٤]، وإقامتهم إمارات صليبية مستقلة في الشرق لا تدين بالولاء له، إلا أن هذا لا يعني أن يصل به الحد إلى

---

(١) ستناقش الخطط السلجوقية لتدمير الصليبيين في آسيا الصغرى في الفصل الثالث.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 578؛Grousset, Croisades, I, p. 330؛ Rousset, Croisades, p. 169.

(3)Vryonis, Decline, pp. 147-148.

محمد الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية، ص١١٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول استيلاء الصليبيون على أنطاكية وأثر ذلك على العلاقات البيزنطية الصليبية: عامرة الحمد، الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، ص٩٦-١١٣.

الاتفاق مع السلاجقة ضدهم، فالرجل منذ البداية أخذ يحاول جاهدًا تحقيق بعض المكاسب من ورائهم، وكانت مفاوضاته معهم وقسم الولاء الذي أخذه منهم، والنفقات والهدايا التي أغدقها عليهم كلها تؤكد رغبته في الانتفاع بهم في آسيا الصغرى وبذلك يمكن الرد على رواية أوردريك فيتاليس الذي اتهم فيها الكسيوس بأنه أراد الانتقام من صليبي هذه الحملة، واتفق مع ريموند كونت تولوز حول الطرق المناسبة للقضاء عليهم لما أنزلوه بعاصمته من نهب وتخريب[1]، بأن الكسيوس لم يكن ذلك الرجل الذي يحطم جهود حلفائه بسبب سوء تنظيمهم أو وقاحة بعضهم[2]، بل إنه لم تكن لديه أي مصلحة من وراء خداعهم وتقديمهم فريسة سهلة للسلاجقة، بل على العكس، ربما عاد عليه ذلك بمزيد من الخسائر في آسيا الصغرى بعد انتصار السلاجقة عليهم[3]، ومما يدل على ذلك تأثره لما وقع للجيش اللومباردي في آسيا الصغرى، ولومه لريموند كونت تولوز عندما عاد إلى القسطنطينية بسبب مغادرته الجيش وفراره من أمام السلاجقة، وكذلك استقباله للعائدين من آسيا الصغرى بعد هزيمتهم، وتعويضهم عن الخسائر التي لحقت بهم، ونقلهم على متن سفن بيزنطية إلى بلاد الشام عندما رغبوا في ذلك[4].

مع ذلك فإن الأمر الجدير بالملاحظة، أن الكسيوس لم يقدم لصليبي هذه الحملة من العناية والمساعدات ما قدمه لصليبي الحملة الأولى في آسيا الصغرى، ويرجع ذلك إلى أنه لم يعد يثق بالصليبيين، كما أن هؤلاء قد أعلنوا -منذ البداية- عن نيتهم في عدم اتباع طريق الحملة الصليبية الأولى، وبالتالي ابتعدوا عن الطريق الذي يحقق مصالح الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى، والأدهى من ذلك أن طريقهم الذي اتخذوه إنما هو من أجل تحرير بوهيموند عدو الكسيوس اللدود، والذي كان أسره فرصة سانحة

(1)Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 333.

(2)Cate, Crusade of 1101, pp. 366-367.

(3)Cate, Gay Crusader, p.520.

(4)Albert d'Aix, Historia, p. 575؛ Chalandon, Alexis Ier Comnene, p. 228.Cate, Crusade of 1101, p. 357؛ Grousset, Croisades, I, p. 328؛ Archer,Crusades, p. 106.

أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦٣.

للإمبراطور لتحقيق بعض المكاسب في أنطاكية، وبالتالي لم يكن من مصلحة الكسيوس تقديم مساعدات جدية لهم والتي سيترتب عليها تحرير بوهيموند ليقوم بمحاربته بعد ذلك[1]، أو ليقاتلوا الدانشمنديين الذين أراد الكسيوس عدم التورط في قتال معهم، ودارت بينه وبينهم المفاوضات حول افتداء بوهيموند[2].

وربما يتساءل المرء لماذا لم يقدم الكسيوس المساعدة الكاملة لوليم التاسع، خاصة وأنه سلك الطريق الذي يحقق المصالح البيزنطية؟.

والإجابة على ذلك تكمن في أن الكسيوس ربما رأى أن ما حصل عليه هذا الأمير من مؤن استمر يجمعها طيلة خمسة أسابيع في القسطنطينية كان كافيًا له في رحلته عبر آسيا الصغرى، إلا أن هذه المؤن قد نفذت بمجرد وصول جيشه إلى قونية[3].

وربما لم يعلم الكسيوس بهذا الأمر فيرسل إليه المساعدات، وحتى لو علم فمن الواضح أنه لم يكن بمقدوره فعل شيء، خاصة وأن المسافة التي كانت تفصل بين وليم التاسع والسلاجقة-الذين قضوا على الجيش اللومباردي، وجيش وليم الثاني، ويستعدون للقضاء على جيشه- كانت صغيرة، وبالتالي لم يكن هناك أدنى أمل في إنقاذه من الوقوع في أيديهم، ومن ثم لم يكن ليجازف الإمبراطور بتقديم مساعدة لا فائدة منها.

على أي حال، مما سبق يمكن القول بأن الكسيوس لم يكن له يد فيما وقع لهذه الحملة في آسيا الصغرى، وإنما كان السبب الرئيسي في القضاء عليها هو اتحاد السلاجقة، وما اتخذوه من وسائل وإجراءات ضدها، لدرجة يمكن معها القول بأنه لو كان الكسيوس قد قدم أضعاف المساعدات التي قدمها لهذه الحملة، فإن فرصة نجاحها في اجتياز آسيا الصغرى في ذلك الوقت بالذات-الذي استعد فيه السلاجقة لمواجهتها، والانتقام لما حل بهم من هزيمة وطرد من أراضيهم على أيدي صليبي الحملة الأولى- كانت ضعيفة للغاية.

---

(1)Oldenbourg, Crusades, p. 206..

(٢) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٧.

(3)Albert d'Aix, Historia, pp. 580-581؛Cate, Crusade of 1101, p. 361؛Idem, Gay Crusader, pp. 513, 518.

سياسة مانويل كومنين تجاه الحملة الصليبية الثانية:

كانت قضية آسيا الصغرى واسترداد الأراضي البيزنطية التي استولى عليها السلاجقة إحدى الركائز الأساسية التي شكلت سياسة الإمبراطور مانويل كومنين، فلم يظهر هذا الإمبراطور أي تهاون أو تفريط في هذه القضية، إذ عمل منذ اللحظة الأولى لاعتلائه العرش على مواصلة سياسة أبيه يوحنا كومنين[١] وجده الكسيوس كومنين، في وضع حد للتوغل السلجوقي في آسيا الصغرى؛ إدراكًا منه بأنها تشكل العمود الفقري لقوة دولته[٢].

وكانت البداية عندما استغل السلاجقة وفاة الإمبراطور يوحنا وقام السلطان مسعود بن قليج أرسلان الأول (**١١١٦-١١٥٦**م) في العام التالي لوفاته بالهجوم على أراضي آسيا الصغرى، ووصل السلاجقة إلى منطقة ملاجنه Melagena[٣]، وبعد ذلك بقليل استولى السلاجقة على براكانا Pracana[٤]، ووصلوا بإغاراتهم إلى بيزيكاس Pithecas[٥]، مهددين الطرق التي تصل الدولة البيزنطية ببلاد الشام،

(**١**) شن يوحنا كومنين العديد من الحملات العسكرية ضد سلاجقة الروم من ناحية والدانشمنديين من ناحية أخرى في آسيا الصغرى، إلا أن الضغط السلجوقي ظل قائمًا على آسيا الصغرى، واتهم هذا الإمبراطور بأنه اكتفى فقط بالشريط الساحلي وترك السلاجقة في قلب آسيا الصغرى.

لمزيد من التفاصيل:

عبد الحفيظ محمد علي، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين **٣-٦**هـ/**٩-١٢**م، (القاهرة **١٩٨٢**)، ص**١٣٨-١٦٤**؛ علي المحيميد، الدانشمنديون، ص**٢١٥**.

Vryonis, Decline, p. 119.

(**٢**) محمد الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية، ص**١٣٥**.

(**٣**) ملاجنة، منطقة في بيثينيا تقع في وادي نهر سنجاريوس الأوسط، وهي محطة هامة على الطريق المؤدي إلى ضوروليوم.

Ramsay, Historical Geography, pp. 202-204; O.D.B., 2, p. 1274.

(**٤**) براكانا، حلت محل ديوقيصرية Dio-Caesreia، في إقليم ايزوريا Isauria، وتقع أسفل وادي نهر كاليكادنوس Calycadnus بين مدينتي كلوديوبوليس وسلوقية.

Ramsay, Historical Geography, pp. 310,364.

(**٥**) بيزيكاس، تقع في وادي نهر كايستر Cayster غرب آسيا الصغرى.

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, pp. 105-111.

واجتاحوا ثغر تراقسيان (تراقسيون Thracesion)[1].

من هنا رأى مانويل ضرورة توجيه ضربة قاصمة لمسعود بن قليج أرسلان الأول فخرج على رأس جيش كبير في صيف (**٥٤١هـ/١١٤٦م**)، متجهًا نحو عاصمته قونية، وأنزل بالسلاجقة عدة هزائم، وتقدم حتى وصل على مقربة منها، ودارت رحى المعركة بين قواته والقوات السلجوقية تكبد فيها البيزنطيين الكثير من الخسائر، إلا أنها انتهت بانتصارهم وانسحاب مسعود داخل عاصمته، وبدلًا من أن يتقدم مانويل ويحاصر قونية قرر الانسحاب حيث وصلته أخبار عن احتشاد حملة صليبية جديدة في الغرب الأوربي[2].

---

(١) ثغرتراقسيان، يقع غرب آسيا الصغرى شمال نهر الميانذر، ويعد من الثغور الرئيسية في آسيا الصغرى، ويتألف من المناطق الأيجية الغنية لإقليمي ايونيا وليديا مع أجزاء من فريجيا وكريا.

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, pp. 111,423؛ O.D.B., 3, p. 2080.

السيدالباز، أجناد الروم، ص٧، ١٠، ٢٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن حملة مانويل ضد السلاجقة:

Kinnamos, Deeds, pp. 39-51؛Choniates, Annales, pp. 31-32.

- هي الحملة الصليبية الثانية، وجاءت رد فعل على سقوط إمارة الرها الصليبية على يد عماد الدين زنكي لما كان لهذه الإمارة من أهمية دينية وإستراتيجية بالنسبة للصليبيين، فضلاً عن أنها أول إمارة أقامها الصليبيون في الشرق وجاء سقوطها إيذانا بانهيار البناء الذي أقامه الصليبيون طيلة نصف قرن من الزمان، وتولى قيادة هذه الحملة اثنين من أكبر ملوك أوربا وهما كونراد الثالث ملك ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا.

لمزيد من التفاصيل:

Chronico Mauriniacensi, (eds.), Bouquet, M. & Others, R.H.G.F., 12 (Pairs 1877), p. 88؛ Chronico Ecclesiae Santi Dionysii (eds), Bouquet M. & Others R.H.G.G., 12, (Paris 1877), p. 215؛ William of Newburgh, The History of English Affairs, English Trans. Walsh, p. G. & Kennedy, M.J., I, (London 1988), pp. 85؛ Gibb, H.A.R., "Zengi and The Fall of Edessa", in: Stton, K.M. & Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, I, (Philadelphia 1955), pp. 449-462.

علية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، (القاهرة **١٩٧٥**)، ص**٢٩٥-٣١٢**.

مسفر بن عريج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (**٤٩١-٥٦٩هـ/ ١٠٩٧-١١٧٣م**)، (جده **١٩٨٦**)، ص**٢٤٧-٢٤٨**.

على هذا النحو أعاق وصول الحملة الصليبية الثانية مانويل عن مواصلة سياسته الهجومية ضد سلاجقة الروم، فهل فكر مانويل في الحصول على مساعدة قادة هذه الحملة ضد السلاجقة، وتعويض ما خسره بسبب قدومهم، خاصة وأن قائدي هذه الحملة لم يكونا أمراء مثل قادة الحملة الصليبية الأولى، وإنما ملوك ترتفع مكانتهم عن تأدية القسم له، أم أنه لم يفكر في هذا الأمر على الإطلاق؟.

بدأت علاقات مانويل بالحملة الصليبية الثانية عند اقتراب الملك الألماني كونراد الثالث من الأراضي البيزنطية، حيث أرسل إليه سفارة بيزنطية قابلته في شعبان سنة (**٥٤٢**هـ/ يوليو **١١٤٧**م)؛ لمعرفة نوايا الألمان والتفاوض مع الملك الألماني حول شروط عبور جيشه الأراضي البيزنطية، وطالبت هذه السفارة كونراد الثالث بالتعهد بعدم القيام بأي أعمال عدوانية أثناء عبور جيشه الأراضي البيزنطية، وفي مقابل ذلك سوف يعامل كصديق ويتمتع بكرم الضيافة، وبعد أن تشاور كونراد الثالث وقادته حول هذه الشروط أقسم كبار قادة الجيش الألماني بأنهم لم يأتوا لإيذاء البيزنطيين، وإنما جاءوا لقتال الأتراك، فوافق الرسل على هذا التأكيد ووعدوا بتوفير المؤن للجيش الألماني على طول الطريق(١).

ووفقًا لهذا فإن هذه السفارة لم تطلب من كونراد الثالث الطلب الخاص بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى مقابل تقديم المساعدة للألمان، في حين أنها سوف تطلب هذا الطلب من لويس السابع، الأمر الذي يثير تساؤل هام وهو: هل اختلف موقف مانويل من قائدي الحملة الصليبية؟، وإذا كان الأمر كذلك فما هو سبب هذا الاختلاف؟، أم أن موقفه كان واحدًا من الطرفين؟.

يرى لايلي Lilie أن هناك اختلاف في مطالب السفارة البيزنطية من الملكين، ويفسر هذا الاختلاف في ضوء اختلاف العلاقات البيزنطية مع كل من ألمانيا وفرنسا، فكونراد الثالث كان حليفًا لمانويل ضد النورمان، وإذا كانت مشاركته في الحملة الصليبية قد أضعفت فرصة مانويل في الاستفادة من هذا التحالف، إلا أنها لم تكن

(1)Kinnamos, Deeds, pp. 58-59؛ Choniates, Annales, p. 36؛ Helmold, The Chronicle of The Salavs, English Trans, Tschan, F.J., (New York 1935), pp. 172-173؛ Brundage, Crusades, P. 105.

سوى حادث عرضي مؤقت، سرعان ما تعود العلاقات بعده بين الجانبين على ما كانت عليه من الود والصداقة.

هذا بالإضافة إلى أن مانويل كان متزوجًا من برتا سالزباخ Bertha Sulzbach شقيقة زوج كونراد الثالث؛ ولذا كان مانويل معتدلًا في مطالبه مع الملك الألماني على عكس الملك الفرنسي الذي كان متشددًا معه[١]، بينما تضيف ريلي سميث Riley-Smith أن مانويل لم يشعر بالقلق أو الشك في نوايا كونراد الثالث أو من مشاركته في الحملة الصليبية مثلما كان يشك في لويس السابع؛ ولذلك لم يطلب منه هذا الطلب[٢].

بيد أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته هو أن اشتراك كونراد الثالث في الحملة الصليبية يُعَد خروجًا صريحًا على شروط التحالف بين الجانبين، الذي كان موجهًا أساسًا ضد روجر الثاني Roger II النورماني، وبناء عليه كان على الملك الألماني الدفاع عن ممتلكات الدولة البيزنطية في الغرب الأوربي ضد أطماع روجر الثاني، إلا أن اشتراكه في الحملة الصليبية جاء مخيبًا لطموحات مانويل، كما أن غيابه بعيدًا عن مسرح الأحداث في الغرب الأوربي سيعطي الفرصة لروجر الثاني لتحقيق خططه في الهجوم على الممتلكات البيزنطية[٣]، الأمر الذي أدَّى إلى انزعاج مانويل ونظره الى مشاركة كونراد الثالث في الحملة الصليبية دليلاً على إنهاء التحالف البيزنطي الألماني[٤].

---

(1)Lilie, Crusader States, pp. 151-152؛ (Riley- Smith, Crusades, p. 99).

(2)Riley- Smith, Crusades, p. 99.

(٣) لقد حدث هذا بالفعل حيث استغل روجر الثاني فرصة رحيل كونراد الثالث إلى الشرق وانشغال مانويل بأمر الحملة الصليبية الثانية، وهاجم سواحل الدولة البيزنطية واستولى على جزر كورفو وكيفالونيا ونهب كورنثه وايوبيا وطيبة.

لمزيد من التفاصيل:

Otto of Freising, The Deeds of Frederick Barbarossa, English Trans. Miero, ch., (Columbia 1966), pp. 69-70؛ Choniates, Annales, pp. 43-45؛Curtis, E., Roger of Sicily and The Norman in Lower Italy 1016-1154, (London 1912), p. 227؛ Berry, V.G., "The Second Crusade", in: Setton, K.M.,& Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, I, (Philadelphia 1955), p. 486.

(4)Vasiliev, Byz. Empire, 2, pp. 419-420؛Ostrogorsky, Byz. State, p. 339؛Berry, Second Crusade, p. 484.

=

ثم جاءت بعد ذلك مسيرة الجيش الألماني عبر الأراضي البيزنطية التي كانت لا تمت بصلة لشروط أي تحالف لتؤكد هذا الشعور لدى مانويل، فما كان يتسم به هذا الجيش من فوضى وما ارتكبه من حوادث سلب ونهب وتخريب والتي بلغت ذروتها عند مدينتي فيلوبوليس وأدريانوبل[١]، قد زادت من حدة التوتر بين مانويل وكونراد الثالث وأكدت شكوك مانويل في الألمان[٢].

هذا بالإضافة إلى أن تصرفات كونراد الثالث نفسه الذي رفض نصيحة مانويل بعبور مضيق الدردنيل من سيستوس Sestos[٣]وعدم الذهاب بطريق القسطنطينية متحديًا بذلك ومتجاهلاً تحذير مانويل-الذي أعلن رأيه في اعتبار قدوم الملك الألماني إلى القسطنطينية عملاً عدائيًا- وطلبه من الإمبراطور أن يخرج من القسطنطينية؛ لاستقباله خارج أسوار عاصمته قد زاد من هوة الخلاف بين الجانبين[٤].

ولعل خير دليل على سوء العلاقات بين مانويل وكونراد الثالث ما كانت تحمله خطابات الإمبراطور البيزنطي للملك الألماني عندما جاء إلى القسطنطينية من عبارات لا تتسم بأي ود أو صداقة أو حتى مراعاة لأبسط قواعد الدبلوماسية، وإنما كانت تتصف بالتعالي عليه والسخرية منه ومن جيشه والتحذير له[٥].

=

أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية، ص**٢٢-٢٣**.

(١) لمزيد من التفاصيل عن حوادث عنف الألمان في الأراضي البيزنطية:

Kinnamos, Deeds, P. 61؛ Odo of Deuil, De Profectione, p. 43؛ Choniates, Annales, 37؛ Pernoud, R., The Crusades, (London 1962), pp. 130-131؛ Archer, Crusades, p. 212.

(2)Magdalino, P.,The Empire of Manuel I Komnenos 1143-1180, (Cambridge, 1997), p. 48.

(٣) سيستوس، مدينة على الدردنيل وأقرب نقطة من ابيدوس.

Webster, Geographical Dictionary, p. 1100.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, p. 47؛ Kinnamos, Deeds, p. 63؛ Chalandon, Les Comnenes, Jean II et Manuel I Comnene, (Paris 1912), p. 272.

(٥) لمزيد من التفاصيل:

Kinnamos, Deeds, pp. 65-66.

أسمت غنيم، العلاقات البيزنطية الألمانية، ص**٢٥**.

أما فيما يتعلق بعدم شعور مانويل بأي قلق أو شك من مشاركة كونراد الثالث في الحملة الصليبية، فإن الواقع العملي كان على النقيض من ذلك، فيذكر المؤرخ نيقتاس الخونياتي، أن مانويل منذ أن علم بخبر مشاركة كونراد الثالث في الحملة الصليبية انتابه شعور من القلق والشك؛ لذا أمر بتقوية حصون وقلاع القسطنطينية، وترميم أسوارها وحشد القوات للدفاع عنها(١)، ومما يؤكد هذا الشك قصيدة كتبها الشاعر البيزنطي ماجنانيوس برودروموس Magnaneios Prodromosتوحي أبياتها بالشعور البيزنطي تجاه الألمان، ويتهم فيها الشاعر كونراد الثالث بالرغبة في الاستيلاء على القسطنطينية(٢).

مما سبق تتضح صورة العلاقة بين مانويل وكونراد الثالث، وأنه من الصعب تصور وجود تحالف أو صداقة بينهما، وإنما اتسمت العلاقة بين الطرفين بالعداء، وبذلك كان من الطبيعي ألا يتمسك مانويل ببقايا تحالف بات أثرًا واهيًا، وأن يطلب من الملك الألماني التعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى مقابل ما سيقدمه لجيشه من مساعدات، فضلاً عن ذلك فإن الشواهد والأحداث منذ تولية مانويل العرش الإمبراطوري تظهر أنه كان عازمًا على استعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، فقد رحب في بداية عهده بالتحالف الألماني الذي سيخلصه من التهديد النورماني القابع على الضفة المواجهة له على البحر الأدرياتي، وبالتالي تتاح له الفرصة لتوجيه قواته إلى آسيا الصغرى لاستعادة السيادة البيزنطية فيها، وقام من أجل هذا الغرض بحملتين(٣).

ثم تأكدت هذه الرغبة في خطاب أرسله للبابا أيوجنيوس الثالث Eugenius III (**١١٤٥-١١٥٣**م)، ردًا على خطاب البابا له الذي أخبره فيه بتشكيل حملة صليبية

---

(1)Choniates, Annales, p. 36؛ (Magdaliono Manuel I Komnenos, p. 48).

(٢) نقلاً عن:

عبد العزيز محمد عبد العزيز، العلاقات البيزنطية- اللاتينية في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس (**١١٤٣-١١٨٠**م)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب، جامعة عين شمس، **٢٠٠٠**، ص**٣٥**.

(٣) عبد العزيز محمد، العلاقات البيزنطية- اللاتينية، ص**٢٦**.

جديدة وطلب منه تقديم المساعدة لها أوضح له فيه استعداده لتقديم العون والمساعدة للصليبيين أثناء عبورهم أراضيه بشرط أن يتعهدوا له بألا ينزلوا أي ضرر بالأراضي البيزنطية وأن يعيدوا جميع المدن البيزنطية التي من المتوقع أن يستولوا عليها من السلاجقة(١).

كما أن مانويل سيطلب هذا التعهد من لويس السابع، دون أن يخشى إثارته أو تحالفه مع روجر الثاني ضده، خاصة وأنه علم بأمر المفاوضات التي كانت بين الطرفين قبل رحيل الفرنسيين للشرق(٢)، فربما يكون ذلك سبب يدفع لويس السابع عند وصوله إلى الشرق إلى مساندة ريموند دي بواتييه Raymond de Poitiers (**١١٣٦-١١٤٩**م) أمير أنطاكية وعم زوجته الملكة اليانور Elienor وبذلك يقضي على الانتصار الذي حققه الإمبراطور منذ قليل على ريموند(٣)، وعلى الرغم من أن سير القوات الفرنسية لم يصاحبه ما صاحب سير القوات الألمانية من حوادث عنف وإراقة دماء البيزنطيين(٤).

---

(1)Grumel, V., "Au Seuil de la IIe Croisade deux Lettres de Manuel Comnene Au Pope", R.E.B., 3 (1945), p. 147.

(2)Grousset, Croisades, 2, p. 266؛ Berry, Second Crusade, p. 470؛ Curtis, Roger of Sicily, p. 225.

- دارت هذه المفاوضات حول نقل القوات الصليبية على متن سفن نورمانية وتقديم كل مساعدة للحملة الصليبية، وكان يهدف روجر من وراء ذلك كسب لويس السابع إلى جواره ضد الدولة البيزنطية أو الحصول على مساعدته للاستيلاء على أنطاكية وليس تعاطفًا مع الصليبيين.

Curtis, Roger of Sicily, pp. 224-226؛ Grousset, Croisades, 2, p. 226؛ Sybel, Crusades, p. 59.

(**٣**) بعد الهزيمة التي أنزلها مانويل في بداية حكمه بالأمير ريموند ثم سقوط إمارة الرها على أيدي المسلمين بعد ذلك بقليل، أدرك ريموند صعوبة موقفه وأنه من المستحيل إنقاذ إمارته من هجوم المسلمين إلا بالحصول على مساعدة مانويل فاتجه إليه معتذرًا وأعلن خضوعه له.

Kinnamos, Deeds, pp. 36-37؛ Grousset, Croisades, 2, pp. 227-228.

سعيد عمران، السياسة الشرقية، ص١١٠-١١١-١٦٨.

(4)Brehier, L., Les Croisades, (Paris 1928), p. 106؛ Magdalino, Manuel I Komnenos, p. 49.

بردج (انتوني)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ أحمدغسان سبانو- نبيل الجيرودي، (دمشق **١٩٨٥**)،=

من هنا كان من باب أولى أن يطالب مانويل من كونراد الثالث التعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، إذ لم يكن هناك ثمة دافع يجبر مانويل على استرضائه وعدم إثارته، وهو الذي وجه للتحالف معه صفعة قوية باشتراكه في الحملة الصليبية، فكان أقل شيء يمكن أن يفعله تجاه هذا الرجل الذي تخلى عن تعهداته، وقامت قواته بنهب الأراضي البيزنطية وإزهاق أرواح المواطنين البيزنطيين هو أن يتخذ من الإجراءات ما يضمن له الحفاظ على أمن وسلامة دولته، واسترداد ممتلكاته في آسيا الصغرى.

وعلى ذلك ليس من المستبعد أن يكون مانويل قد طلب التعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى من كونراد الثالث، ربما لم يطلبه على لسان السفارة الأولى كما ذكر كيناموس؛ رغبة منه في عدم إثارة الملك الألماني في هذه المرحلة بفرض تعهدات والتزامات عليه، وهو له ما له من مكانة ووضع في الغرب الأوربي، ويقود جيش ضخم يعبر به الأراضي البيزنطية، أو أن يظهر نفسه بمظهر من يشك في كونراد الثالث ونواياه، خاصة وأنه لم يقم هو أو قواته حتى ذلك الوقت بأي عمل ضد الأراضي البيزنطية؛ لذا آثر مانويل الانتظار لما تسفر عنه الأيام من أحداث، ولكن عندما سار الجنود الألمان على هذا النحو وأصبح العداء واضحًا وصريحًا بين الجانبين، ولم يتوقف الألمان عن حوادث عنفهم حتى خارج أسوار القسطنطينية، والتي أدت إلى وقوع معركة بين الجانبين، هدد بعدها كونراد الثالث بحصار القسطنطينية[1].

كان لابد لمانويل عند ذلك أن يجدد علاقته مع هذا العدو الذي يعبر أراضيه، ومن ثم طلب منه هذا التعهد، ومما يدل على ذلك ما ذكره كيناموس نفسه بعد ذلك بقليل على لسان مانويل في رده على خطاب لكونراد الثالث بقوله: «إن الاتفاق السابق يحفظ لنا حقنا بأن أي أراضي سوف تسترجع من الجيران الأتراك فإن الرومان (البيزنطيين) سوف يملكونها دون صعوبة»[2]، فمن حديث مانويل هذا يستشف أنه كان هناك ثمة اتفاق قد تم بين الجانبين، أو على الأقل شيء مفهوم ضمني، أو موافقة من قبل كونراد

=

ص١٥٠.

(1)Kinnamos, Deeds, p. 66؛ Berry, Second Crusade, p. 486.

(2)Kinnamos, Deeds, p. 67.

الثالث بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، ومن ثم فإن مانويل -عندما توترت العلاقات بينهما- يؤكد له على بنود ذلك الاتفاق.

وربما يدل على حدوث مثل ذلك الاتفاق ما قدمه مانويل لكونراد الثالث من مساعدات، من سفن لعبور البسفور، ووعد بتقديم المرشدين والمؤن، بل وقيل إنه قام بتوزيع الأسلحة على الجمع الغفير من الحجاج الألمان الذين كانوا لا يمتلكون السلاح(١).

فهذا كله يدل على حدوث اتفاق ما بين الجانبين قدم فيه كونراد الثالث وعدًا بخدمة للإمبراطور البيزنطي، وفي المقابل قدم مانويل هذه المساعدات التي لم يكن ليقدمها لشخص أنهى تحالفه معه، وأساءت قواته إلى أراضيه، إلا بعد اعتذار الملك الألماني وتقديمه الضمانات الكافية لتصرفاته في المستقبل، ولم يكن ليقدمها تحت أي تأثير أو ضغط من شخص أو عامل خارجي(٢).

لكن لماذا لم يذكر كيناموس الطلب الخاص بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى من جانب مانويل واكتفى فقط بطلب مرور القوات الألمانية بسلام عبر الأراضي البيزنطية؟.

إن الأمر الذي ينبغي ملاحظته، أن كيناموس لم يقتصر على عدم ذكر ذلك التعهد في المفاوضات مع كونراد الثالث فقط، بل لم يذكره أيضًا مع لويس السابع بالرغم من أن ذلك كان شيئًا معروفًا وأكده أودو، وليس من المستبعد أن يكون كيناموس قد تجاهل هذا الأمر عمدًا؛ نظرًا لعدائه للصليبيين ورغبة منه في إظهارهم بمظهر المعتدين بالرغم من أن الإمبراطور البيزنطي لم يكلفهم بأي شيء، ومما يؤكد موقفه العدائي تجاه الصليبيين أنه جعل هدف هذه الحملة الصليبية الاستيلاء على الدولة البيزنطية، على الرغم من أن هدفها كان معروفًا وهو استرداد إمارة الرها الصليبية من أيدي

---

(1)Berry, Second Crusade, p. 486.Chalandon, Les Comnenes, p. 281؛

(٢) هناك من يرى أن أسباب تحسن العلاقات بين الطرفين والاتفاق بينهما كان بسبب تدخل زوجة مانويل برتاسالزباخ أو نتيجة لمعرفة مانويل باقتراب وصول الجيش الفرنسي بقيادة لويس السابع فخشي على عاصمته. صلاح محمد ضبيع، دور الألمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام ٥٤٠هـ/١١٤٥م إلى ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة أسيوط، ١٩٩٣، ص١٥٠-١٠٦.

المسلمين(١). وربما يكون سبب ذلك أيضًا هو أن هذا التعهد كان شيئًا معروفًا وأساسيًّا في العلاقة بين الإمبراطور البيزنطي وأي قائد صليبي يعبر أراضيه منذ أن وطأت أقدام الصليبيين الأراضي البيزنطية، وبذلك لم يهتم كيناموس بذكره.

على أي حال، انتهى الأمر بعبور كونراد الثالث بجيشه البسفور إلى آسيا الصغرى، وبذلك تفرغ مانويل للتعامل مع الملك الفرنسي وجيشه، ويبدو أن مانويل قد أيقن من خلال تجربته السابقة مع كونراد الثالث أن عليه التشدد مع لويس السابع؛ لتحقيق مطالب ومصالح دولته في آسيا الصغرى؛ ولذلك فإنه بمجرد وصول الجيش الفرنسي إلى مدينة راتسبون Ratisbon(٢) في **٢٩** يونيو، أرسل إليه سفارة تحمل رسالة منه احتوت على شرطين أساسيين لعبور الجيش الفرنسي الأراضي البيزنطية: أولهما: التعهد بعدم الاستيلاء على أي مدينة أو حصن في أراضيه، وثانيهما: التعهد بإعادة كافة الأراضي البيزنطية المتوقع استردادها في آسيا الصغرى والتي كانت فيما سبق تابعة للدولة البيزنطية، وأن يقسم النبلاء الفرنسيون على تنفيذ هذين الشرطين(٣).

أدت هذه المطالب إلى حدوث نقاش عنيف داخل معسكر الجيش الفرنسي، ففي حين بدا الشرط الأول معقولًا للجميع نُظر إليه على أنه حق وضمان للبيزنطيين، رفض الجميع الشرط الثاني، فالحزب المعادي للدولة البيزنطية في الجيش الفرنسي وعلى رأسه جودفري دي لاروش Godfrey de la Roche أسقف لانجريه Langres، كان غير راغب في أن يستعيد مانويل المنطقة التي ربما يستردها الفرنسيون من السلاجقة دون أن يعوضهم عن ذلك، أما المعتدلون فكانوا أكثر كرمًا أو على الأقل أكثر

---

(1)Kinnamos, Deeds, p. 58.

- وفي هذا الصدد يقول كيناموس: "... وكل الغربيين قد رحلوا بدافع أنهم سيعبرون من أوربا إلى آسيا لقتال الأتراك في طريقهم واسترداد الكنيسة المقدسة في فلسطين والذهاب للأماكن المقدسة ولكن في الحقيقة جاءوا للاستيلاء على أراضي الرومان (البيزنطيين) بالقوة وتدمير كل شيء في طريقهم".
Kinnamos, Deeds, p. 58.

(٢) راتسبون، مدينة تجارية هامة تقع غرب ألمانيا على نهر الدانوب.
Webster, Geographical Dictionary, p. 1008.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 27-29؛ Berry, Second Crusade, pp. 487-488؛Lilie, Crusader States, p. 154.

دبلوماسية، حيث ذكروا أنه لابد من أن يحدد مانويل أولًا المناطق التي يعتبرها ملكًا له ويطالب بإعادتها، وإلا فكيف يتعهدون برد شيء لا يعرفون حدوده[١].

وقد استمرت هذه المناقشات عدة أيام الأمر الذي أصاب السفراء بالقلق وحذروا الفرنسيين بأن الإمبراطور أمرهم بتدمير المؤن والإمدادات في طريقهم إذا ما عمدوا إلى المماطلة والتأخير؛ لأنه يعتبر ذلك دليلاً على العدوان وأنهم لم يأتوا ليمروا عبر أراضيه بسلام، إلا أنه في النهاية تم الاتفاق بين الجانبين، حيث أقسم بعض القادة نيابة عن لويس السابع بالمحافظة على أمن وسلامة الأراضي البيزنطية، وفي المقابل أكد السفراء بتوفير الأسواق والتبادل النقدي المناسب وكافة الامتيازات الأخرى، أما الشرط الثاني فقد وعدوا بمناقشته عندما يتقابل الملك مع الإمبراطور في القسطنطينية[٢].

ويبدو أن الملك الفرنسي قد أجل البتَّ في هذا الموضوع حتى يصل إلى القسطنطينية بجيشه وبذلك يضع مانويل في وضع حرج يضطره إلى عدم المطالبة بهذا الشرط مرة أخرى[٣]، فهل أدرك مانويل خطة الملك الفرنسي أم لم يدركها؟.

لاشك أن مانويل قد فطن إلى حيلة لويس السابع هذه، بل واستطاع أن يتعامل معه بمكر لا يقل عن دهائه، فلم يلمح لهذا الطلب لا من قريب أو من بعيد أثناء وجود الملك الفرنسي في القسطنطينية، بل على العكس من ذلك فقد عمل على طمأنته واسترضائه بكل وسيلة ممكنة، فبعث نخبة من كبار رجال دولته لاستقباله عند وصوله للقسطنطينية في ١٤ أكتوبر، واصطحبه هؤلاء إلى القصر الإمبراطوري وهناك استقبله مانويل بحفاوة بالغة، ولم يدخر جهدًا في إسعاده واصطحبه في جولة لزيارة آثار وكنائس القسطنطينية، وأقام له ولرجاله مأدبة فخمة وقدم له الكثير من الهدايا وانتهز فرصة احتفال الفرنسيين بعيد القديس دنى وأرسل لهم مجموعة مختارة من رجال الدين

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 29؛ Daly, W.M., "Christian Fraternity The Crusaders and The Security of Constantinople 1097-1204", M.S., 22 (1960), pp. 41-91.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, p. 29؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 290؛Daly, Christian Fraternity, p. 62.

(٣) عبد العزيز محمد، العلاقات البيزنطية- اللاتينية، ص٤١.

الذين نالت ترانيمهم إعجاب الفرنسيين[1]،بهذا الكرم وأكثر منه عامل مانويل لويس السابع ورجاله، الأمر الذي أدهش أودو وجعله لا يصدق هذه الحفاوة فقال: «مازلت أعتقد بأنهم (البيزنطيين) ما كانوا ليظهروا لنا هذا الكرم لو أن نواياهم كانت طيبة»[2]، واستمر يقدم لهم كل احتياجاتهم، خاصة وأنه عرف بما كان يناقش داخل معسكر الجيش الفرنسي من الدعوة للهجوم على القسطنطينية[3]، فبالرغم من أن لويس السابع قد رفض القيام بهذا العمل[4] إلا أن مانويل ظل لا يأمن جانب الفرنسيين وانتظر حتى عبروا إلى آسيا الصغرى وزال ضغطهم عن عاصمته، وأصبحوا في حاجة لمساعدته، عند ذلك تقدم بشروطه لهم[5]؛ حيث استغل الإمبراطور قيام بعض حوادث العنف نتيجة لقيام أحد الحجاج الفلمنكيين بالهجوم على مكاتب صرافي الأموال البيزنطيين، وقام بقطع المؤن عن الجيش الفرنسي، وبالرغم من أن لويس السابع أمر بإعدام ذلك

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 59-61; Kinnamos, Deeds, p. 69;Angold, Byz. Empire, p. 166; Brehier, Croisades, p. 106.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٧٩.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, p. 67.

رأفت عبد الحميد، خيانة القضية الصليبية، ص١١٠.

(٣) رفع راية هذه الدعوة جودفري دي لاروش بمجرد أن سمع بأمر توقيع مانويل الهدنة مع السلاجقة وقبل دخول القسطنطينية، واستمر هذا الأمر يناقش أثناء وجود الجيش الفرنسي أمام أسوار القسطنطينية.

لمزيد من التفاصيل:

Odo of Deuil, De Profectione, pp. 59,69-73; Daly, Christian Fraternity, pp. 64-67; Berry, Second Crusade, p. 490; Lilie, Crusader States, pp. 154-155.

(٤) يرى لايلي أن لويس رفض اقتراح الهجوم على القسطنطينية ربما لأنه كان غير متأكد من نجاح هذا الهجوم حتى ولو بمساعدة الأسطول النورماني، ولكن هل من المعقول أن لويس السابع ذلك الرجل الورع الذي قام بحملته للتكفير عن ذنبه بحرق كنيسة فيتري Vitry وامتدح أودو تقواه، والذي لم يشغله صعوبات رحلته عن القيام بواجباته الدينية من صوم وصلاة واحتفال بالأعياد الدينية وزيارة الأماكن الدينية أن يرتكب هذه الجريمة ضد إخوانه!!

Lilie, Crusader States, pp. 155-156; Grabois, A, "The Crusade of King Louis VII: A Reconsideration", in: Edbury, p. W. (ed), Crusade and Settlement, (London 1985), pp. 96-98.

(5)Lilie, Crusader States, p. 154; Daly, Christian Fraternity, p. 63.

الرجل وأعاد الكثير من الأموال والبضائع المسروقة، إلا أن مانويل رفض إمداد الجيش باحتياجاته إلا بعد الموافقة على مطالبه،والتي اعترض عليها الكثير من أعضاء الجيش الفرنسي، وأمام هذا الاعتراض استمر مانويل في إيقاف الإمدادات عن الفرنسيين، وحاول إعاقة عبور القوات الفرنسية التي وصلت إلى عاصمته بطريق شمال إيطاليا، واستمر في سياسته حتى وافق لويس السابع على مطالبه، وتم اللقاء بينهما في **٢٦** أكتوبر، وتعهد الملك الفرنسي بعدم الاستيلاء على أي مدينة أو حصن كانت ضمن الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى، وأقسم النبلاء الفرنسيون على هذا التعهد، وفي المقابل وعد مانويل بإرسال اثنين أو ثلاثة من نبلائه؛ لإرشاد الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى، وإقامة سوق مناسب للجيش في كل مكان، وفي حالة عدم توافر المؤن كان من حق الفرنسيين نهب القلاع والمدن والحصول على احتياجاتهم دون الاستيلاء عليها[١].

على هذا النحو استطاع مانويل أن يحصل على تعهد من قائدي الحملة الصليبية الثانية بإعادة مايستوليان عليه من أراضي في آسيا الصغرى، ويعوض-إلى حد ما-ما لحق به من خسارة نتيجة لقدومها، في مقابل أن يقدم لقواتها المساعدة والعون فيما بقى من رحلتهما، لكنه رغم ذلك اتُّهم بخيانة الصليبيين في آسيا الصغرى، وأنه كان السبب فيما واجههم من صعوبات وهزائم هناك، فقد حرض السلاجقة ضدهم، ثم سمح للقوات السلجوقية باختراق أراضيه للهجوم عليهم[٢].

في الواقع إن قدوم الحملة الصليبية الثانية وضع مانويل في موقف لا يحسد عليه، فبينما كانت الحملة الصليبية الأولى-إلى حد ما- استجابة لطلب بيزنطي، فإن هذه

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 77-79, 81-83؛ Chalandon, LesComnenes, pp. 302-304؛Daly, Christian Fraternity, pp. 67-68.

إسحاق عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنطين، (القاهرة ١٩٧٠،) ص٢٠٠-٢٠١.

(2)Choniates, Annales, p. 39؛ Roger of Hoveden, The History of England and The Others Countries of Europe from A.D. 732- to A.D. 1201, English Trans, Henry, T.R. I, (London 1853), p. 250؛Grousset, R., L'Epopee des Croisades, (Pairs 1939), p. 167.

الحملة لم يطلبها مانويل، ولم يكن في حاجة إلى قدومها، بل إنها أعاقته عن مواصلة سياسته ضد السلاجقة في آسيا الصغرى[1]، فضلاً عن أنها شكلت تهديدًا خطيرًا على علاقات الدولة البيزنطية في الغرب والشرق[2]، وما سببته هذه الحملة لمانويل من ضيق وإزعاج؛ لما صاحب مرورها من حوادث عنف واضطراب، وقلق مانويل من أن يهاجم هؤلاء الصليبيون، خاصة الفرنسيون الذين زادت شكوك مانويل فيهم؛ حيث تزامن وصولهم أمام أسوار القسطنطينية مع هجوم روجر الثاني على السواحل البيزنطية وخشي مانويل أن يكون هناك تحالف بين الطرفين[3].

ولكن هل وصل الحد بمانويل إلى التآمر مع السلاجقة ضد الصليبين وخيانتهم في آسيا الصغرى كما جرى اتهامه بذلك؟.

للإجابة على هذا السؤال لابد من تتبع موقف مانويل مع كل قائد من قائدي هذه الحملة على حده، وما قدمه لجيشه من مساعدات حتى يتم التعرف على علاقة مانويل بما حل لصليبي هذه الحملة من هزائم في آسيا الصغرى.

فبالنسبة لكونراد الثالث فإن كتاب الحوليات الألمان قد أشادوا بحسن معاملة مانويل له، ولم يشيروا إلى أي خيانة منه تجاه الصليبيين، ويأتي على رأس هؤلاء أوتو الفريزي-المعاصر والمشارك في هذه الحملة- الذي يرجع فشلها إلى آثامهم والعقاب الإلهي على أعمالهم، دون أن ينسب ذلك للإمبراطور البيزنطي أو يشير إليه بأي تقصير تجاه الصليبيين[4].

وإذا كان شالندو يذكر أنه عندما كانت علاقة مانويل بكونراد الثالث سيئة دفع الإمبراطور السلاجقة إلى مهاجمته[5]، فإن الأمر الذي ينبغي ملاحظته أن الملك الألماني هو الذي أعطى الفرصة للسلاجقة للهجوم على جيشه، وذلك عندما اختار الطريق

(1)Magdalino, Manuel I Komnenos, pp. 46-47.

(٢) لمزيد من التفاصيل:

Lilie, Crusader States, pp. 148-149.

(3)Lilie, Crusader States, p. 148. Curtis, Roger of Sicily, pp. 227-228؛

(4)Otto of Freising, Deeds of Frederick, pp. 79,81.

(5)Chalandon, Les Comnenes, p. 287.

الذي يمر بأراضيهم، فتذكر إحدى الحوليات أن مانويل عندما علم بقرار الملك الألماني باتخاذ الطريق المار بقونية تأثر بشدة وأرسل إليه وأخبره بالصعوبات التي ستواجهه لو اتخذ ذلك الطريق من وعورة التضاريس، والهجوم السلجوقي المستمر، وقلة المؤن، ونصحه بأن يسلك طريق الساحل الغربي ثم الجنوبي لآسيا الصغرى، وبذلك يظل داخل المنطقة البيزنطية حتى أنطاكية، إلا أن الملك الألماني لم يلتفت لهذه النصائح وسار على الطريق الذي اختاره[١].

وهل بعد أن سار كونراد الثالث عبر أراضي السلاجقة، مهددًا إياهم كانوا في حاجة لمانويل ليحرضهم على قتاله؟.

إضافة إلى ما سبق فإن سلوك مانويل مع كونراد الثالث في آسيا الصغرى لا يدل على أي رغبة منه في القضاء على الجيش الألماني بواسطة السلاجقة، فبالرغم من تجاهل الملك الألماني لنصيحة مانويل-الخاصة باختيار الطريق- فإن هذه الحولية تذكر أن الإمبراطور رغم ذلك ساعده بكل الطرق والوسائل قبل وبعد رحلته في آسيا الصغرى، ولم تذكر أي خيانة له، مع العلم بأن تقرير هذه الحولية يعتمد على روايات الألمان المحررين من الأسر البيزنطي، والذين شعروا بالمرارة تجاه الدولة البيزنطية، ولكن على الرغم من ذلك فإن أي منهم لم يلصق سبب نكبتهم في آسيا الصغرى بمانويل[٢].

وعندما كان كونراد الثالث في نيقية نصحه مانويل بإعادة المدنيين إلى الوطن حتى لا يشكلوا عبئًا على الجيش خاصة عند السير في أراضي جدباء، حيث قال له: «ولكن إذا كنتم مصرين على المضي قدمًا في مهمتكم هذه فاقبلوا نصيحتي واختاروا من جيشكم بعض الألوف ليسرعوا إلى محاربة أولئك الذين ينهبون كل يوم الشعب المسيحي، واتركوا الآخرين يعودون إلى ذويهم، فخيرًا لكم القضاء على العدو بنفر قليل متوكلين على الرب من أن تعرضوا أنفسكم للمخاطر معتمدين على أعدادكم»[٣].

---

(1)Annales Herbipolenses, p. 4؛ (Helmold, Chronicle, p. 174).

(2)Annales Herbipolenses, pp. 4-5؛ Constble, G., "The Second Crusade as seen by Contemporaries", T.9 (1953), p. 273.

(3)Annales Herbipolenses, pp. 5.

هكذا لم يكن مانويل مسئولًا عن الهزيمة التي أوقعها السلاجقة بجيش كونراد الثالث-الذي عبر أراضيهم- قرب ضوروليوم، ولم يكن بمقدوره السيطرة على السلاجقة الذين تغمرهم فرحة الانتصار من الهجوم على الألمان أثناء انسحابهم إلى نيقية، ومما يدل على عدم مسئولية مانويل خطاب أرسله كونراد إلى مستشاره ويبالد أف ستافلوت Wilbald of Stavelot بعد هزيمة ضوروليوم من القسطنطينية في سنة (**٥٤٣**هـ/**١١٤٨**م)، يروي له فيه ما وقع لجيشه في آسيا الصغرى، لكنه لم يذكر فيه أي شيء يدل على تقصير مانويل أو تآمره مع السلاجقة ضد الألمان في آسيا الصغرى، وإنما يشيد بحسن معاملته له، ورد فعله عندما علم بمرضه[١].

ولو شعر الملك الألماني بهذه الخيانة لما ذهب إلى القسطنطينية حيث استقبله مانويل بحفاوة، وبذل جهدًا كبيرًا في علاجه[٢]، وإذا فسر ذلك في ضوء الحالة السيئة التي كان عليها كونراد الثالث بعد هزيمته التي جعلته في أمسِّ الحاجة إلى مساعدة مانويل له، فبماذا يفسر تجديد التحالف الذي تم بعد ذلك بقليل بين الطرفين?، فلو شعر الألمان بخيانة البيزنطيين لهم، وأنهم كانوا السبب في هزيمتهم في آسيا الصغرى، لما كانوا قد تغاضوا عن هذه الإهانة دون عقاب أو نقاش، ولما سمحوا لملكهم بأن يعقد مع مانويل معاهدة سالونيك في نفس العام[٣].

ومما يؤكد براءة مانويل مما وقع للجيش الألماني في آسيا الصغرى أن كونراد الثالث عندما التقى مع لويس السابع بعد ذلك عند نيقية وأخذ يقص له سوء حظه، وما وقع لجيشه من هزيمة على يد السلاجقة، لم يرجع ذلك إلى الإمبراطور البيزنطي، وإنما أرجعه إلى سلوك قواته وعصيانهم، وما اتسمت به مواقفه من غرور، وما ارتكبه من أخطاء[٤].

---

(1)Conrd III, Letter to Wilbald, in: R.H.G.F., 15, (Paris 1878), pp. 533-534.

انظر الملحق الأول.

(2)Annales Palidenses, p. 83؛ Annales Magdeburgenses, p. 188؛ Helmold,Chronicle, p.174؛ Angold, Byz. Empire, p. 166.

(3)Lilie, Crusader States, p. 160.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 99-101.

مما سبق يمكن القول: أن تصرفات مانويل تجاه كونراد الثالث لا تدل على أي عداء أو رغبة منه في القضاء على الجيش الألماني في آسيا الصغرى، فبالرغم مما ارتكبه الملك الألماني وقواته ضد الأراضي البيزنطية، إلا أنه بعد أن تم الاتفاق بين الجانبين قد أخلص مانويل في تقديم المساعدة والنصيحة له، فالمؤرخ أوتو الفريزي، وكذلك كونراد الثالث، والذي كان كل منهما في موقف المعرفة لم يشيرا إلى أي خيانة منه للألمان في آسيا الصغرى، وهذا ما أكده الكتاب الألمان الذين عاصروا أو كتبوا عن هذه الحملة[١].

أما فيما يتعلق بتآمر مانويل ضد لويس السابع وجيشه في آسيا الصغرى، ففي خطاب أرسله الملك الفرنسي من أنطاكية للأب شوجير Suger-مقدم دير القديس دني- يروي فيه استقبال مانويل له، وما وقع لجيشه من هجوم سلجوقي في آسيا الصغرى، يرجعه إما لمكر وخيانة الإمبراطور أو بسبب خطاياهم، فالإمبراطور من وجهة نظره غدر به؛ لأنه سمح للسلاجقة بالتوغل في أراضيه والهجوم على الفرنسيين، دون أن يذكر أن ذلك كان بإيعاز من مانويل أو أن يكون هناك تحالف بين السلاجقة والسكان البيزنطيين في آسيا الصغرى[٢].

ولكن هذا الاتهام يدل على أن لويس السابع كان على قدر كبير من عدم المعرفة بطبيعة الأمور؛ وذلك لأن الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى كانت دائمًا عرضة للهجوم السلجوقي، وعانى الأباطرة البيزنطيون أنفسهم من هذا الهجوم على جيوشهم، مثلما حدث لجيش مانويل أثناء انسحابه من حملته على قونية، وذكر كيناموس نفسه هذا الهجوم[٣].

ومما يدل على الهجوم السلجوقي المتواصل على مدن آسيا الصغرى، ما ذكره أودو نفسه من أن الكثير من مدن هذا الإقليم قد أصابتها هجمات السلاجقة بحالة من الفقر والدمار، الأمر الذي دفع العديد من سكانها إلى الرحيل عنها، ومن بقى بها من

(1)Constable, Second Crusade, p. 273.

(2)Louis VII, Letter to Suger, in R.H.G.F., 15 (Pairs 1878), pp. 495-496

انظر الملحق الثاني.

(3)Kinnamos, Deeds, pp. 52-56؛(Chalandon, Les Comnenes, pp. 311-313).

البيزنطيين أعادوا بنائها وقاموا بتحصينها بالأسوار والقلاع لحماية أنفسهم من السلاجقة الذين كانوا يتوغلون بحرية داخل الأراضي البيزنطية(١).

وبذلك يمكن القول: أن السلاجقة قاموا بالهجوم على الجيش الفرنسي دون إيعاز من مانويل أو تحالف مع السكان البيزنطيين، ولو كان قد حدث مثل هذا التحالف لذكره لويس السابع، ذلك أنه طول روايته لسير الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى وحتى وصوله إلى أضاليا لم يشر إلى البيزنطين وإنما إلى الهجوم السلجوقي فقط، وبهذا كان مانويل بعيدًا كل البعد عن الهجمات السلجوقية على الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى(٢).

على عكس ما ذكره أودو الذي اتهم السكان البيزنطيين في آسيا الصغرى بالانضمام إلى جانب السلاجقة في هجومهم على الجيش الفرنسي أثناء عبوره آسيا الصغرى، بل إنه يتهم بعض المدن البيزنطية في آسيا الصغرى بأنها قدمت مأوى للسلاجقة في هجومهم على الفرنسيين وذلك بإيعاز من مانويل والذي ربما لم يعلم بهذه الأحداث، وبذلك لم يكن مسئولًا عنها(٣).

ومما يدل على براءة مانويل من الهجوم السلجوقي على الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى ما قام به هذا الإمبراطور عندما وصل الفرنسيون إلى أفيسوس حيث أرسل إلى لويس السابع وأخبره بأن السلاجقة أعدوا جيشًا كبيرًاللقضاء على الفرنسيين، وأشار عليه أن يتجنب الاشتباك معهم، وطلب منهم اللجوء إلى الحصون البيزنطية الموجودة على امتداد الساحل الغربي لآسيا الصغرى، إلا أن الملك الفرنسي رفض قبول هذه النصيحة ورحل من أفيسوس لمواصلة رحلته عبر آسيا الصغرى دون أن يكلف نفسه حتى الرد عليه(٤).

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 107؛Chalandon, Les Comnenes, p. 306؛ Vryonis, Decline, pp.147-149-150 ؛ Idem, "Nomadization and Islamization in Asia Minor", D.O.P., 29(1975), p. 45؛ Foss, Defeneses of Asia Minor, p. 151.

(٢) انظر الملحق الثاني.

(3)Chalandon, Les Comnenes, p. 313.

- سيناقش دور كل مدينة وموقفها على حدة من السلاجقة في الفصل الرابع.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 107-108؛ Berry, Second Crusade, p. 497؛ =

بيد أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته أنه لم يكن في استطاعة مانويل في ذلك الوقت تقديم قوات عسكرية تصاحب الجيش الفرنسي، وتدافع عنه أثناء سيره في آسيا الصغرى؛ وذلك لتعرض الدولة البيزنطية في ذلك الوقت لتهديد روجر الثاني، فكيف يمكن لمانويل وهو في هذا الوضع الحرج أن يقدم للويس السابع قوات عسكرية هو في أشد الحاجة إليها للدفاع عن أراضيه؛ لذا لم تتلق هذه الحملة أي مساعدة عسكرية من الدولة البيزنطية[1].

أما ما تعرض له الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى من نقص الغذاء، فإن مانويل لم يكن مسئولًا عنه، إذ لم يحمل لويس السابع الإمبراطور البيزنطي أية مسئولية عن ذلك في خطابه إلى شوجير[2]، فهذه الفترة لم تكن موسم حصاد في آسيا الصغرى، وتوقع مانويل ما كان يمكن أن يتعرض له الجيش الفرنسي من صعوبات نتيجة لذلك في الحصول على الطعام، ومن هنا أعطى للفرنسيين حق نهب المدن والقلاع التي تمتنع عن إمدادهم بالمؤن، وذكر أودو ذلك، وإذا كان لايلي يذكر أن مانويل قد اتخذ هذا الحق فيما بعد كسبب لقطع العلاقات مع الفرنسيين[3]، فإنه يمكن القول بأن مانويل لم يتخذ هذه الخطوة إلا نتيجة لتمادي القوات الفرنسية في السلب والنهب لأقل الأسباب.

أما فيما يتعلق باتهام مانويل بأنه أرسل إلى السلاجقة وحرضهم على قتال الصليبيين، فليس من المعقول أن السلاجقة كانوا في حاجة لإثارة مانويل لهم حتى يقاتلوا الصليبيين الذين جاءوا لقتال إخوانهم المسلمين، فعلى الرغم من أنه لا يوجد تحالف بنيهم وبين مسلمي الشام، إلا أنهم كانوا على علم بما حل بهم على أيدي صليبيي الحملة الأولى وتحالف أمرائها مع الكسيوس ضدهم، وما ترتب على ذلك من الاستيلاء على عاصمتهم وطردهم من مدن ومناطق عديدة في آسيا الصغرى، وكانوا يعلمون أن هذه الحملة جاءت لتقديم العون والمساعدة لصليبيي الشرق والإنتقام لسقوط إمارة

=

Chalandon, Les Comnenes, p. 307؛ Mills, Crusades, I, p. 380.

(1)Hamilton, The Crusades, (London 1998), p. 36.

(٢) انظر الملحق الثاني.

(3)Lilie, Crusader States, p. 161.

الرها التي تقع خلف ممتلكاتهم، فإذا تركوا هذه الجيوش تصل إلى الشرق بكامل قواتها لاستطاعت الانتصار على مسلمي الشام وربما قامت بضربهم من الخلف، وتكون الكارثة أكبر إذا اتحدت هذه الجيوش مع البيزنطيين، وبذلك يقع السلاجقة بين شقي الرحى: البيزنطيين وصليبي الشرق(١)، ومن هنا كان لابد لهم من التصدي لهذه الحملة والعمل على إضعافها بكل وسيلة ممكنة.

ويبدو أن ما دفع الصليبيون إلى اتهام مانويل بأنه كان السبب في نكبتهم في آسيا الصغرى، هو أنهم قد صدموا بخبر صلحه مع السلاجقة، إذ كانوا يتوقعون أن يجدوه في حرب معهم(٢)، فلقد فهم هؤلاء الصلح مع السلاجقة على نحو مختلف تمامًا عما فهمه مانويل، فإذا كان الإمبراطور قد اعتبره حماية وتأمينًا لأراضيه من أي اعتداء سلجوقي أثناء انشغاله بعبور الصليبيين(٣)، اعتبره الصليبيون خيانة لهم وتآمرًا مع السلاجقة للإجهاز عليهم أثناء عبورهم آسيا الصغرى.

ولكن الأمر الذي ينبغي ملاحظته هو أن ذلك الصلح لم يكن موجهًا ضد الصليبيين بأي شكل من الأشكال، أو كان سببًا يجعل مانويل يقدم أي تنازلات للسلاجقة، أو يتآمر معهم على حساب الصليبيين وقضيتهم، وإنما كان هذا الصلح وسيلة اضطرته إليها قدوم الحملة الصليبية حتى يتفرغ لمراقبة الصليبيين داخل أراضيه، وتحسبًا لما قد يطرأ على الساحة الخارجية والمحلية من ظروف تؤثر على الدولة البيزنطية وسيادتها نتيجة لقدوم هذه الحملة.

على أي حال فإنه لم يكن من مصلحة الدولة البيزنطية أو من مصلحة حاكمها أن تفشل حملة صليبية من جراء فعل بيزنطي، إذ ستكون النتيجة الطبيعية لهذا الفشل هي قيام حملة صليبية جديدة للانتقام من الدولة البيزنطية(٤)، فضلاً عن ذلك فإن مانويل لم يكن بالسذاجة التي تجعله يعادي الصليبيين في الوقت الذي كان الغرب الأوربي ينظر

---

(١) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م (الإسكندرية ١٩٩٨)، ص٨١-٨٢.
(2)Magdalino, Manuel I Komnenos, pp. 51-52.
(٣) إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص١٩١؛ سعيد عمران، السياسة الشرقية، ص١٢٣، ١٤٠.
(٤) عبد العزيز محمد، العلاقات البيزنطية- اللاتينية، ص٤٩.

بعين الشك للدولة البيزنطية منذ دعاوى بوهيموند ضدها[١]، ليؤكد بذلك تهمة الخيانة بها وما سيترتب على ذلك من نتائج سيئة عليها.

مما سبق يمكن القول بأن اتهام مانويل بأنه السبب في هزيمة الحملة الصليبية الثانية بجيشيها في آسيا الصغرى ليس له أساس من الصحة؛ وذلك لأن هذه الهزيمة تعود إلى ما قام به السلاجقة من دور في القضاء عليها، وما تكبدته قواتها من خسائر فادحة على أيديهم في هذا الإقليم، بل إن معظم مصادر هذه الحملة تذكر أن عداء السلاجقة وهجومهم على الصليبيين هو أهم أسباب فشل الحملة الصليبية الثانية[٢].

موقف إسحاق الثاني أنجيلوس من جيش فردريك بربروسا:

إذا كانت آسيا الصغرى واستعادة الأراضي البيزنطية قد لعبت دورًا هامًا في سياسة الأباطرة البيزنطيين تجاه القادة الصليبيين منذ الحملة الصليبية الأولى، فإن الأوضاع قد اختلفت تمامًا عندما جاء جيش فردريك بربروسا[٣] ليعبر الأراضي البيزنطية، إذشهدت

---

(١) بعد إطلاق سراح بوهيموند وعودته إلى أنطاكية وحتى يهرب من الضغط البيزنطي على إمارته رحل إلى الغرب الأوربي لشن حملة ضد الدولة البيزنطية واتهمها بخيانة الصليبيين ونجح في حشد حملة ضخمة ضدها إلا أنها انتهت بالفشل.

لمزيد من التفاصيل:

عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية، ص**١٧٣-١٨٣**؛ نبيلة مقامي، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان، ص**٨٥-٩٣**.

(2)Constable, Second Crusade, p.273.

(**٣**) كان الإمبراطور فردريك بربروسا أحد قادة الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت للشرق كرد فعل لسقوط بيت المقدس في أيدي السلمين **٥٨٣**هـ/١١٨٧م، مما دفع ملوك وأمراء الغرب الأوربي للقيام بهذه الحملة وشارك فيها إلى جانبه الملك الفرنسي فيليب أوغسطس (١١٨٠-١٢٢٣م) والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد (**١١٨٩-١١٩٩**م)، واتبعا الطريق البحري، أما فردريك فقد اتخذ الطريق البري عبر الدولة البيزنطية وآسيا الصغرى.

Vinsovfs, Itinerary of Richard I, pp. 266-267؛ Otto of St. Blasien, The Third Crusade 1189-1190, in: Thatcher, O.J., & Mcneal, E.H. (eds), A Source Book for Mediaeval History, (America 1905), p. 531؛ Champdor, A., Saladin Le Plus pur Heros de L'Islam, (Paris 1965), pp. 201-205؛ Lamb, H., The Crusades, Iron Men & Saints, (New York 1942), pp. 266-267.

ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧ الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق/ سعيد عبد

هذه الفترة انهيارًا كبيرًا لمكانة الدولة البيزنطية بصفة عامة، وتدهور نفوذها في آسيا الصغرى بصفة خاصة بعد معركة ميريوكيفالون التي قضت على آمال البيزنطيين في استعادة آسيا الصغرى من أيدي السلاجقة، ذلك الأمل الذي ظل الأباطرة البيزنطيون يكافحون من أجل تحقيقه مدة قرن من الزمان، فكانت هذه المعركة إيذانًا بانتهاء السيادة البيزنطية على آسيا الصغرى، التي كان ينظر إليها حتى ذلك الوقت على أنها أراضي بيزنطية تحت الاحتلال السلجوقي، فقد أصبحت وطنًا للسلاجقة(١).

وكان أن استغل السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني ما وقع للجيش البيزنطي من هزيمة، وأرسل قواته للهجوم على منطقة وادي الماياندر غرب آسيا الصغرى، ونهب السلاجقة مدن ترالس Tralles(٢) وأنطاكية الفريجية Phrygian Antioch(٣) ولوما Louma وبنتاكير Pentachier(٤)، ونتيجة لضعف المقاومة البيزنطية وصل السلاجقة بهجماتهم إلى مدن ساحل بحر إيجة وتمكنوا من تدمير العديد منها(٥)، ومع استمرار الضغط السلجوقي على آسيا الصغرى قام مانويل بحملة لطرد السلاجقة من

=

الفتاح عاشور، (القاهرة ١٩٧٢)، ص٩٨-٩٩؛ سعيد عبد الفتاح عاشور الناصر صلاح الدين بن أيوب، (القاهرة ١٩٦٥)، ص٢٢١-٢٢٣؛ عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (بيروت ١٩٦٦)، ص١٧٣-١٧٥.

(1)Savvides, A.G.C., Byzantium in the Near East: Its Relations With The Seljuks Sultanate of Rum in Asia Minor, The Armenians of Cilicia and The Mongols A.D.C. 1192-1237, (Thessalonica 1981), p. 40؛ Kafesoglu, Seljuks. P. 71.

(٢) ترالس، مدينة في ليديا على الجانب الشمالي لوادي الماياندر، وكانت تعد من أقوى الحصون في وادي نهر الماياندر.

Ramsay, Historical Geography, pp. 112-113؛ O.D.B., 3, p. 2103.

(٣) أنطاكية الفريجية، مدينة تقع جنوب الماياندر.

Choniates, Annales, p. 385, Note 526.

(٤) لوما وبنتاكير، تقعان على المجرى الأسفل لنهر الماياندر.

Ramsay, Historical Geography, p. 134.

(5)Choniates, Annales, pp. 108-109؛Vryonis, Decline, p. 126؛ Idem,Nomadization, p. 46؛Treadgold, Byz. State, p. 649.

عدة مناطق في غرب آسيا الصغرى انتهت بالفشل التام، ثم خرج مرة أخرى عندما حاصر السلاجقة مدينة كلوديوبوليس Claudiopolis[١]، وتمكن من رفع الحصار عنها وأنقذها من المجاعة التي تعرضت لها[٢].

بيد أن هذه المحاولات البيزنطية لم تستطع إخماد حدة الهجوم السلجوقي، ذلك أنه بمجرد أن علم قليج أرسلان الثاني بوفاة مانويل سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) خرج على رأس جيش كبير وقام بنهب مدن سوزوبوليس Sozopolis[٣]، وكوتاهيه Cotyeaum[٤]، وحاصر أضاليا، وأجبر العديد من المدن على الخضوع له[٥].

ومهما يكن من أمر، فقد شهدت الفترة التي أعقبت وفاة مانويل انهيار السلطة المركزية في الولايات البيزنطية المتبقية في آسيا الصغرى، وازدياد نشاط القبائل التركمانية خاصة في عهد الإمبراطور أندرنيقوس الأول كومنين Andronikos I komnenos(١١٨٣-١١٨٥م)[٦]، الذي أضحت آسيا الصغرى في عهده مسرحًا للفوضى والاضطراب، واندلعت ضده العديد من الثورات وحركات التمرد، وطلب هؤلاء المتمردون المساعدة السلجوقية، فاستغل السلاجقة هذه الفرصة واستولوا على العديد من المدن في آسيا الصغرى، ففي العام التالي لتولية أندرنيقوس العرش

---

(١) كلوديوبوليس، تعد هذه المدينة ضمن إقليم فريجيا.

محمد الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية، ص٢١١.

(2)Vryonis, Decline, p. 126. Choniates, Annales, pp. 109-112؛

(٣) سوزوبوليس، مدينة في إقليم بامفيليا جنوب غرب آسيا الصغرى، استولى السلاجقة عليها بعد مانزيكرت واستردها يوحنا كومنين.

Ramsay, Historical Geography, pp. 400-401؛ O.D.B.,3, p. 1933.

(٤) كوتاهيه، مدينة كبيرة في فريجيا احتلت مكانة مميزة وكانت لها تحصينات قوية، إذ كان بها ٧٠ برجًا عدا الأسوار المزدوجة.

Ramsay, Historical Geography, pp. 94, 144, 201؛ O.D.B.,3, p. 1154.

(5)Choniates, Annales, p. 146؛ Vryonis, Decline, p. 127؛ Treadgold, Byz. State, p. 651؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 71.

(٦) اندرنيقوس الأول كومنين، هو ابن اسحاق شقيق يوحنا كومنين، نشأ وترعرع مع مانويل، وحكم بونتس Pontos، ثم اعتلى بعد ذلك العرش الإمبراطوري وساءت أوضاع الدولة البيزنطية في عهده سواء في الداخل أو في الخارج.

O.D.B., I, 94.

الإمبراطوري وصلت الهجمات السلجوقية إلى بحر إيجة واستولى السلاجقة على حوالي ٧٠ حصنًا[١].

وقد زادت الأوضاع سوءًا في عهد إسحاق الثاني أنجيلوس، واستغل قليج أرسلان الثاني هذه الفرصة وأرسل قواته للهجوم على آسيا الصغرى، وبدأت هذه القوات أعمالها بالهجوم على ثغر تراقسيان، ووصلت إلى منطقة سهل كيلبيانوس Celbianos[٢]التي وجدتها خالية من القوات البيزنطية للدفاع عنها، فقامت بأسر الكثير من سكانها، واضطر هذا الإمبراطور إلى دفع ضريبة سنوية للسلطان السلجوقي[٣].

على هذا النحو، كان النفوذ البيزنطي في آسيا الصغرى عندما وصل جيش فردريك إلى الأراضي البيزنطية، فهل فكر إسحاق في أن يطلب من فردريك قسم الولاء له والتعهد بالمساعدة في استعادة السيادة البيزنطية على آسيا الصغرى، مثلما فعل أسلافه الأباطرة البيزنطيون تجاه القادة الصليبيين الذين عبروا أراضيهم؟، أم أن العاهل البيزنطي اعتبر أن آسيا الصغرى أصبحت أراضي سلجوقية ولم يعد هناك أي أمل في استردادها؟.

إذا كان البعض يرى أن أسرة أنجيلوس لم يتوفر لها ما توفر لأسرة كومنين من الفهم والإدراك السياسي للاستفادة من الصليبين في تحقيق أهدافهم في آسيا الصغرى[٤]، فإن الواقع كان يختلف تمامًا عن ذلك، حيث أن آسيا الصغرى لم تعد تمثل-في هذه الفترة- ما كانت تمثله من أهمية لدى أباطرة أسرة كومنين بعد أن خضع معظمها لحكم السلاجقة، وما بقى منها وقع تحت وطأة الضغط السلجوقي، ويعج بحركات التمرد والعصيان ضد الأباطرة البيزنطيين، هذا بالإضافة إلى أن إهمال

---

(1)Vryonis, Decline, pp. 126-127؛ Savvides, Byzantium in The Near East, p.54؛ Anglod, Byz. Empire, p. 275؛ Kafesoglu, Seljuks, p. 71؛ Cahen, pre-Ottoman Turkey, p. 106.

(٢) سهل كيلبيانوس، هو الجزء الأعلى من وادي نهر كايستر الذي يسمى المياندر الأعلى.

Ramsy, Historical Geography, pp. 114-115.

محمد الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية، ص١١٩.

(3)Choniates, Annales, p. 203؛ Vryonis, Decline, p. 127؛ Kafesoglu, Seljuks,p. 71؛Treadgold, Byz. State, p. 656.

(٤) السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، ج١، ص٧٣.

إسحاق أنجيلوس لأوضاع آسيا الصغرى زاد الموقف سوءًا، إذ قام حكام المدن البيزنطية الشبه مستقلين في آسيا الصغرى بسلب القرى السلجوقية المجاورة لهم، فقام السلاجقة عند ذلك بالإنتقام منهم بنفس الطريقة، حيث استولوا على العديد من المواقع البيزنطية وقاموا بتدميرها، الأمر الذي أصاب أجزاء واسعة من آسيا الصغرى بالخراب والدمار، وبهذا لم تعد هناك فائدة ترجى من استعادة هذه المناطق المخربة أو المناطق التي تشتعل بالثورات ضد الدولة البيزنطية، وتحول فكر إسحاق عن آسيا الصغرى، وأصبحت قضية استرداد أراضيها لا تشغل له بال.

على أن الأمر الملفت للنظر أنه في حالة افتراض أن إسحاق كان قد فكر في الحصول على مساعدة فردريك في تحقيق بعض المكاسب أو الحصول على مساعدته في آسيا الصغرى، فإنه لم يكن في مقدوره أن يطلب من الإمبراطور فردريك أن يؤدي قسم الولاء والإخلاص له، وهو الذي يعتبر نفسه أسمى مكانة من الإمبراطور البيزنطي، بل إنه هو الإمبراطور الوحيد للعالم المسيحي، ثم كيف يمكن أن يطلب من فردريك أن يتعهد بخدمة المصالح البيزنطية في آسيا الصغرى، وهو يكن لهذه الدولة كراهية شديدة منذ أن وطأت أقدامه أراضيها أثناء الحملة الصليبية الثانية، ورحل ناقمًا عليها لموقف إمبراطورها السلبي -من وجهة نظره- من هذه الحملة، ثم ما قام به من تحريض قليج أرسلان الثاني على قتال مانويل وتقديم المساعدة له في معركة ميريوكيفالون التي انتهت بهزيمة الإمبراطور البيزنطي وتحطيم قواته[1].

---

(١) هسي، العالم البيزنطي، ص١٦٨؛ عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية، ص١٢٩-١٣٠.

- تعود العلاقات الألمانية السلجوقية إلى وقت مبكر سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م عندما أرسل فردريك إلى قليج أرسلان الثاني وحثه على مهاجمة الأراضي البيزنطية فرد السلطان السلجوقي بسفارة محملة بالهدايا وطلب من فردريك يد ابنته لابنه، ثم قدم فردريك المساعدات العسكرية له في معركة ميريوكيفالون، واستمرت علاقات الصداقة بين الطرفين.

Cahen C., "Selgukides, Turcomans et Allemands Au Temps de la Troisieme Croisade", W.Z.K.M., 56 (1960), p. 26؛ Idem, "The Turks in Iran and Anatolia Before the Mongol Invasion", in: Setton, K.M.& Baldwin, M.W. (eds) A History of the Crusades, 2, (Philadephia 1962), p.680؛ Brand, Ch., Byzantium Confronts The West 1180-1204, (Cambridge 1968), p. 18.

إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص٢٦٨.

يضاف إلى ذلك ما قام به فردريك من عقد صلح البندقية سنة(٥٧٣هـ/١١٧٧م) مع البابوية الحليف الدبلوماسي للدولة البيزنطية(١)، وتحالفه أيضًا مع النورمان العدو التقليدي للدولة البيزنطية(٢)، الأمر الذي أدى إلى استياء إسحاق من فردريك وجيشه، وزاد من حدة ذلك علاقات الصداقة بين إسحاق وصلاح الدين الأيوبي الذي تبادل معه مؤخرًا الرسائل ووعده بإعاقة تقدم جيش فردريك في أراضيه(٣).

لهذا كله كان العداء هو الموقف السائد تجاه جيش فردريك أثناء مروره بالأراضي البيزنطية، فإذا كان الأباطرة البيزنطيون فيما سبق استقبلوا قادة الجيوش الصليبية بالترحاب وقدموا لهم المساعدات، وتغاضوا عن تكبر وعجرفة البعض وإساءة ووقاحة البعض الآخر، فقد كان ذلك من أجل خدمة مصالحهم في آسيا الصغرى، أما الآن فلم تعد لهم أية مصلحة من وراء مساندة الجيش الصليبي، بل وكان لدى إسحاق من الأسباب والمبررات الكافية ما يجعله يعوق عبور الصليبيين في أراضيه، ولذا بذل هذا الإمبراطور كل ما في وسعه من جهد وحاول بكل وسيلة إعاقة عبور جيش فردريك(٤).

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الصلح:

Munz, P., Frederick Barbarossa: A Study in Medieval Politices, (London 1969), pp. 329-331.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج١، (القاهرة ١٩٩١)، ص٣٨٣-٣٨٤؛ إسحاق عبيد، روما بيزنطة، ص٢٦٩.

(٢) حسنين ربيع، الدولة البيزنطية، ص٢٤٤-٢٤٥.

حامد زيان غانم، الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، (القاهرة ١٩٧٧)، ص٢٨-٣٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص١٩٣؛ابن واصل، مفرح الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢ عصر صلاح الدين ٥٦٩-٥٨٩هـ= ١١٧٤-١١٩٣م، تحقيق/ جمال الدين الشيال، (القاهرة ١٩٥٧)، ص٣١٨.

Otto of St. Blasien, Third Crusade, p. 532؛ Angold, Byz. Empire, p. 286.

لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين الجانبين وأثرها في إعاقة الجيش الألماني:

Brand, Ch., "The Byzantines and Saladin 1185-1192: Opponents of the Third Crusade", Sp., 37 (1962), pp. 167-181.

عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية، ص١٤٢، ١٤٤-١٤٧.

(٤) ذيل تاريخ وليم الصوري، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ سهيل زكار، (دمشق

ومنذ أن عبر الجيش الألماني نهر الدانوب ودخل المنطقة البيزنطية في (شعبان **٥٨٥**هـ/ أغسطس **١١٨٩**م) ظهر عداء البيزنطيين له، ووضع إسحاق العراقيل أمامه لإعاقة سيره، واستمر هجوم القوات البيزنطية عليه حتى وصل مدينة فيليوبوليس **٢٤** أغسطس[١]، عند ذلك قامت القوات الألمانية-خاصة بعد أن علم فردريك بسجن إسحاق لسفارته في القسطنطينية[٢]- بتدمير المنطقة المحيطة بفيليوبوليس واقتحام المدينة في **٢٦** أغسطس[٣]، وزادت الأوضاع سوءًا بين الطرفين وقام الجيش الألماني بالإستيلاء على ثلاثة مدن وعشر قرى بيزنطية، وأرسل فردريك إلى ابنه هنري في **١٦** نوفمبر خطابًا[٤] طالبًا منه إعداد أسطول؛ لمحاصرة القسطنطينية والإنتقام من إسحاق، وأن يطلب من البابا الدعوة لحملة صليبية ضد الدولة البيزنطية[٥].

=

١٩٩٣)، ج٨، ص**٣٥٤**.

(**١**) لمزيد من التفاصيل:

Ansbert, Historia, pp. 37-38؛ Historia Peregrinorum pp. 132-140؛ Magnus of Reichersberg, Chronica Colleta, ed, Pertz, G.h., MG.H.ss, 17, (Hanover 1860) p.513؛ Frederick Barbarossa and Henry VI", in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, 2, (Philadelphia 1962) pp. 98-101.

(**٢**) كجزء من استعدادات فردريك للقيام بحملته أرسل إلى حكام وملوك الدول الذي سيعبر أراضيهم ومنهم إسحاق الذي وافق على مطالبة، وأرسل سفارة عقدت مع فردريك اتفاق في مدينة نورمبرج، وعلى أثر ذلك أرسل فردريك سفارة من عنده للإشراف على الترتيبات اللازمة لإستقبال الجيش الألماني فاستولى إسحاق على ممتلكاتها وزج بها في السجن.

Ansbert, Historia, pp. 15-16؛ Choniates, Annales, p. 221؛

Pacaut, M., Frederick Barbarossa, EnglishTrans. Pomerans, A.J., (London 1970), p. 202.

(3)Ansbert, Historia, pp. 38-40؛ Historia Peregrinorum, pp. 140-141؛ Choniates, Annales, p. 222؛ Pacaut, Frederick Barbarossa, pp.203-204

ذيل تاريخ وليم الصوري، ص**٣٥٤**.

(4)Ansbert, Historia, pp. 40-43.

انظر الملحق الثالث.

(**٥**) لمزيد من التفاصيل عن أحداث عنف جيش فردريك في الأراضي البيزنطية:

Historia Peregrinorum, pp. 141-142؛ Choniates, Annales, p. 222؛

Johnson, Crusades, p. 104؛Brand, Byzantium Confronts, pp. 180-182.

ومع استمرار الهجوم الألماني على الأراضي البيزنطية، الذي اتخذ فردريك، ادريانوبل في **٢٢** نوفمبر قاعدة له طيلة فصل الشتاء، وبعد أن شهد إسحاق سائر بلاده معرضة للدمار والخراب، أيقن الهزيمة فأرسل مندوبيه في (ذو القعدة **٥٨٥**هـ/ يناير **١١٩٠**م) لفردريك طالبًا الصلح وواعدًا بتوفير المؤن والسفن للعبور وتقديم رهائن من أفضل رجال دولته كتأكيد على ذلك، وتم إبرام المعاهدة بين الطرفين في **١٤** فبراير[١].

واستطاع فردريك بهذه المعاهدة إحراز كل ما أراد من تسهيلات لرحلته المقبلة دون أن يقدم أي تعهد أو إلزام فيما يتعلق بآسيا الصغرى، وعبر بعد ذلك بقليل إلى آسيا الصغرى متفائلاً حيث حليفه وصديقه القديم قليج أرسلان الثاني الذي وعده بتقديم المساعدة لجيشه، وواثقًا من وصوله إلى بلاد الشام بكامل قواته ولم يكن يتوقع ما ينتظره وجيشه من قدر مشئوم على أراضي آسيا الصغرى.

من هذا كله تتضح أهمية إقليم آسيا الصغرى وما لعبه من دور في سياسة الأباطرة البيزنطيين تجاه الحملات الصليبية، إذ كان هذا الإقليم واسترداد أراضيه هو المحور الذي دارت حوله المناقشات بين الأباطرة البيزنطيين والقادة الصليبيين، ونظرًا لهذه الأهمية فقد قدم هؤلاء الأباطرة كل ما استطاعوا من مساعدات للحملات الصليبية، ومن العسير تصور أن يكونوا هم السبب في الهزائم التي واجهتها هذه الجيوش في آسيا الصغرى، أو يقدموا على خيانة قادتها وهم يسعون إلى استغلالهم من أجل استرداد أراضيهم المغتصبةفي آسيا الصغرى، وإنما تعود هذه الهزائم إلى السلاجقة وما اتخذوه من وسائل لمقاومة هذه الجيوش الصليبية.

******

---

(١) عن بنود هذه المعاهدة:

Ansbert, Historia, pp. 148-149؛ Historia Peregrinorum, pp. 149-150؛ Brand, Byzantium Confronts, p. 183؛ Pacaut, Frederick Barbarossa, p.533.

الفصل الثالث

الصعوبات التي واجهت الحملات الصليبية في آسيا الصغرى في الفترة (٤٩١-٤٩٤هـ/١٠٩٧-١١٠١م)

- الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى.
- القضاء على حملة سنة (٤٩٤هـ/١١٠١م) في آسيا الصغرى.
  - هزيمة الجيش اللومباردي في آسيا الصغرى.
  - إبادة جيش كونت نافار في آسيا الصغرى.
  - نهاية جيش دوق اكويتين- أقطانيا- في آسيا الصغرى.

الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى:

«... لقد كنت الجسر الموصل بين الشرق والغرب، والمعبر الذي تلتقي عنده أوربا وآسيا، ولم أكن معبر سهل الاجتياز...؛ لأن البحر يحيطني من ثلاث جوانب وتحميني سلسلة جبال من الجهة الرابعة، وهضبتي المربعة تثبط من عزم أي معتدٍ...، وكنت حصنًا صخريًا صُمم ليكون مقبرة للغزاة... لقد كنت المانع الذي يجب اجتيازه، والطريق الذي يجب عبوره للوصول للمجد والثروة والسعادة»[1].

بهذه العبارة البليغة عبر أوتين Ottin عن أهمية إقليم آسيا الصغرى كطريق بين الشرق والغرب ومدى صعوبة عبوره، ذلك الإقليم الذي ينتهي به الطريق البري الموصل من أوربا إلى الشرق، ذلك الطريق الذي اختاره القادة الصليبيون الأوائل في رحلتهم للوصول إلى الأراضي المقدسة، وفضلوه عن الطريق البحري السهل بالرغم من طوله وصعوبة اجتيازه[2]، ولم يكن يدور بخلد هؤلاء أنهم سيدفعون ثمن هذا الاختيار غاليًا، وهو فشل حملاتهم، وعجزهم عن تحقيق أهدافهم.

فإذا كانت الحملة الصليبية الأولى قد انتهت بتحقيق أهدافها في الشرق وتأسيس عدد من الإمارات الصليبية، فإن ذلك لا يعني أنها وصلت إلى الأراضي المقدسة دون عقبات اعترضت طريقها، ففي الحقيقة إن الطريق لم يكن أمامها سهلاً ممهدًا، وإنما كان شاقًا وعسيرًا اكتنفته العديد من الصعوبات، وعانى فيه الصليبيون الكثير من المخاطر، وكانشبح الموت يطاردهم بين الحين والآخر، وتصدى لهم السلاجقة في آسيا الصغرى

---

(1)Ottin, Land of Emperors, p. 9.

(2)Oman, Ch., A History of the Art of War in The Middle Ages, I, A.D. 378-1278, p. 237؛ France, Victory, p. 3.

- للوصول إلى الشرق كان هناك طريقان، الطريق البري عبر هنغاريا وبلاد المجر والقسطنطينية وآسيا الصغرى، والطريق البحري وهو طريق مباشر يبدو أكثر آمنًا، ولكن بسبب الخوف من ركوب البحر وقلة الخبرة بسلوك هذا الطريق، سلك الصليبيون الأوائل الطريق البري، فالرحلة عبره تبدو أقل خطرًا، كما أنه كان أقل تكلفة، ويناسب الجماعات الكبيرة من الحجاج على الرغم من صعوبة عبور آسيا الصغرى لاسيما وأن السلاجقة كانوا يسيطرون على معظمها في هذه الفترة.

Oman, Art of War, I, pp.337-338.

رنسميان، الحروب الصليبية، ج١، ص٨٧، ١٣١.

بكل قوة، وحشدوا لهم ما استطاعوا من قوة إن لم يكن للقضاء عليهم فعلى الأقل لإضعافهم، بحيث يصبحون عند وصولهم إلى هدفهم في حالة يعجزون معها عن تحقيق أي شيء.

ويذكر أحد الباحثين ما كان يمكن أن يحدث لو أن هذه الجموع استطاعت الوصول إلى الشرق بكامل عدتها وأعدادها دون أن تعاني ما عانت، أو تتكبد ما تكبدته من خسائر في آسيا الصغرى، بأنه لو حدث ذلك لاستطاعت هذه الحشود أن تؤثر في الخريطة السياسية لبلاد الشام ومصر بصورة أكثر عمقًا واتساعًا عما أحدثته، وربما كانت قد غيرت تاريخ المنطقة بأسرها[١].

ولكن شاء حظ المسلمين أن تلعب آسيا الصغرى -ذلك المعبر الشاق- دورًا كبيرًا في إضعاف جيوش الصليبين أحيانًا، وغدت مقبرة لبعضها أحيانًا أخرى، وكانت حملة العامة هي أول الحملات التي قضى عليها السلاجقة قضاءً مبرمًا في آسيا الصغرى، بعد أن عانت جموعها الكثير من الصعاب[٢]، ولم يبق من رجالها الذين قدرهم جون فرانس بـ**٢٨** ألف من المشاة، و**٧٠٠** من الفرسان، سوى **٣** آلاف انضموا بعد ذلك إلى حملة الأمراء[٣]، وعبرت أنا كومنينا عن المذبحة التي حلت بهذه الجموع الصليبية خير تعبير بقولها: «وكان عدد الحشود الفرنجية والنورماندية التي أفنتها سيوف السلاجقة كبيرًا جدًا لدرجة أنه إذا جمعت أشلاء الذين قتلوا في بقعة محدودة لكونوا مرتفعًا شاهقًا، إنني في الحقيقة لا يمكنني أن أقول أنه مثل قطعة من مرتفع، أو إنه مرتفع أو تل أو قمة، لكن أقول إنه جبل شاهق الارتفاع بعيد العمق»[٤]، وبذلك انتهت حملة العامة نهاية مأساوية

(**١**) علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص**٢٢-٢٣**.

(**٢**) لمزيد من التفاصيل عن أحداث حملة العامة في آسيا الصغرى:

المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٢٠**؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص**٦٣-٦٤**؛ أنا كومنينا، الالكسياد، ص**١٤-١٥**؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**١**، ص**١٢٥-١٣٠**.

Duncalf, Peasants' Crusade, pp. 450-451؛ Krey, Frist Crusade, p. 74؛ France, Victory, p. 135.

(3)France, Victory, p. 142.

(**٤**) أنا كومنينا، الالكسياد، ص**١٥**.

(Krey, Frist Crusade, p. 77).

في آسيا الصغرى، وقضى السلاجقة على أفرادها قبل أن يروا الأرض المقدسة التي تفيض «لبنا وعسلا» كما وعدتهم البابوية[1].

أما الأمراء الصليبيون وجيوشهم النظامية، فكان عليهم منذ أن وطأت أقدامهم آسيا الصغرى أن يستعدوا لخوض معركة حامية الوطيس، عدوهم فيها ليس السلاجقة فحسب، وإنما طبيعة إقليم آسيا الصغرى وما يترتب على ذلك من آثار بالغة السوء على الجيش الصليبي، ذلك أنه بعد عبور الجيش الصليبي مضيق البسفور كان عليه سلوك الطريق من نيقوميديا إلى نيقية عبر منطقة جبلية شاقة لا تتسع لهذه الحشود الصليبية، الأمر الذي اضطر جود فري دي بوايون إلى إرسال القوات والعمال لتطهير هذا الطريق وتنظيفه[2]، وقد أرهق الصليبيين السير في هذه المنطقة الجبلية، وأخذت مؤنهم في النفاذ، وعندما وصلوا إلى نيقية كانوا في حالة شديدة من التعب ويعانون من نقص شديد في الغذاء[3]، فضلاً عن أن الصليبيين قد تأثروا بشدة بما رأوه من عظام حملة العامة أثناء سيرهم في هذا الطريق، وعبر فوشيه الشارتري عن ذلك بقوله: «وقد هز هذا المنظر مشاعرنا وذرفنا الدموع الغزيرة»[4]. (عن خط السير انظر الخريطة رقم **٢**).

على أي حال لم يكد ريموند كونت تولوز يصل إلى نيقية في **١٦** مايو **١٠٩٧**م، كانت فرقته هي آخر الفرق الصليبية التي وصلت إلى المدينة ، ويشرع في إقامة معسكره جنوب المدينة، حتى هاجمته قوة سلجوقية تتألف من **١٠** آلاف جندي أرسلها قليج أرسلان الأول-الذي كان مشغولًا في ذلك الوقت بالنزاع مع الدانشمنديين حول السيطرة على مدينة ملطية[5]- بعد أن أرسلت إليه حامية المدينة تطلب النجدة وحثته

(**١**) رأفت عبد الحميد، خيانة القضية الصليبية، ص**٧٩**.

(**٢**) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٣٣**.

France, Victory, p. 122.

(**٣**) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٣٣**.

Payne, Crusades, p. 68.

(**٤**) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص**٤٥-٤٦**.

(**٥**) كانت ملطية موضع تنافس شديد بين سلاجقة الروم والدانشمنديين، وبعد انتصار قليج أرسلان الأول على حملة العامة اتجه إليها وحاصرها، ولكن أهلها تحالفوا مع الدانشمنديين ضد السلطان السلجوقي.

لمزيد من التفاصيل:

=

على الهجوم على المدينة من الناحية الجنوبية، التي لم تقع تحت الحصار حتى ذلك الوقت، ولكن عندما وصلت القوات السلجوقية إلى المدينة وجدتها قد اكتمل حصارها، وتصدى لها ريموند كونت تولوز وفرقته، فانسحبت بعد قتال قصير[1].

بيد أن ريموند كونت تولوز لم يلبث أن تعرض لهجوم أشد وأنكى، فقد جاء قليج أرسلان الأول على رأس جيش كبير، مما أثار حماس القوة السلجوقية التي فرت من قبل، وعادت للقتال بقوة وإصرار شديدين، وأصبح الأمير الصليبي في موقف لا يحسد عليه بسبب عدم قدرة جودفري دي بوايون أو بوهيموند النورماني على ترك جانب المدينة الذي كانا يقومان بحراسته والقدوم لمساعدته، ودار قتال عنيف بينه وبين السلاجقة استمر يومًا كاملاً كادت الدائرة تدور فيه على ريموند كونت تولوز وقواته لولا قدوم جيش روبرت كونت فلاندرز لنجدته[2].

وبالرغم من أن القتال لم يكن حاسمًا لأحد الطرفين إلا أن قليج أرسلان الأول، أدرك صلابة مقاومة الصليبيين، فقرر الانسحاب بعد أن كبد الصليبيين الكثير من الخسائر وقتل منهم عددًا كبيرًا (حوالي ٣ آلاف)، من بينهم بلدوين كونت غنت Baldwin Count of Ghent، ومعظم من كتب له النجاة من هذه المعركة ظل يعاني جراحه[3]، ويصف ألبرت دي إكس هذه المحاولة الهجومية بأنها كانت معركة

=

علي المحيميد، الدانشمنديون، ص٧٧-٧٩، ١٦٨؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٤.

(١) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣٤؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٠.

Runciman, S., "The Frist Crusade: Constantinople to Antioch" in: Setton, K.M. & Baldwin, M.W. (eds)). A History of the Crusades, I, (Philadelphia 1955), p. 289.

(٢) أنا كومنينا، الالكسياد، ص٣٧؛وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٠٤-٢٠٥.

Runciman, Frist Crusade, p. 290.

تيسير بن موسى، نظرة عربية على غزوات الفرنج من بداية الحرب الصليبية حتى وفاة نور الدين، (ليبيا د.ت)، ص٦٩.

(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٤٦، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٤؛الحريري، الأعلام والتبيين، ص٦٢.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨؛زابوروف (ميخائيل)، الصليبيون في الشرق، ترجمة/ الياس شاهين، (موسكو ١٩٨٦)،ص٧٤.

شرسة وثقيلة الوطأة على الجيش الصليبي، عادت خسائرها على كلا الجانبين[١].

ويبدو أن قليج أرسلان الأول كان يهدف من وراء هذا الهجوم توجيه هزيمة للصليبيين تؤدي إلى إحباطهم، فإن لم يكن ذلك فمحاولة لإبعادهم عن المدينة أو على الأقل تزويدها بالقوات العسكرية اللازمة للدفاع عنها ضد الصليبيين[٢].

على أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته، أنه بالرغم من فرار السلطان من أمام نيقية وإلقاءه بمسئولية الدفاع عنها إلى حاميتها؛ حيث أرسل إلى رجالها قائلاً: «اعملوا منذ الآن وصاعدًا ما ترونه مناسبًا»[٣]، إلا أن هذا لا يعني أن العقبات قد زالت من أمام الصليبيين، أو أن الباب أصبح مفتوحًا على مصراعيه لدخول المدينة؛ ذلك أنه لم تلبث أن وقفت تحصينات نيقية القوية عقبة كبرى أمام الصليبين، فضلاً عن دفاع حاميتها المستميت، وقد علق ريمونداجيل على قوة تحصيناتها بقوله: «إن المدينة لم تكن تخشى هجوم الأعداء، ولا قوة أي آلة»[٤]، فالمدينة يحيطها سور عظيم يبلغ ارتفاعه حوالي **١٠** أمتار، وتقطعه **٤** بوابات، وعليه **١١٤** برج يبلغ ارتفاع كل منهم **١٧** مترًا، ويحيط بهذا السور خندق مائي يستمد ماءه من بحيرة نيقية غرب المدينة[٥].

أصابت هذه التحصينات الصليبيين بالدهشة والقلق عندما اقتربوا من المدينة، فبدا لهم أن الاستيلاء عليها مسألة في غاية الصعوبة[٦]، ومما يؤكد هذه الصعوبة ما ذكرته أنا كومنينا: من أن الإمبراطور الذي خبر نيقية وتحصيناتها أدرك أنه من غير الممكن الاستيلاء عليها من قبل الصليبيين مهما كانت أعدادهم كبيرة وقواهم

---

(١) نقلاً عن:

France, Victory, p. 161.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٤٦.

France, Victory, p. 161.

(٣) أنا كومنينا، الالكسياد، ص٣٧.

(٤) ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص٧٧.

Krey, Frist Crusade, p. 103.

(5)Payne, Crusades, p. 67. France, Victory, p 143؛

(٦) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٠٠.

Payne, Crusades, p. 67.

طاغية[1]؛ ذلك لأنه لم يكن أحد يستطيع اقتحام أسوار المدينة القوية أو حتى الاقتراب منها دون أن يتعرض للخطر، فإذا أفلت من هجوم الحامية بعد عبور الخندق المائي سيتم قذفه من منجنيقات الأبراج الموجودة أعلى سور المدينة[2].

وإذا كان الصليبيون قاموا ببناء العديد من آلات نقب وهدم الأسوار للتغلب على هذه الصعوبة، إلا أن هذه المجهودات ذهبت كلها أدراج الرياح بسبب شدة مقاومة الحامية لها، ومما يدل على ذلك ما ذكره ألبرت دي إكس: من أن كل المحاولات التي بذلها الصليبيون في نقب سور المدينة، وما قاموا به من بناء آلات لهذا الغرض كلها باءت بالفشل، بل إن إحدى هذه الآلات التي أقامها رجلان من رجال جودفري دي بوايون، وكانت تتسع لعشرين رجلاً بداخلها يقومون بنقب سور المدينة، قد انهارت من شدة قصف السلاجقة لها، وقتل من بداخلها مما أحزن الصليبيين على موت رفقائهم، وضياع مجهود كبير بذل في إقامة هذه الآلة[3]، هذا بالإضافة إلى أن محاولات ريموند كونت تولوز لهدم برج يوجد في الناحية الجنوبية من سور المدينة لم تفلح، فقد ظل البرج صامدًا أمام كل محاولات الهدم، الأمر الذي عبر عنه وليم الصوري بقوله: «إلا أن هذا البناء الصلد أثبت أنه من المستحيل زحزحة حجر واحد منه»[4]، وإذا كان الصليبيون قد استطاعوا مع استمرار النقب هدم بعض أجزاء من السور، إلا أن ما كان يهدمه الصليبيون أثناء النهار كانت تقوم حامية نيقية بترميمه أثناء الليل عندما يتوقف الصليبيون عن النقب وتكررت هذه العملية عدة مرات[5].

ويبدو أن ما ساعد حامية نيقية على الصمود ما كان يأتي إليها من إمدادات وقوات

---

(١) أنا كومنينا، الالكسياد، ص٣٨.

(٢) ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة، ص٧٧.

Krey, Frist Crusade, p. 103.

(٣) نقلاً عن:

France, Victory, pp. 163-164.

(وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٠٧-٢٠٨).

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢١١.

(٥) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣٥؛ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة، ص٧٨.

Krey, Frist Crusade, p. 102; France, Victory, p. 162.

عبر بحيرة نيقية، مما دفع الصليبيون إلى أن يرسلوا إلى الكسيوس يطلبون منه؛ إرسال السفن لإغلاق البحيرة، الأمر الذي أصاب حامية المدينة بالفزع عندما رأت هذه السفن وعلمت أنها مرسلة من قبل الكسيوس، وأنه يساعد الصليبيين، فقررت الاستسلام(١)، ومما زاد من عزم الحامية على الإستسلام الهجوم الأخير الذي قام به الصليبيون على البرج، حيث أقام أحد اللومبارديين آلة ضخمة، واختبأ بداخلها مع عدد من الرجال، وأخذوا يهدمون السور حتى فتحوا فيه فجوة كبيرة أدت في النهاية إلى تصدع البرج وانهياره، مما أفزع سكان المدينة خاصة بعد القبض على زوجة السلطان قليج أرسلان الأول وهي تحاول الهرب(٢)، وعندئذ استغل القائد البيزنطي بوتوميتس Boutoumites هذه الفرصة وعرض على الحامية مرة أخرى وعود الكسيوس بالأمان، فوافقت وتمت إجراءات استسلام نيقية للإمبراطور البيزنطي(٣).

هكذا استسلمت حامية نيقية بعد حصار استمر أكثر من ٧ أسابيع عانى الصليبيون خلاله معاناة شديدة، فبالإضافة إلى تحصينات المدينة التي وقفت عقبة كئود حيرت الصليبيين، كانت هناك مقاومة حاميتها المستمرة التي لم تترك أمام الصليبيين بابًا إلا وأغلقته، أو وسيلة إلا واتبعتها في سبيل التصدي للحصار مما كبد الصليبيين العديد من الخسائر التي جعلتهم يقلقون على مصير حملتهم، وقد عبر وليم الصوري عن مقاومة أفرادها بقوله: «إنهم راحوا يقابلون الحيلة بالحيلة، ويواجهون القوة بقوة مثلها، وأظهروا روحًا قتالية لا تقل عما كانت عند الصليبيين، وحاربوا بكل ما يملكون، وجاهدوا كأنهم رجل واحد...، وتكاتفوا في رد العدو، وتفادي الأهوال المنصبة عليهم»(٤).

---

(١) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣٦؛أنا كومنينا، الالكسياد، ص٣٩.

Munro, Crusaders, p. 45.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢١٤-٢١٥.

Krey, Frist Crusade, p. 106. France, Victory, p. 164؛

(٣) لمزيد من التفاصيل حول مفاوضات استسلام نيقية:

أنا كومنينا، الالكسياد، ص٤٠؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٧٠.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢١٢.

France, Victory, p. 164.

فضلاً عن أن الصليبيين قد عانوا من النقص الشديد في الغذاء فيذكر المؤرخ المجهول، أن الكثيرين منهم ماتوا جوعًا، وأيضًا قتل الكثير منهم أثناء الهجوم على المدينة، أو الاشتباك مع السلاجقة، وكان من هؤلاء بلدوين جلدريان Baldwin Galderin، ووليم كونت فوريز William Count of Forez، وآخرون غيرهم[١].

وتتضح خسائر الصليبيين في الأرواح من خطاب أرسله القادة الصليبيون إلى الغرب الأوربي، ذكروا فيه أنهم فقدوا **١٠** آلاف شخص أثناء الحصار والقتال حول نيقية مما كان له أثر كبير على الروح المعنوية للصليبيين بسبب قتل إخوانهم[٢].

ولم يلبث أن واجه الصليبيون صعوبة جديدة -بعد رحيلهم من نيقية- بدأت مقدمة الجيش في الرحيل من المدينة في **٢٦** يونيو سنة **١٠٩٧**م، ذلك أن المرحلة التالية من سيرهم كانت شديدة الخطورة فإذا كانوا حتى الآن لم يلتقوا مع السلاجقة في معركة حاسمة فقد كانت ضوروليوم هي هذه المعركة، فبعد سقوط نيقية-عاصمة سلاجقة الروم- عزم قليج أرسلان الأول على الانتقام من الصليبيين، فعقد الصلح مع الدانشمنديين أعدائه السابقين[٣]، ونجح في إقناعهم بتكوين جبهة متحدة ضد العدو الصليبي، وحشد جيشًا ضخمًا ضم إليه، كمشتكين الدانشمندي حاكم سيواس، والأمير حسن أمير كبادوكيا[٤] وعزموا جميعًا على قتال الصليبيين[٥].

---

(١) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٣٧**؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٠٧**.

Cowdrey, H.E.J., "Martyrdom and the Frist Crusade", in: Edbury,P.W., (ed), Crusade and Settlement, (London 1985), p. 151.

(2)France, Victory, pp. 131-132, 140.

(٣) شكلت علاقة الدانشمنديين مع سلاجقة الروم حلقة مهمة من تاريخهم السياسي، فتراوحت بين السلم تارة والحرب تارة أخرى، حيث كان يطمع كل طرف في الإستيلاء على ممتلكات الطرف الآخر.

لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين الطرفين:

علي المحيميد، الدانشمنديون، ص**١٠٣-١٣٠**.

(٤) يرى كاهن أن الأمير حسن هو بولداجي أحد الأمراء السلاجقة في الأناضول، ولكن هذا الأمير هو حسن بن أيوب، أحد قواد كمشتكين، ولقي مصرعه في أحد المعارك ضد الصليبيين ودفن في توقات.

علي المحيميد، الدانسمنديون، ص**١٧**، **٣٩-٤٠**.

(٥) زبيدة عطا، بلاد الترك، ص**٧٥**؛ رايس، السلاجقة، ص**٥٩**؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٧٨**. =

وكمن جيش السلطان السلجوقي وحلفاؤه للصليبيين في الممرات المؤدية إلى سهل ضوروليوم حيث كان السلطان يراقب تحركات الجيش، وأدرك أنه سيمر بهذا الطريق، واختار هذه الممرات بالذات حيث يمكنه فيها نصب الكمائن لهذه الفرقة الصليبية المنفصلة[1]، والقضاء عليها في ظل هذه الظروف المناسبة وقبل أن تصل القوة الرئيسية إليها[2].

ففي اليوم الثالث من رحيل الجيش من مدينة نيقية دخلت مقدمة الجيش الصليبي هذه الممرات، وفي صباح اليوم التالي-١ يوليو- اندفع قليج أرسلان الأول وحلفاؤه نحوها، فأمر بوهيموند النورماني رجاله بإقامة المعسكر، وتحدث إلى قادته طالبًا منهم الإستعداد لخوض معركة شاقة، حثهم فيها على الشجاعة والصمود، وفي نفس الوقت أرسل إلى القوة الرئيسية للجيش لتأتي لنجدته على جناح السرعة، إلا أن السلطان السلجوقي وحلفاءه قاموا بمهاجمة هذه الفرقة وتطويقها من جميع الجهات، فكانت تأتي كل فرقة وتطلق سهامها وتنسحب بسرعة فتأتي الأخرى وتقوم بنفس الدور وهكذا، مما أفزع الصليبيين وأنهك قواهم[3].

لقد صُدم الصليبيون في هذه المعركة لأول مرة بخطط السلاجقة في القتال والتي أدهشتهم وأصابتهم بالفزع، ولم تترك لهم أي فرصة لالتقاط أنفاسهم أو التفكير في كيفية التعامل مع هذا الأسلوب الجديد من القتال بالنسبة لهم، الذي عبر عنه فوشيه الشارتري بقوله: «إن أساليب الحرب هذه لم تكن معروفة لدينا»[4]، فكان السلاجقة

=

Holt, P.M., The Age of the Crusades, The Near East From the Eleventh Century to 1517, (New York 1986), p. 169.

(١) بعد رحيل الجيش الصليبي من نيقية انقسم إلى مجموعتين، المقدمة ويقودها بوهيموند النورماني، وتانكرد، وروبرت دوق نورمنديا، وستيفن كونت بلوا، والقوة الرئيسية ويقودها روبرت كونت فلاندرز، وهيو كونت فيرماندوا، وجودفري دي بوايون، وريموند كونت تولوز، وقد وصلت المقدمة أولًا إلى ضوروليوم.

Runciman, Frist Crusade, p. 292؛ France, Victory, p. 169.

(2)Payne, Crusades, pp. 70-71. France, Victory, pp. 174, 182؛

(٣) لمزيد من التفاصيل حول أحداث هذه المعركة.

المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣٨، ٣٩؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٢-١١٣؛ ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة، ص٧٩.

(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٤٨.

=

يعتمدون في قتالهم على خفة أسلحتهم، وسرعة خيولهم في الحركة، وتبدأ المعركة بمحاولة عزل العدو وتطويقه مع إلقاء وابل من السهام عليه، ثم الانقضاض عليه بعد ذلك من كل الاتجاهات، ومحاصرته في مسافة ضيقة للغاية، وإذا حاول أن يفلت من هذا التطويق أو القيام بالهجوم، يسرع السلاجقة بالاختفاء، وفي بعض الأحيان يقوم السلاجقة بالتظاهر بالانسحاب لإيقاع العدو في كمين نصبوه له[1]، وكان السلاجقة يهدفون من وراء هذا الأسلوب في القتال إلى إرباك العدو، وتحطيم تشكيله وزعزعة معنوياته وإضعافه، وعند ذلك يشتبكون معه في معركة بالسيوف والحراب[2].

ورسم شهود العيان صورة واضحة لهذا الأسلوب السلجوقي في القتال في معركة ضوروليوم، فتحدث المؤرخ المجهول عن تطويق السلاجقة للمقدمة[3]، وشبه فوشيه الشارتري وابل السهام الذي انهال على الجيش الصليبي وأدى إلى إنهاك قواه بالسحب[4] مما أصاب الصليبيون بالرعب، وعبر عن ذلك فوشيه الشارتري بقوله: «كنا نتجمع مع بعضنا كما تتجمع الأغنام ترتعد فرائصنا ويملؤنا الخوف ويحيطنا العدو من جميع الجهات، حتى إننا لم نقدر على التحرك في أي اتجاه»[5].

ومما زاد من فزع الصليبيين العدد الضخم للسلاجقة الذين وصفهم المؤرخ المجهول بقوله: «إنهم -السلاجقة- غطوا كل المرتفعات والجبال والسهول سواء داخل المدينة أو خارجها»[6].

ونتيجة لذلك كله فقد الصليبيون الثقة في قدرتهم على الصمود وقرروا الاستشهاد عند الضرورة، وكادت المعركة تنتهي لصالح السلاجقة لولا وصول القوة الرئيسية

=

(France, Victory, p. 182).

(1)France, Victory, p. 158.   Wise, Wars, pp. 170-172؛

(2)Hamilton, Crusades, p. 7.France, Victory, pp. 148-149؛

(٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٣٩؛   (بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٢).

(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٤٨.

(Krey, Frist Crusade, p. 117).

(٥) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٤٩.

(Krey, Frist Crusade, p. 117).

(٦) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤٠-٤١.

للجيش الصليبي التي جاءت إلى المقدمة عند الظهر وهي على وشك الاستسلام، وأدى قدومها إلى قلب ميزان المعركة رأسًا على عقب لصالح الصليبيين، إذ زادت حماستهم للقتال وعزموا على الثأر لما وقع لهم، فاشتبكوا في قتال عنيف مع السلاجقة الذين لم يلبثوا أن انسحبوا من ساحة القتال(١).

والأمر الملفت للنظر أنه بالرغم من انتصار الصليبيين في معركة ضوروليوم إلا أنها كانت تجربة قاسية وبغيضة لهم، كابدوا فيها قسوة السلاجقة وأعياهم أسلوبهم في القتال(٢)، ولقى عدد كبير منهم فيها مصرعه، إذ فقد الصليبيون المنتصرون في هذه المعركة ٤ آلاف، بينما فقد السلاجقة المنهزمون ٣ آلاف، وكان من بين الصليبيين الذين لقوا مصرعهم وليم أخو تانكرد وجودفري صاحب مونت سكبيوزو Monte Scabioso وروبرت كونت باريس Robert Count of Paris والكثير غيرهم(٣).

وأخذ الصليبيون منذ ذلك اليوم ينظرون للسلاجقة بعين الاعتبار ويقدرون مهاراتهم القتالية، واعترفوا بتفوقهم في فنون الحرب والقتال، فقال المؤرخ المجهول عنهم: **«لو أنهم آمنوا إيمانًا تامًابالمسيح واتبعوا النصرانية المقدسة... لما وجدنا شخصًا يمكن أن يساويهم في القوة والشجاعة وفن القتال»**(٤).

على أي حال إذا كانت معركة ضوروليوم قد انتهت بهزيمة وانسحاب السلاجقة إلى داخل آسيا الصغرى، فإن هذا لا يعني أنهم قد استسلموا، أو انتهت مقاومتهم حقيقة إنه من الآن فصاعدًا، لم تشر المصادر إلى أن الصليبيين خاضوا قتالًا عنيفًا مع السلاجقة كالذي وقع في ضوروليوم، لكن رغم ذلك ظل السلاجقة يمثلون خطرًا على الزحف الصليبي في آسيا الصغرى، وحاولوا بكل الطرق إعاقته، وهذا ما أكده ألبرت

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٢٦.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٣١؛ تيسير بن موسى، غزوات الفرنج، ص٦٩؛ عبد الغني إبراهيم رمضان، السلاجقة والصليبيون من وقعة ملازجرد ٤٦٥هـ/١٠٧١م حتى سقوط الرها ٥٣٩هـ-١١٤٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٩٥٨، ص٣٨.

(2)France, Victory, pp. 181-182.

(٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤١؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٧٧-٢٧٨؛ عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص٢٠٩.

(٤) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤١-٤٢؛ (بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٤-١١٥).

دي إكس بقوله: «إن العدو (السلاجقة) ظل يمثل خطرًا علينا، وفي الغالب كان يضعنا في موقف حرج نضطر فيه إلى الدفاع عن أنفسنا بضراوة»(١)، أما فوشيه الشارتري فيقول:«إنه بعد هذه المعركة (ضوروليوم) قد تابعنا رحلتنا بحذر شديد»(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن معاناة الصليبيين لم تقتصر فقط في هذه المرحلة على الهجوم السلجوقي ومحاولة إعاقة تقدم الصليبيين، وإنما عانى الصليبيون أيضًا من الظروف الطبيعية والمناخية لإقليم آسيا الصغرى(٣)، فقاسوا من شدة الحرارة طوال عبورهم هذا الإقليم بصفة عامة وفي هذه المنطقة بصفة خاصة.

فلو عدنا قليلاً للوراء لوجدنا أن البابا أوربان الثاني قد حدد موعد رحيل الصليبيين في **١٥** أغسطس سنة **١٠٩٦**م، ورأى أن هذا الوقت مناسبًا لتوافر المؤن عبر الطريق والوصول إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام في وقت أقل حرارة، إلا أن ذلك لم يحدث، حيث تأخرإنطلاق الصليبيين من ناحية، كما أنهم تعرضوا لعدة صعوبات في الطريق أدت إلى تأخر وصولهم إلى الشرق من ناحية أخرى، ولهذا عندما جاء الصليبيون إلى آسيا الصغرى كانوا في صيف العام التالي حيث الحرارة الشديدة في هذه الصحراوات القاحلة(٤)، ومما زاد من إحساسهم بالحرارة تلك الألبسة والدروع الثقيلة التي كان يرتديها أو يحملها الصليبيون، والتي أدت أيضًا إلى إعاقة سيرهم، وإحساسهم بالتعب والإرهاق(٥).

وفي ظل هذه الظروف القاسية لم يجد الصليبيون الماء ليروي عطشهم، ويخفف من شدة الحرارة عليهم، فالآبار قد طمرها أو جففها السلاجقة، وصهاريج المياه التي

---

(١) نقلاً عن:

France, Victory, p. 148.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٥٠.

(Krey, Frist Crusade, p. 119).

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٣١.

(4)Munro, Crusaders, p. 39؛ France, Victory, p. 186.

(٥) تسيير بن موسى، غزوات الفرنج، ص٧٠.

- لمزيد من التفاصيل حول ألبسة وأسلحة الصليبيين:

Wise, Wars, pp. 113-116.

وجدوها كانت مدمرة، الأمر الذي أدى إلى زيادة معاناتهم، وذكر ألبرت دي إكس: أن الصليبيين في اليوم الرابع من رحيلهم من ضوروليوم قد عانوا من عطش شديد أدى إلى هلاك **٥٠٠** شخص[١]، وقيل: إن الصليبيين كانوا من شدة عطشهم يسيرون وأفواههم مفتوحة عسى أن تصادفهم نسمة هواء ترطب ألسنتهم الجافة، وإذا كان الصليبيون قد وجدوا أحد الأنهار بعد طول سيرهم واندفعوا في لهفة إليه ليرووا عطشهم إلا أنه كان نهر الموت بالنسبة لهم، حيث أن إفراطهم في الشراب، أدى إلى موت الكثير منهم[٢].

إضافة إلى ما سبق فإن الصليبيين قد عانوا في هذه المرحلة من النقص الشديد في الغذاء، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ المجهول: إنهم -الصليبيون- لم يجدوا في هذه الصحراء سوى أشجار الشوك التي يقتلعونها ويطحنونها بأيديهم ليتغذوا عليها في هذه الرحلة المزعجة[٣]، ونتيجة لهذا عانى كبار السن والنساء الأمرين، وسقط منهم الكثير مريضًا، كذلك أصاب المرض ريموند كونت تولوز وكاد أن يودي بحياته، وأصيب جودفري دي بوايون أثناء صيده أحد الحيوانات البرية الذي كان يطمع في أن يخفف به حدة جوعه[٤].

وكذلك واجهت دواب الصليبيين مشكلة نقص العلف، الأمر الذي أدى إلى موت الكثير من الخيول وحيوانات الحمل، مما اضطر العديد من الفرسان إلى السير على الأقدام أو ركوب الثيران واستخدمت الماعز والكلاب لحمل الأمتعة[٥]، وعلق فوشيه

---

(١) نقلاً عن:

France, Victory, p.137.

(وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٢٩**؛ حسن عبد الوهاب حسين، "أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الصليبية الأولى حتى معركة حطين"، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، (الإسكندرية **١٩٩٧**)، ص**٢٩٠**).

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٢٩-٢٣٠**.

Payne, Crusades, p. 72؛Munro, Crusaders, p. 47.

(٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٤٣**.

(Krey, Frist Crusade, p. 119؛ Munro, Crusaders, p. 47).

(٤) ريموندااجيل، تاريخ الفرنجة، ص**٧٩**.

Payne, Crusades, p. 72؛ Runciman, Frist Crusade, p. 295.

(٥) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٤٣-٤٤**.

=

الشارتري على ذلك بقوله: «لقد كنت تضحك، أو ربما كنت تبكي رثاء لو أنك رأيت كثيرًا من هؤلاء الناس ممن لم تتوافر لهم الدواب التي هلك الكثير منها وقد حملوا حاجياتهم على كبش أو جدي أو خنزير أو كلب... واضطر الفرسان المسلحون أن يركبوا ظهور الثيران في بعض الأحيان(١)، فضلاً عن موت الكثير من الحيوانات الأليفة والطيور والصقور التي أحضرها النبلاء معهم»(٢).

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام وهو: لماذا لم يحاول الصليبيون توفير طريقة للحصول على المؤن بدلًا من هذه المعاناة الشديدة خاصة مع معرفتهم بأنهم سوف يمرون في أراضي أعداء لهم؟.

تكمن الإجابة على هذا السؤال في أن الصليبيين في هذه الفترة لم يكن لديهم نظام محدد ومنظم لترتيبات المؤن، وإنما كانوا يعتمدون بصفة أساسية على المناطق التي سيمرون بها(٣)، وكانت هذه مجازفة كبيرة خاصة إذا كانت هذه الأراضي جرداء أو أراضي أعداء لهم، مثلما حدث مع السلاجقة، الأمر الذي كلفهم الكثير، إذ قام السلاجقة بعد هزيمتهم في ضوروليوم وانسحابهم بتدمير وحرق المراعي والمحاصيل والحبوب وإخفاء الماشية في الجبال، ودمروا أمام الصليبيين كل وسيلة من شأنها أن تمدهم بالمؤن، مما ضاعف من معاناة الصليبيين في آسيا الصغرى(٤).

ولكن ما هو دور المرشدين البيزنطيين؟، ولماذا تركوا الجيش يعاني كل هذه

=

Payne, Crusades, p. 72؛France, Victory, pp. 189-190؛ Munro, Crusaders, p. 47.

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص٥١.

(Krey, Frist Crusade, p. 119).

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٣٠.

Munro, Crusaders, p.47.

(3)Oman, Art of War, I, p. 240؛ Bell, K., Mediaeval Europe 1095-1254؛ (Oxford 1932), p. 37.

(٤) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤٣.

Kafesoglu, Seljuks, p. 68؛ Oman, Art of War, I, p. 251؛ Krey, Frist Crusade, p. 119؛ Munro, Crusaders, p. 47.

عبد الغني رمضان، السلاجقة والصليبيون، ص٣٩.

المعاناة؟، ألم يكن دورهم إرشاد الصليبيين في آسيا الصغرى إلى أفضل الطرق إلى بلاد الشام وإبعادهم عن كل طريق من شأنه أن يعوق حركتهم أو يرهقهم؟.

الحق يقال إن المسئولية في هذه المعاناة لا تقع على هؤلاء المرشدين، فقد اعتقدوا أن الطرق لازالت على حالتها الأولى منذ أن كانت تحت السيطرة البيزنطية آمنة وصالحة للسير ولم يدر بخلدهم أو يتوقعوا ما أصابها من تدمير وتخريب، فبعد ثلاثين عامًا من الفوضى السياسية والسيطرة السلجوقية فإن هذه الطرق قد أصابها الدمار، وخربت حقولها، وجفت آبارها، وتحطمت جسورها، وما بقى منها بحالة جيدة دمره السلاجقة أمام الصليبيين، ومن هنا كانت تلك المعاناة الشديدة التي تكبدها الصليبيون[1].

بعد هذه الرحلة المرهقة وصل الصليبيون إلى مدينة قونية، التي رحل عنها سكانها، فاستولوا عليها بسهولة وأقاموا فيها لمدة يومين وحصلوا منها على ما كانوا يحتاجون إليه من إمدادات[2]، إلا أن الصليبيين لم يهنأوا بهذا الانتصار؛ ذلك لأنهم لم يلبثوا أن تعرضوا للمقاومة السلجوقية عند مدينة هرقلة، فتصدى لهم جيش ضخم (بلغ حوالي ٨٠ ألف) بقيادة الأمير كمشتكين الدانشمندي والأمير حسن، ووقع قتال عنيف بين الطرفين، أظهر فيه كلاهما الثبات والصبر، لكنه انتهى بانسحاب السلاجقة ودخول الصليبيين هرقلة، ويبدو أن هذين الأميرين هدفا من وراء هذه المحاولة منع الصليبيين من السير عبر أملاكهما والاتجاه مباشرة إلى جبال طوروس ومنها إلى البحر المتوسط لكنهما لم ينجحا في ذلك[3].

فضل القسم الرئيسي من الجيش الصليبي بعد هرقلة السير بطريق قيصرية إلى أنطاكية عن السير بطريق أبواب قليقية الذي اتخذه تانكرد وبلدوين؛ وذلك لأن قليقية كانت خاضعة للسيطرة السلجوقية، هذا بالإضافة إلى صعوبة طريق أبواب قليقية

---

(1)France, Victory, p. 189.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص٢٨٢.

(٢) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤٤؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١٦.

Krey, Frist Crusade, p. 119.

(٣) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤٤؛بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٦؛ أنا كومنينا، الالكسياد، ص٤٥-٤٦.

France, Victory, p. 189؛Runciman, Frist Crusade, p. 295.

وسوء مناخه في هذا الوقت من العام، بالرغم من قصره، فالمسافة من هرقلة إلى أنطاكية بهذا الطريق تبلغ **٣٥٠** كم، بينما تبلغ هذه المسافة بطريق قيصرية **٦٥٠**كم[١]. (انظر الخريطة رقم **٢**).

وإذا كان الصليبيون قد اتخذوا طريق قيصرية تجنبًا للخطر السلجوقي، إلا أنهم لم يفلحوا في الهروب من الهجوم السلجوقي من ناحية، كما أنهم تعرضوا لصعوبة السير في الطريق بعد كوكسن Coxen[٢] من ناحية أخرى، فقد تصدى لهم الأمير حسن عند قرية تدعى أغوستربوليس Augustopolis[٣] لكنه عجز عن إيقاف زحفهم[٤]، وبالرغم من حصار السلاجقة لمدينة كومانا إلا أن الصليبيين استطاعوا الإستيلاء عليها بمساعدة سكانها الأرمن، وكذلك مدينة كوكسن التي زود الأرمن فيها الجيش الصليبي بكل ما احتاج إليه من مواد غذائية لتساعده في رحلته التالية عبر جبال طوروس[٥].

على أي حال إذا كان الصليبيون قد اعتقدوا أن الحظ قد ابتسم لهم بمساعدة الأرمن، وأن معاناتهم انتهت عند هذا الحد، فإنهم قد أخطأوا في ذلك؛ لأن المسافة الممتدة من كوكسن إلى مرعش (٨٠ كم)، كانت كل خطوة فيها رحلة عذاب بالنسبة لهم، إذ كان عليهم اجتياز جبال اللكام (طوروس الأمامية) الوعرة الشديدة الانحدار والضيق، ومما زاد من صعوبة سيرهم في هذه المنطقة الجبلية سقوط الأمطار، الأمر الذي أدى إلى انزلاق الكثير من الخيول وحيوانات الحمل، وهنا جاءت أسلحتهم

---

(1)France, Victory, p. 189.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٨٥**.

(٢) كوكسن هي "جكسن الحالية"، تقع جنوب كومانا، وهي المحطة التالية التي وصل إليها الصليبيين بعد كومانا.

علي المحيميد، الدانشمنديون، ص**١٧٥**.

(٣) أغوستوبوليس، هي قيرشهر البيزنطية تقع على بعد ٨٠ ميلا غرب مدينة قيصرية.

لسترنج، بلدان الخلافة، ص**١٧٩**.

(٤) أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٤٩**؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص**٢٩٦-٢٩٧**.

(٥) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص**٤٥-٤٦**؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٨.

Forse, Armenians, p. 14؛Runciman, Frist Crusade, p. 297.

لتعوق سيرهم في هذه الجبال، مما دفع البعض إلى بيعها، بينما تخلص منها البعض الآخر بتركها على جانبي الطريق[1]، ولهذا كانت خسارة الصليبيين في هذه المنطقة كبيرة، لدرجة دفعت بعض الباحثين إلى القول بأن الصليبيين فقدوا في هذه المرحلة أكثر مما فقدوا في أي معركة مع السلاجقة أو أثناء سيرهم عبر آسيا الصغرى[2].

مما سبق يمكن القول بأن آسيا الصغرى كانت مرحلة شاقة من سير صليبي الحملة الصليبية الأولى، عانوا خلالها من الحرارة والجوع والعطش والانحدار الشديد لممرات الجبال، فضلاً عن هجوم السلاجقة عليهم وما ترتب على ذلك من آثار بالغة السوء، فكانت آسيا الصغرى بالنسبة لهم إقليمًا موحشًا عانوا خلاله العديد من الصعاب، وجاءت رحلتهم خلاله مصحوبة بخسارة كبيرة في الأرواح[3].

القضاء على حملة سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠١م) في آسيا الصغرى:

بعد الصعوبات التي تعرضت لها الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى، لم تلبث أن وطأت أراضيها حملة صليبية أخرى سنة ١١٠١م، لتواجه في هذه المرة قدرًا مشئومًا ومصيرًا حاسمًا... فإذا كانت الحملة الصليبية الأولى بعد كل خسائرها في هذا الإقليم استطاعت الوصول إلى بلاد الشام، فإن هذه الحملة قد قُضِي عليها ولفظت أنفاسها الأخيرة على أراضي آسيا الصغرى.

فإذا كان قدوم الحملة الصليبية الأولى إلى آسيا الصغرى، قد دفع السلاجقة إلى التخلي عن تنازعهم والتعاون ضد الخطر الصليبي-كما سبق ذكره-ذلك التعاون الذي أعيى الصليبيين في معركة ضوروليوم، فإن وصول هذه الحملة الجديدة قد أدى إلى إحياء وتقوية روابط التعاون والوحدة بين السلاجقة في آسيا الصغرى، خاصة بعدما أدركوا مدى قوة وخطورة العدو الصليبي، ورأوا ضرورة الاستعداد لمواجهته، فالحرب معه حربًا مصيرية إما البقاء وإما الفناء، وهكذا وجدت حملة سنة ١١٠١م

---

(١) المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة، ص٤٧-٤٨؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، ص١١٩.

France, Victory, p. 189؛Krey, Frist Crusade, p. 124.

ماير (هانس ابرهارد)، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ عماد الدين غانم، (ليبيا ١٩٩٠)، ص٨٢.

(2)Runciman, Frist Crusade, p. 298.Payne, Crusades, p. 75؛

(3)Oman, Art of War, I, p. 240., France, Victory, pp. 3, 159؛

السلاجقة في آسيا الصغرى وهم في قمة غليانهم وتجتاحهم رغبة عارمة في الثأر من هذا العدو الذي استطاع هزيمتهم وطردهم من أراضيهم، ومن ثم فإن أي محاولة لعبور المنطقة السلجوقية في آسيا الصغرى -في هذه الفترة- كانت ستنتهي بمذبحة مروعة، وهذا ما حدث بالفعل لهذه الحملة[1]، وكانت أول هذه المذابح من مصير الجيش اللومباردي.

*** هزيمة الجيش اللومباردي في آسيا الصغرى:**

لقد رفض اللومبارديون نصيحة الكسيوس كومنين، بالسير في طريق الحملة الصليبية الأولى -كما سبق ذكره- مما أدى إلى انزعاج ريموند كونت تولوز وستيفن كونت بلوا والقائد البيزنطي تيستاس وحاولوا إثناءهم عن هذه الفكرة بكل وسيلة، فتارة يذكرونهم بهدف الحملة، وهو تقديم يد العون والمساعدة للصليبيين في الشرق، وتارة أخرى يشرحون لهم خطورة هذا السير الطويل خلال فصل الصيف في منطقة يسيطر عليها أعداؤهم، حيث كان عليهم السير لمسافة تبعد عن مضيق البسفور حوالي **١٠٠٠**كم أقصى الشمال الشرقي للوصول إلى نيكسار، حيث يوجد بوهيموند، على النقيض من طريق الحملة الصليبية الأولى، الذي يجتاز منطقة استولى البيزنطيون على معظمها، مما سيوفر للصليبيين المرور الآمن، وما يحتاجون إليه من مؤن أثناء رحلتهم، وبذلك يصلون إلى بلاد الشام دون عناء وبكامل أعدادهم[2].

بيد أن اللومبارديين صموا آذانهم عن هذه التحذيرات وأعمتهم الرغبة في تحرير بوهيموند عن هذه المخاطر المحتومة، ويبدو أن ما شجعهم على ذلك هو استهانتهم بقوة المسلمين، بعد أن وصلت أخبار الانتصار عليهم في الحملة الصليبية الأولى إلى

---

(1)Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 227؛ Holt, Age of The Crusades, p. 169؛ Elisseeff, N. "The Reaction of The Syrian Muslims After The Foundation of Frist Latin Kingdom of Jerusalem", in: Shatzmiller, M. (ed), Crusaders and Muslims in Twelfth Century Syria, (New York 1993), p. 163.

مرسي الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، ص**٣٣٨**.

(2)Grousset, Croisades, I, p. 324؛Oldenbourg, Crusades, pp. 207-208؛ Rousset, Croisades, p. 169.

الغرب بصورة مبالغ فيها[١].

وأمام هذا الإصرار من اللومبارديين الذين كانوا يشكلون أكثر من نصف الجيش الصليبي، وتهديدهم بالحرب لم يسع ريموند وبقية القادة إلا موافقتهم، ولم يكن يدري هؤلاء أنهم بقبولهم هذه الفكرة الطائشة، واتخاذهم هذا الطريق قد نبشوا قبورهم بأيديهم[٢].

فبعد أن عبر اللومبارديون البسفور في **٢١** إبريل عسكروا في نيقوميديا ينتظرون وصول بقية الفرق الصليبية (الفرنسية والألمانية)، التي سرعان ما انضمت إليهم، وغادرت هذه الجموع نيقوميديا وأخذت طريقها إلى أنقرة، وكان هذا الطريق يمر بمنطقة تحت السيطرة البيزنطية، ومن ثم لم يشتك الصليبيون في هذه الفترة من نقص في المؤن حيث أمدهم البيزنطيون بكل ما احتاجوا إليه، إلا أن الطريق إلى أنقرة كان يمر بمنطقة جبلية ووديانا عميقة عانى اللومبارديون من السير خلالها[٣]، إلا أنهم تمكنوا من الوصول إلى أنقرة، التي كانت من أملاك قليج أرسلان الأول في **٢٣** يونيو، واستطاعوا السيطرة عليها بعد معركة عنيفة مع السلاجقة[٤].

من أنقرة اتجه اللومبارديون صوب الشمال الشرقي إلى جانحرا Gangra[٥]؛ ليتخذوا الطريق الرئيسي الذي يمر عبر نهر هاليس إلى أماسيا ومنها إلى نيكسار هدف

---

(١) مرسي الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، ص**٣٣٧**.

(2)Cate, Crusade of 1101, p. 354؛ Oldenbourg, Crusades, p. 208؛ Brundage,Errant Crusader, p. 392.

حسن عبد الوهاب، أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية، ص**٢٩٣**.

(3)Albert d'Aix, Historia, pp. 562-564؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, pp.325-326؛Richard, Croisades, p. 85؛ Archer, Crusades, p. 104؛ Oldenbourg, Crusades, 208.

(٤) أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٦٢**؛ ابن الأثير، الكامل، ج**٩**، ص**٢٩**.

Chalandon, Alexis 1er Comnene, p. 226؛ Grousset, Croisades, I, p. 325.

(٥) جانجرا، تقع على بعد خمسين ميلا من كستمون على أحد روافد نهر الهاليس وتشرف على الطرق الرئيسية من جلاتيا إلى البحر الأسود، وكانت عاصمة لمنطقة بافلاجونيا.

O.D.B., 2, p. 821.

لسترنج، بلدان الخلافة، ص**١٩١**.

حملتهم، إلا أنهم منذ خروجهم من أنقرة وحتى وصولهم إلى جانجرا وطول هذه الفترة قد عانوا من نقص المؤن، حيث اتبع قليج أرسلان الأول سياسة السلاجقة المألوفة منذ الحملة الصليبية الأولى، وقام بتدمير وتخريب البلاد أمامهم بهدف حرمان الجيش اللومباردي من الحصول على أي مواد غذائية ومن ثم إضعافه وإنهاكه، وعند ذلك يصبح من السهل القضاء عليه[١].

يضاف إلى ذلك أن كمشتكين الدانشمندي أخذ في الاستعداد لمواجهة تحدي الصليبيين واتجاههم إلى عقر داره، فأرسل يطلب المساعدة من قليج أرسلان الأول الذي سرعان ما استجاب له لمواجهة هذا الخطر، وأرسل أيضًا يطلب مساعدة رضوان بن تتش صاحب حلب، الذي لم يتردد هو الآخر في تلبية طلبه، وكيف لا يستجيب لطلبه، وسبب اتجاه اللومبارديين إلى أملاك الدانشمنديين هو تحرير بوهيموند الذي شكل خطرًا كبيرًا على مدينة حلب[٢].

وصل اللومبارديون إلى جانجرا في بداية شهر يوليو، وبذلوا جهدًا كبيرًا في الاستيلاء عليها، لكنهم فشلوا في ذلك لقوة تحصيناتها ومناعتها، ودفاع السلاجقة الشديد عنها، هذا بالإضافة إلى أن المدينة كان لديها من المؤن ما يكفي لمقاومة حصار طويل، فرحل اللومبارديون عنها يجرون أذيال الخيبة[٣]، وكان هذا الفشل هو أول فشل واجه اللومبارديين، وكان له أثر كبير في رفع روح المسلمين المعنوية الأمر الذي شجعهم على الإصرار على مقاومة اللمبارديين بعد أن خبروا ضعفهم، فأخذوا منذ هذه

(١) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٣.

(2)Oldenbourg, Crusades, p. 210؛Grousset, Croisades, I, p. 326؛

رنسيمان،الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٣؛ علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص٤٤.

- بعد أن استقرت أوضاع بوهيموند في أنطاكية، أخذ يعمل على التوسع على حساب المسلمين، وكانت إمارة حلب هي المنافس له في شمال الشام، فقام بمهاجمتها، واستولى على العديد من المواقع الهامة بها، ثم اشتبك في معركة شديدة مع رضوان صاحب حلب، وتمكن من هزيمته والإستيلاء على عدة حصون غرب حلب واستعد لحصارها وكان من الممكن أن تسقط في يده لولا تدخل القدر بأسر كمشتكين الدانشمندي لبوهيموند.

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧-١٣٨؛حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص١٢٦-١٢٧.

(3)Albert d'Aix, Historia, p. 564؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, 33؛Cate, Crusade of 1101, p. 355؛ Richard, Croisades, p. 85.

اللحظة في تعقب الجيش الصليبي والهجوم عليه باستمرار؛ لإضعافه وتبديد قوته قبل خوض المعركة الفاصلة معه[1].

بالإضافة إلى ذلك فقد عانى اللومبارديون في تلك المرحلة من حرارة شهر يوليو اللافحة في آسيا الصغرى، ومن الجوع الشديد بعد أن تناقصت مؤنهم بشكل كبير، وأمام هذه المعاناة وخوفًا من أن يكبدهم السلاجقة خسائرًا أخرى وقع اللومبارديون- الذين كانوا السبب في هذه المعاناة- في حيرة من أمرهم، ولم يدروا ماذا يفعلون، عند ذلك اضطروا إلى الموافقة على رأي ريموند كونت تولوز بالاتجاه إلى كستمون ومنها إلى إحدى الموانئ البيزنطية على بحر بنطس، وطرح فكرة تحرير بوهيموند[2].

إنه لأمر غريب حقًا أن يتخلى اللومبارديون عن هدفهم الأساسي الذي طالما دافعوا عنه، ورفضوا كل محاولة لإبعادهم عن تنفيذه، مما دفع بعض الباحثين إلى القول: بأن سيدهم لم يعد يسوع المسيح، وإنما أصبح السيد النورماني[3]،ولكن الحالة السيئة التي وصل إليها اللومبارديون، وحجم المعاناة التي تكبدوها في هذه المرحلة هي التي جعلتهم يتخلون عن هذه الفكرة ويتجهون إلى كستمون.

على أي حال، إذا كان اللومبارديون قد اعتبروا أن اتجاههم إلى كستمون يعني إنقاذهم ونهاية لمعاناتهم، إلا أن ذلك لم يحدث، فلم تأت الرياح في رحلتهم هذه بما تشتهي السفن، حيث رأى الصليبيون الموت بأعينهم في كل خطوة إلى هناك، فسرعان ما وجدوا أنفسهم في صحراء جدباء، وقد اتهم ألبرت دي إكس ريموند كونت تولوز بأنه تعمد أن يقود الجيش إلى هذه المناطق الصحراوية الجافة بعد أن رشاة السلاجقة[4].

ولكن هذا الرأي لا يوجد ما يؤكده خاصة وأن المصادر التي عالجت موضوع هذه الحملة لم تذكر أي شيء عن خيانة ريموند، فالمؤرخ إيكهارد لم يتهم ريموند بالخيانة

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 564؛ Cate, Crusade of 1101, p. 355؛ Grousset,Croisades, I, p. 325.

(2)Rousset, Croisades, p. 169.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٣؛ رايس، السلاجقة، ص٦٣.

(3)Oldenbourg, Crusades, p. 209.

(4)Albert d'Aix, Historia, p. (Cate, Crusade of 1101, p. 335).

رغم اتهامه الكسيوس بذلك، وجيبرت النوجاتي لم يذكر أي شيء في هذا الصدد، ويلصق متى الرهاوي تهمة الخيانة بالكسيوس، ولا يذكر أي شيء عن الأمير الصليبي، أما أوردريك فيتاليس، فيقول: بأنه ليس متأكدًا ما إذا كان ريموند كونت تولوز قاد الصليبيين إلى هذه الطرق جاهلاً أم متعمدًا[١].

يضاف إلى ذلك أن ريموند كان منذ البداية رافضًا الاتجاه إلى بلاد الدانشمند وحاول إقناع اللومبارديين بأكثر من طريقة للتخلي عن هذه الفكرة، لما ينطوي عليها من مخاطر أدركها بحكم خبرته في السير عبر آسيا الصغرى منذ الحملة الصليبية الأولى، كما أن سيرة هذا الأمير تؤكد استحالة قيام هذا الرجل الشديد التمسك بدينه بهذا العمل، فكيف يخون دينه وهو الذي حارب من أجله المسلمين في أسبانيا، وكان من القادة المشهورين في الحملة الصليبية الأولى هذا بالإضافة إلى عدائه للمسلمين أنفسهم في بلاد الشام[٢]، فضلاً عن أن رفاقه الذين نجوا من الوقوع في أيدي السلاجقة لم يلصقوا به هذه التهمة، بل دافعوا عنه عندما قام تانكرد أمير أنطاكية بأسره، وتوسلوا إليه للإفراج عنه[٣].

ولعل ما دفع ألبرت دي إكس إلى اتهام الأمير الصليبي هو تأثره الشديد بإبادة هذا الجيش الضخم، وضياع هذا الجهد المسيحي على أراضي آسيا الصغرى، فلم يجد كبش فداء سوى ريموند قائد هذا الجيش الذي سار به -دون قصد- في هذه الطرق، خاصة وأننا لم نجد في مصدره أي لوم للومبارديين لاتخاذهم الطريق إلى بلاد الدانشمند، فكان متعاطفًا معهم على الدوام.

وعلى ذلك يمكن القول بأن ريموند كونت تولوز لم يتعمد ترك المناطق العامرة والسير بالجيش اللومباردي في منطقة جدباء، خاصة عند المعرفة بأن هذه المنطقة كلها كما يقول جروسيه Grousset: كانت منطقة صحراوية وخالية من أي مظهر من مظاهر الحياة، وكان السلاجقة يدركون طبيعة وظروف هذه المنطقة، فاستغلوا مرور

---

(1)Ekkehard of Aura, Hierosolymita, pp. 30-31؛ Matthieu D'Edesse؛Chronique, p. 241؛Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 335.

(٢) علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص٤٩-٥٠.

(3)Albert d'Aix, Historia, p. 582؛ Cate, Gay Crusader, pp. 519-520.

الجيش الصليبي فيها وفضلوا الهجوم عليه وهو يعاني الجوع والعطش والإرهاق(١).

ومهما يكن من أمر، فإن الجيش اللومباردي لم يكد يخطو خطواته الأولى في تلك المنطقة القاحلة إلا ووجد سحب السهام تنطلق نحوه من كل الجهات، والكمائن تنصب له هنا وهناك، ومع استمرار تقدمه في هذه المنطقة ازداد عنف الهجوم السلجوقي عليه، مما أدى إلى وقوع العديد من الخسائر في الرجال والخيول، وأمام هذا الخطر المحدق قام قادة الجيش بتخصيص فرقة من الفرنسيين تعدادها ٧٠٠ جندي؛ لحماية المقدمة وأخرى لمباردية تماثلها في العدد لحماية المؤخرة(٢)، ولكن هيهات أن يفت هذا من عضد السلاجقة الذين قرروا إبادة الجيش اللومباردي مهما كانت الظروف والذين بمجرد رؤيتهم لهذه الفرقة اندفعوا نحوها وهاجموها فلم يستطع الحماة اللومبارديون الصمود أمام هذا الهجوم السلجوقي العنيف، ففروا وقتل السلاجقة منهم ١٠٠٠ شخص(٣).

بعد يوم واحد من هذا الهجوم وقبل أن تجف دموع اللومبارديين على قتل إخوانهم أو يفيقوا من هول الصدمة قامت فرقة من الجيش السلجوقي تتألف من ٧٠٠ جندي بمطاردة ريموند كونت تولوز في ممرات الجبال وأمطرته بوابل سهامها، وعندما أدرك الأمير الصليبي عجزه عن التصدي للسلاجقة الذين أخذت أعدادهم في التزايد بانضمام قوات جديدة إليهم، أرسل ريموند إلى باقي الجيش-كان يبعد عنه حوالي ٧ أميال- يطلب النجدة، وعندما جاءت إليه هذه القوات انسحب السلاجقة إلى الجبال(٤).

كان نتيجة الهجوم السلجوقي المستمر والذي لم يعط اللومبارديين الفرصة لالتقاط أنفاسهم أن قرر هؤلاء السير صفًا واحدًا وعدم الانقسام، عسى أن يفلحوا في التصدي للسلاجقة، إلا أنهم لم يلبثوا أن واجهوا في هذه الرحلة المشئومة معاناة جديدة، فبعد السير لمدة ١٥ يومًا في تلك المنطقة الجبلية الشاقة أصابت المجاعة اللومبارديين، فلم

(1)Grousset, Croisades, I, p. 325.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 565؛ Grousset, Croisades, I, p. 326.

(3)Albert d'Aix, Historia, p. 565.

(4)Albert d'Aix, Historia, 565.

يجدوا ما يسد رمقهم، وكان طعامهم في هذا الوقت كما يقول ألبرت دي إكس: «إنهم راحوا يمضغون قشور الأشجار والحشائش والجذور محاولين ملء بطونهم»(١).

في ظل هذه الظروف القاسية حاول ١٠٠٠ شخص من المشاة إنقاذ أنفسهم من هذا الجوع الشديد، فتركوا الجيش وأخذوا يبحثون عن طعام في المنطقة المحيطة بكستمون، فوجدوا أراضي مزروعة بالشعير فقاموا بحصده وأشعلوا النار لشيه، وما كادوا يفعلون حتى ظهر السلاجقة فجأة وأحاطوا بهؤلاء البؤساء الجائعين إحاطة الطوق بالمعصم، وأشعلوا النار في الأشجار حولهم فأتت عليهم جميعًا(٢).

ولاشك في أن السلاجقة قد استفادوا من طبوغرافية هذه المنطقة أفضل استفادة في القضاء على هذا الجزء المنفصل من الجيش، الذي دخل بإرادته هذه المنطقة التي كانت كما يقول ألبرت دي إكس: «منطقة جبلية لا تصلح لنصب معركة ولا توجد بها طرقًا ممهدة يستطيع جيش من خلالها الهروب وإنقاذ نفسه»(٣).

حقًا لقد كانت فاجعة مروعة أصابت اللومبارديين بالفزع من هذا العدو الذي ترصدهم كظلهم في كل حركة من حركاتهم وفي كل خطوة يخطونها، وبهذا كان منطقيًا بعد أن عانى الجيش اللومباردي كل هذه المآسي، أنه بمجرد وصوله إلى كستمون التي أصبحت الأمل الوحيد لإنقاذه من هذه الأخطار، أن يتابع رحلته إلى أحد الموانى البيزنطية على ساحل بحر بنطس ومنه إلى القسطنطينية، إلا أن اللومبارديين عادوا فجأة إلى فكرتهم الأولى-تحرير بوهيموند- وقرروا عبور نهر هاليس والاتجاه إلى نيكسار(٤).

وتتساءل زوي أولد نبرج Zoe Oldenbourg، عن السبب الذي جعل اللومبارديون يتراجعون عن رأيهم السابق، وكيف وافق قادة الجيش هؤلاء على انحرافهم هذا، واعتقدوا وهم لديهم ما لديهم من خبرة ودراية عسكرية أن الجيش وهو

---

(1)Albert d'Alix, Historia, pp. 565-566؛ (Grousset, Croisades, I, 326؛ Cate, Crusade of 1101, p. 355)

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 567؛ Cate, Crusade of 1101, p. 355.

(3)Abert d'Aix, Historia, 567.

(4)Albert d'Aix, Historia, p. 567؛ Grousset, Croisades, I, p. 326؛ Oldenbourg, Crusades, p. 209.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٤؛ رايس، السلاجقة، ص٦٣.

في مثل هذه الحالة السيئة يستطيع أن يحارب عدوًا أقوى منه وأكثر عددًا، ويتمكن من هزيمته في عقر داره؟[1].

يبدو أن ما دفع اللومبارديين إلى هذا الانحراف هو ما لاقوه طوال سيرهم من صعوبات، وما عانوه من جوع وتعب، فضلاً عن هجوم السلاجقة المستمر عليهم، والذي ظهر مؤخرًا في كمين كستمون، واعتقدوا أنهم بعبورهم نهر هاليس القريب سوف يجدون ما يحتاجون إليه من مؤن وإمدادات تساعدهم على مواصلة سيرهم وتحقيق هدفهم (تحرير بوهيموند)، ولم يسع القادة أمام إصرار اللومبارديين، سوى قبول هذا الرأي والانحراف[2].

بيد أن ذلك الاعتقاد كان وهمًا كبيرًا؛ وذلك لأن السلاجقة كما تقول أناكومنينا: قاموا بحرق وتدمير كل المؤن والمحاصيل قبل وصول اللومبارديين، وبذلك لم يجد هؤلاء أمامهم بعد عبورهم سوى أرض خالية من كل مظاهر الحياة[3].

على أي حال يمكن القول بأن هذه الصعوبات التي واجهت اللومبارديين منذ عبورهم إلى آسيا الصغرى، وما قام به السلاجقة من تدمير المدن والأراضي والحقول أمامهم تارة، والهجوم عليهم تارة أخرى، كانت الخطوات التمهيدية التي يضعها السلاجقة دائمًا أمام عدوهم لإعداده للمرحلة الأخيرة-بعد أن يكون التعب أخذ منه كل مأخذ- وهي الاشتباك معه في معركة حاسمة تمثل الضربة القاضية له، وكانت معركة مرسيفان Mersivan[4] هي هذه الخطوة النهائية للقضاء على الحملة اللومباردية في آسيا الصغرى.

فقد اصطلح المؤرخون على تسمية ما وقع للومبارديين على أيدي السلاجقة وحلفائهم في الأيام الأولى من شهر أغسطس بعد وصولهم مرسيفان باسم معركة،

---

(1)Oldenbourg, Crusades, p. 209.

(٢) علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص٤٣.

(٣) أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦٢.

(٤) مرسيفان، تقع جنوبي شرق أماسيا بحوالي ٤٩ كم، وكانت من أملاك الدانشمنديين.

لمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة:

انظر:

The Encyclopaedia of Islam, 6, (Leiden, 1991), pp. 1023-1024.

ولكن يمكن القول بأنها كانت مذبحة أبيد فيها الجيش الصليبي عن آخره على عدة أيام على أيدي السلاجقة، ذلك الجيش الذي قدره ألبرت دي إكس بأكثر من ٢٠٠ ألف، وقدرته أنا كومنينا بـ١٥٠ ألف، وذكر ابن الأثير أن عدده ٣٠٠ ألف، لم ينج من هذا العدد الضخم سوى ٣ آلاف، أخذوا طريقهم عبر الجبال والطرق الوعرة يتلمسون وسيلة لنقلهم إلى القسطنطينية(١).

ذلك أنه لم يكد يمر على كمين كستمون ستة أيام إلا وقام الجيش السلجوقي بقيادة قليج أرسلان الأول وحلفائه بمباغتة الجيش اللومباردي والهجوم عليه وهو على هذه الحالة من الجوع والإرهاق وفرضوا عليه القتال، بينما كان الجيش السلجوقي ينعم بالمؤن والراحة وفي قمة استعداده للمعركة، فاشتبك مع اللومبارديين واحتدمت المعركة بين الطرفين، وفي نهاية اليوم قام السلاجقة بالانسحاب، ولكن بعد أن كبدوا اللمبارديين العديد من الخسائر(٢).

وفي اليوم التالي -السبت- يبدو أن الجيش اللومباردي قد اعتقد أن السلاجقة لن يقوموا بأي هجوم عليه في هذا اليوم بعدما وقع من قتال في اليوم السابق، لذلك قاد القائد الألماني كونراد الفرسان الألمان وساروا يبحثون عن الطعام وقاموا بنهب قلعة سلجوقية مجاورة لمرسيفان، وفي أثناء عودتهم سلكوا طريقًا غير مباشر خوفًا من أن يهاجمهم السلاجقة، لكن السلاجقة الذين كانت أعينهم لا تغفل عن عدوهم لحظة واحدة، كانوا قد كمنوا لهم في هذا الطريق الوعر وقاموا بالهجوم عليهم، ولم يبد هؤلاء أية مقاومة؛ بسبب إجهادهم من قتال اليوم السابق، ووعورة الطريق وأحمالهم الثقيلة التي سلبوها من القلعة السلجوقية، فقتل السلاجقة منهم أكثر من ٧٠٠ شخص، ومن استطاع النجاة منهم ضل طريقه في الجبال(٣).

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 567.

أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٩.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 567؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 337؛ Cate,Crusade of 1101,p. 356؛ Oldenbourg, Crusades, p. 210؛ Oman, Art of War, I, p. 241.

(3)Albert d'Aix, Historia, pp. 567-568. Cate, Crusade of 1101, p. 356؛Grousset, Croisades, I, pp. 326-327.

=

لاشك أن اللومبارديين قد تأكدوا من أن السلاجقة وحلفاءهم مصممون على خوض معركة حاسمة ضدهم، وأدركوا أيضًا قوة هذا العدو وشدته، ومن ثم عملوا على الاستعداد للمعركة المقبلة معه، فنظموا أنفسهم في خمسة فرق وهي: اللومبارديون، والبرجنديون، والألمان، والفرنسيون، وريموند والفرقة البيزنطية، واتخذ اللومبارديون مكانهم في المقدمة استعدادًا للاشتباك الأول(١).

إلا أن السلاجقة لم يبدأوا أولًا بالاشتباك مع اللومبارديين في معركة بالسيوف والحراب، وهو أسلوب القتال المألوف في الغرب الأوربي، ومن خلاله يظهر الأوربيون فروسيتهم ومقدرتهم القتالية، لكن السلاجقة اتبعوا أسلوب قتالهم المعتاد فأمطروهم أولًا بوابل سهامهم، حيث كانت تأتي كل فرقة وتقذف العدو بسهامها وتنسحب بسرعة، فتأتي الثانية في أعقابها وتلقى سهامها وهكذا، حتى أنهكوا قوة الجيش وكبدوه خسائر كبيرة في الأرواح والخيول(٢).

وكانت هذه هي اللحظة المناسبة للالتحام مع اللومبارديين، فانقض السلاجقة على المقدمة التي تألفت من اللومبارديين الذين لم يحتملوا هذا الهجوم الشديد فولوا الأدبار وعلى رأسهم قائدهم ألبرت كونت بياندرات في فزع شديد مما عرض معظمهم للهلاك، وبالرغم من محاولة الفرقة الألمانية الصمود بقيادة كونراد الذي استمر في ساحة القتال حتى ظهر ذلك اليوم إلا أنه لم يسعه أمام الهجوم السلجوقي الشديد سوى الفرار بعد أن دحرت معظم قواته، وعندما رأى ستيفن كونت بلوا رفاقه ينسحبون عز عليه أن يهلك جيش المسيح فأبى الانسحاب هذه المرة وحاول جمع شمل الجيش ومقاومة السلاجقة، إلا أنه هزم وقتل عدد كبير من رجاله(٣).

=

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٣-٤٤.

(1)Cate, Crusade of 1101, p. 356.Albert d'Alix, Historia, p. 569؛

(2)Albert d'Alix, Historia, p. 569؛ Grousset, Croisades, I, p. 327؛ Oldenbourg,Crusades, p. 210.

(3)Albert d'Aix, Historia, p.569؛ Guibert of Nogent, Historia, p. 244؛Grousset, Croisades, I, p. 327؛ Brundage, Errant crusader, p. 392.

أنا كومنينا، الالكسياد، ص٦٢-٦٣.

أما ريموند كونت تولوز فبعد أن قُتل معظم رجاله وتخلى عنه التركوبول ونجا من الوقوع في أيدي السلاجقة بأعجوبة هرب مع عشرة رجال من رجاله إلى إحدى الصخور تاركًا الجيش يواجه مصيره المحتوم، إلا أن السلاجقة قاموا بمطاردته وكادوا أن يقتلوه لولا قدوم ستيفن كونت بلوا على رأس فرقة صليبية لإنقاذه، وعندما عاد إلى الجيش لم يقم بأي محاولة لإعادة تنظيمه ومقاومة السلاجقة، فلم يلبث أن فر تحت جنح الظلام(١).

ولكن لماذا هرب ريموند كونت تولوز ولم يحاول لم شمل الجيش وقتال السلاجقة؟، وكيف أقدم على هذه الخطوة الخطيرة؟!، هل كان هذا هو واجب القائد نحو جيشه؟!.

يبدو أن تعليل هذا الموقف المخزي من الأمير الصليبي يكمن في وضع الجيش اللومباردي بعد هزيمته أمام السلاجقة، فبعد أن عاد ريموند إلى الجيش واكتشف فداحة خسائره ومدى ضعفه، أدرك عدم جدوى المقاومة، فكيف يستطيع التصدي لهذا العدو القوي، وبمن يقاتل وقد هلك معظم الجيش ومن بقى منه كان في حالة يرثى لها، ولا يمتلك أي شيء حتى سلاحه فر وتركه، ففاجعة الجيش اللومباردي في آسيا الصغرى كانت فوق الاحتمال، ومن الصعب تداركها، ومن هنا لم يحاول ريموند القيام بأي محاولة لمقاومة السلاجقة.

على أي حال كان فرار الأمير الصليبي هذا نذيرًا بنهاية الحملة اللومباردية، فقد أصاب الفزع من بقى من الجيش نتيجة لهذا الهروب، وهربوا مثله تاركين وراءهم المعسكر بما فيه من أموال ونساء وأطفال لتقع غنيمة في أيدي السلاجقة، الذين انتهزوا هذه الفرصة وانقضوا على المعسكر واستولوا على ما فيه من ثروات وغنائم، وقتلوا كل وجدوه، أما النساء-صغيرات السن- والأطفال الذين أعجبتهم صورهم قاموا بأسرهم(٢).

---

(1)Albert d'Aix, Historia, pp. 569-570؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 337؛ Oldenbourg, Crusades, p. 210؛ Richard, Croisades, p. 85؛ Brundage, Errant Crusader, p. 392.

الحريري، الأعلام والتبيين، ص٦٧؛بسام العسلي، الأيام الحاسمة، ص٧١.

(2)Albert d'Aix, Historia, pp. 571-572؛ Matthieu d'Edesse, Chronique, p. 242.

=

لم يكتف السلاجقة بما أحدثوه من قتل وسلب وأسر، بل إن هذا الانتصار فتح شهيتهم لتحقيق انتصارات أخرى، فقاموا بمطاردة الفارين، فأبادوهم عن بكرة أبيهم، ولم ينج منهم سوى حفنة قليلة من الفرسان الذين استطاعوا الفرار على خيولهم السريعة، وعبَّر ألبرت دي إكس عن المذبحة التي وقعت في هؤلاء بقوله: «إنهم (السلاجقة) أخذوا يحصدونهم بالسيف كما تحصد الغلال اليانعة».

ومما ساعد السلاجقة على تحقيق ذلك الانتصار ما حل باللومبارديين من ضعف، وانهيار لروحهم المعنوية بسبب ما وقع لجيشهم من هزيمة وقتل، بالإضافة إلى جهلهم بطرق ومسالك آسيا الصغرى[1]، فمن حالفه الحظ وأفلت من اللومبارديين من سيوف السلاجقة، لم يلبث أن قضى عليه الجوع والعطش في هذه الصحراء، واستولى السلاجقة على أموالهم التي عوضتهم عن الخسائر التي تحملوها في الحملة الصليبية الأولى[2].

وتحدث ألبرت دي إكس عن ضخامة الثروات التي استولى عليها السلاجقة بعد قتل أصحابها أو أثناء هروبهم من ذهب وفضة وغيرها، بأنها كانت تغطي مسافة تزيد على ثلاثة أميال جرى عليها الصليبيون ومطاردوهم السلاجقة، وإنها أرهقت السلاجقة في حملها لكثرتها[3].

لاشك أن معركة مرسيفان كانت كارثة عظمى للجيش اللومباردي، ذلك الجيش الذي لم يكن فرقة غير منظمة من الحجاج، وإنما كان جيشًا ضخمًا تعرض للهلاك، وقدر البعض أنه قضى على **٥/٤** الجيش (أي نسبة ٨٠٪)[4]، وخسر اللومبارديون صفوة

=

أنا كومنينا، الالكسياد، ص**٦٣**.

Richard, Croisades, p. 85; Archer, Crusades, p. 105. Cate, Crusade of 1101, p. 357; Oldenbourg, Crusades, p. 211.

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 572; Cate, Crusade of 1101, p. 357.

إسحق أرمله، الحروب الصليبية في الآثار السريانية، (بيروت **١٩٢٩**)، ص**٣٥**.

(**٢**) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص**١٢٣**.

Guibert of Nogent, Historia, p. 244.

(3)Albert d'Aix, Historia, p. 573.

(4)Oldenbourg, Crusades, p. 2012; Wise, Wars, p. 19; Norwich, Byzantium, p. 44.

رجالهم وقادتهم مثل بلدوين أمير جراندبير، ودودو أمير كليرمونت، وولبرت صاحب لون، وأرنولف، وولتر صاحبا شاتيلون، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من القادة ووجهاء القوم، الأمر الذي دفع ألبرت دي إكس إلى القول بأنه: يعجز عن إحصاء هؤلاء الذين راحوا ضحية مرسيفان[1].

على هذا النحو تم القضاء على الجيش اللومباردي في آسيا الصغرى، ولم يعد ينتظر من ورائه أي فائدة بعد أن هلك رجاله، فقد استطاع ريموند بعد معاناة الوصول إلى القسطنطينية، أما القلة فقد وصلت إلى ميناء سينوب على بحر بنطس وسارت بمحاذاة الساحل حتى وصلت إلى القسطنطينية[2].

ولا ريب أنه كان لهذا الانتصار الساحق للسلاجقة، وهذه النهاية المخزية التي آلت إليها الحملة اللومباردية وقع كبير على السلاجقة جميعًا في آسيا الصغرى، فانشرحت صدورهم بما حققوه من نصر محا هزيمة ضورووليوم في الحملة الصليبية الأولى، وأعاد لهم الثقة في قدرتهم العسكرية، بل استهانوا بقوة الصليبيين وسرت فيهم روح قوية لقتال هذا العدو مما كان له أكبر الأثر في هزيمة الجيشين التاليين، وهما جيشا وليم الثاني كونت نافار، ووليم التاسع دوق أكويتين، اللذان قدما إلى آسيا الصغرى بعد ذلك مباشرة[3].

*** إبادة جيش كونت نافار في آسيا الصغرى:**

بينما كان السلاجقة تملؤهم هذه الفرحة الغامرة والثقة بالنفس إذا بجيش جديد جاء ليخترق أراضي آسيا الصغرى بقيادة وليم الثاني كونت نافار، الذي تطوع لخدمة القضية الصليبية ومساعدة صليبي الشرق، واثقًا في جيشه الذي تألف من **١٥** ألف من القادة والجنود المدربين، وفي قمة نشاطه وقوته، فلم يصادفه طيلة رحلته ما يعكر صفوه

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 569؛ (Cate, Crusade of 1101, p. 357).

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 573؛Chalandon, Alexis Ier Comnene, p.227؛ Belloc, The Crusade, The world's Debate, (London 1937), p. 178؛Oldenbourg, Crusades, p. 211.

(3)Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 339؛Oldenbourg, Crusades, p. 212؛Chalandon, Alexis Ier Comnene, p.228. Grousset, Croisades, I, p. 239.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج**٢**، ص**٤٧**.

أو يضعفه، ومتأكدًا من وصوله إلى الأراضي المقدسة سريعًا، ولم يكن يعرف ما وقع للجيش اللومباردي من هزيمة ساحقة، أو يدور بخلده ولو للحظة واحدة ما ينتظره من مصير، أو يتوقع تلك الضربة القاسية التي قضت على جيشه وأطاحت بأحلامه على أراضي آسيا الصغرى(١).

فبعد أن عبر وليم الثاني بجيشه البسفور اتجه إلى كيفتوت حيث قضى بها أيامًا قليلة، ثم تركها مسرعًا إلى أنقرة ليلتحق بالجيش اللومباردي، فوصلها أواخر شهر يوليو، لكنه أصيب هناك بخيبة أمل؛ لأنه لم يجد فيها من يدله على خط سير الجيش اللومباردي، فرحل عنها بعد يوم واحد، وسار جنوبًا ليتخذ طريق جودفري دي بوايون في الحملة الصليبية الأولى(٢).

منذ ذلك الحين أخذ جيش وليم الثاني يواجه الكثير من الصعاب التي سوف تنتهي بهزيمته وتحطيمه في آسيا الصغرى، وكان أولها ما تعرض له من جوع وعطش شديدين في هذه المنطقة، ويرى البعض أن سبب ذلك هو ما تعرضت له هذه المنطقة من تدمير وتخريب أثناء الحملة الصليبية الأولى، فلم يجد فيها الجيش أي وسيلة لإمداده بالمؤن، أو مصدرًا للحصول على الماء اللازم له(٣).

هذا بالإضافة إلى هجوم السلاجقة المستمر على مقدمة الجيش ومؤخرته،ويذكر ألبرت دي إكس: أن السلاجقة الذين قاموا بهذا الهجوم هم قوات الجيش السلجوقي المتحد الذي أحرز الانتصار منذ قليل في معركة مرسيفان(٤)، بينما يعتقد أحد الباحثين أن من قام بهذا الهجوم هم السلاجقة المحليين الذين يقطنون هذه المنطقة(٥).

---

(1)Oldenbourg, Crusades, p. 213؛ Richard, Croisades, p. 85؛ Grousset, Croisades, I, p. 329؛ Cate, Gay Crusader, p. 519.

(2)Albert d'Aix, Historia, pp. 575-576؛ Belloc, Crusade, p. 179؛ Rousset, Croisades, p. 169؛ Riley-Smith, Crusades, p.36.

ريلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة/ محمد فتحي الشاعر، (القاهرة ١٩٩٣)، ص١٤٣.

(٣) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٨.

(4)Albert d'Aix, Historia, p. 576.

(5)Cate, Crusade of 1101, p. 359.

ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصواب؛ ذلك لأن ألبرت نفسه يذكر بأنه في اليوم الثامن لمغادرة جيش كونت نافار أنقرة-وصل إليها في أواخر يوليو وغادرها بعد يوم واحد- علم السلاجقة بسيره وقاموا بمهاجمته[1]، إلا أن السلاجقة في ذلك الوقت كانوا في اللحظات الأخيرة من معركة مرسيفان، التي استغرقت الأيام الأولى من شهر أغسطس-بدأ الهجوم الأول يوم الجمعة واستمرت المعركة حتى يومي الثلاثاء والأربعاء حيث تمت في اليوم الأخير مطاردة الفرسان الذين هربوا على أثر هروب ريموند-، فلا يعقل أن يخوض الجيش السلجوقي معركتين في وقت واحد، وحتى إذا كان قد انتهى توًا من المعركة الأولى-مرسيفان- فإنه لم يكن باستطاعته الوصول من مرسيفان في الشمال إلى قونية في هذا الوقت القصير ليبدأ معركة جديدة.

على أي حال استطاع جيش وليم الثاني الصمود لهذا الهجوم بالرغم مما تكبده من خسائر، ووصل إلى قونية وقام بمهاجمة أسوارها، إلا أنه فشل في الاستيلاء عليها، فرحل عنها بعد حصار استمر ثلاثة أيام متجهًا صوب هرقلة، وكان سبب هذا الفشل هو المقاومة الباسلة لحامية المدينة التي لم تكتف فقط بالدفاع عن المدينة وإنما قامت بالهجوم على الجيش الصليبي المحاصر لها، هذا بالإضافة إلى قوة تحصينات قونية التي وقفت عقبة كبرى أمام جيش كونت نافار[2].

أثناء سير جيش وليم الثاني إلى هرقلة رأى الصليبيون الموت بأعينهم، حيث اشتدت معاناتهم من الجوع والعطش، الذي ضاعف من أثرهما حرارة شهر أغسطس الشديدة في هضبة آسيا الصغرى، مما أدى إلى موت أكثر من **٣٠٠** شخص، وأصاب الضعف باقي الجيش نتيجة الجوع والعطش[3].

لم يكن الجوع والعطش هما فقط عدوا الصليبيين في هذه المرحلة، وإنما جاء أيضًا هجوم السلاجقة ليزيد من آلامهم، فعلى امتداد مسيرتهم من قونية إلى هرقلة لم ينقطع

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 576.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 376؛ Cate,Crusade of 1101, p. 359؛Grousset, Croisade, I, p. 329؛ Riley-Smith, Crusades, p. 36؛ Richard, Croisades, p. 85,
علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص **٥١**.

(3)Albert d'Aix, Historia, pp. 576-577؛ Oman, Art of War, I, p. 242.

الهجوم السلجوقي عليهم ليل نهار، وأصبح أملهم الوحيد بعد كل هذه الصعاب هو الوصول إلى هرقلة عسى أن يستعيدوا قوتهم، إلا أن هذا الأمل قد تبدد بمجرد الوصول إلى هناك؛ ذلك لأن السلاجقة قد قاموا بتدمير كل مصادر المياه والإمدادات قبل رحيلهم من المدينة، حتى لا يجد الصليبيون فيها ما ينتفعون به إذا استولوا عليها، وعندما وجد الصليبيون المدينة على هذه الحالة من الدمار أصابهم الجنون وأخذوا يبحثون عن أي مصدر للماء ليرووا ظمأهم ولكن دون جدوى[1].

وكان أن أدرك السلاجقة هذه الحالة التي أصبح عليها الجيش الصليبي، فقاموا بالانقضاض عليه، وهم في ذروة نشوتهم بعد انتصارهم على الجيش اللومباردي، وعجز وليم الثاني عن مقاومة هذا الهجوم السلجوقي الشديد، ولقي هزيمة ساحقة راح ضحيتها معظم الجيش، ولم ينج من قواته سوى وليم الثاني مع عدد قليل من الفرسان تمكنوا من الهروب هائمين على وجوههم عبر جبال طوروس، حتى وصل من بقى منهم على قيد الحياة إلى قلعة بيزنطية تسمى جرمانيكوبوليس Germanicopolis -شمال غرب سلوقية-[2].

وعلى أثر ذلك اجتاح السلاجقة المعسكر الصليبي فقتلوا كل من وجدوه، وسبوا النساء والأطفال واستولوا على ما فيه من ثروات وغنائم[3]، أما وليم الثاني ورفاقه فقد استأجروا بعض الجنود المحليين لإرشادهم إلى أنطاكية، لكنهم قاموا بخيانتهم وسلبوهم أموالهم وخيولهم، وتركوهم في الصحراء، وعبر ألبرت دي إكس عن حالتهم بقوله: «إنهم كانوا حفاة عراة في صحراء قاحلة»، وقد ساروا في حالة شديدة من الإعياء

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 577؛ Oman, Art of War, I, 242؛ Cate, Crusadeof 1101, p. 359؛ Riley-Smith, Crusades, p. 36؛ Nowich, Byzantium p. 45.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 577؛ Cate, Crusade of 1101, p. 359؛ Riley-SmithCrusades, p. 36.

سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، (بيروت ١٩٨٤)، ص١٩٥.

علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص٥١-٥٢.

(3)Albert d'Aix, historia, pp. 577-578؛Cate, Crusade of 1101؛ p. 359.

والبؤس حتى وصلوا إلى أنطاكية في شهر سبتمبر[١].

هكذا قضى السلاجقة على الجيش الثاني من جيوش حملة سنة **١١٠١**م، وكان انتصارًا رائعًا، هلك فيه من الصليبيين جيش قوي منظم اعترف الجميع بحسن تدريبه وتنظيمه، أباده السلاجقة في لمح البصر، وقلوبهم يملؤها الحماس والبهجة بقضائهم على الجيش الذي سبقه، وحالف السلاجقة الحظ في تحقيق ذلك الانتصار؛ حيث جاء مرور الجيش في فصل الصيف وحرارته الشديدة التي لا يحتملها هؤلاء الغربيون، الأمر الذي سهل على السلاجقة الكثير من خططهم وأدى إلى إنهاك الجيش والقضاء عليه بعد ذلك[٢].

ومما يدل على الصعوبات التي واجهها وليم الثاني في رحلته عبر آسيا الصغرى هو رفضه المشاركة في الحملة الصليبية الثانية؛ وذلك حتى لا يخوض هذه التجربة القاسية مرة أخرى[٣].

*** نهاية جيش دوق أكويتين-أقطانيا- في آسيا الصغرى:**

لاشك أن الانتصارات التي أحرزها السلاجقة على الجيشين السابقين قد حددت مصير الجيش الثالث والأخير من الجيوش التي تألفت منها حملة سنة **١١٠١**م، بقيادة وليم التاسع دون أكويتين، وحكمت عليه بالفشل التام في آسيا الصغرى[٤].

فبعد عبور وليم الثاني مضيق البسفور في منتصف شهر يوليو، اتخذ طريق الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى، فهذا هو الطريق الحربي المألوف للوصول إلى الشرق عبر آسيا الصغرى[٥]، وقد اعتقد الدوق أنه باتخاذه هذا الطريق الذي يجتاز في معظمه أراضي استعادها البيزنطيون من السلاجقة بعد الحملة الصليبية الأولى قد كفل النجاح لحملته، فسوف يمر جيشه آمنًا، وسيجد ما يحتاج إليه من مؤن، ولن يعترض طريقه أي

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 578؛ (Grousset, Croisades, I, p. 330؛ Rousset,Croisades, p. 169).

(2)Cate, Gay Crusader, p. 516.

(3)Cate, Crusade of 1101, p. 365؛ Idem, Gay Crusader, p. 526.

(4)Cate, Gay Crusader, p. 516.

(5)Oldenbourg, Crusades, p. 214؛ Riley-Smith,Oman, Art of War, I, p. 242؛ Crusades, p. 36.

عائق، إلا أن الواقع كان على النقيض من ذلك، فالعبرة لم تكن في اختيار الطريق، فأي طريق سوف يأخذه الصليبيون في آسيا الصغرى سيقاتلهم فيه السلاجقة، وخير مثال على ذلك ما كان من أمر الجيش اللومباردي الذي انحرف بعيدًا عن طريق الحملة الصليبية الأولى، ومع ذلك تمكن السلاجقة من القضاء عليه.

فإذا كان صليبي الحملة الأولى قد استطاعوا المرور عبر آسيا الصغرى وهزيمة السلاجقة فإن ذلك لم يحدث إلا بعد أن تكبدوا الكثير من الخسائر، وكانت هزيمة السلاجقة إلى حد كبير، كما يقول جون فرانس: حظًا؛ حيث اخطأ قليج أرسلان الأول بعد انتصاره على حملة العامة في تقدير الحجم الكلي للقوة الصليبية، ومن ثم استخف بمقاومتهم، وترك عاصمته واتجه إلى ملطية للاستيلاء عليها، ولم يستعد الاستعداد المناسب لمثل هذه القوة، ومن ثم كانت هزيمته وكان انتصارهم[1].

على أي حال بعد عبور جيش وليم التاسع البسفور وصل إلى نيقوميديا ومنها إلى نيقية، التي رحل عنها بعد يومين إلى ضوروليوم، فقام بنهبها وتدميرها ثم تركها متجهًا إلى قونية[2].

وقد تعرض جيش وليم التاسع في هذه المرحلة-بعد ضوروليوم- للعديد من الصعوبات: فطول سيره في هذه المنطقة لم يتوقف هجوم السلاجقة عليه، الذين مارسوا أسلوبهاالمألوف في القتال من قذف العدو بالسهام ومهاجمته دون الاشتباك معه في معركة حاسمة، فكانوا يهاجمون مؤخرة الجيش ثم ينسحبون بسرعة بعد قتل عدد كبير من رجالها، أو يقومون بإشعال النار في الأشجار على طول طريقه ليعرقلوا مسيرته بالحرائق والدخان طول النهار، وفي الليل يقومون بالهجوم عليه مما أوقع به العديد من الخسائر، هذا بالإضافة إلى الحر الشديد الذي كان دائمًا الكابوس المزعج الذي أرق صليبي هذه الحملة طيلة عبورهم آسيا الصغرى[3].

لم يكن الهجوم السلجوقي وارتفاع درجة الحرارة هما كل ما عاناه جيش وليم

(1)France, Victory, p. 175.

(2) Albert d'Aix, Historia,p.580. Grousset, Croisades, I, p. 330.

(3)Ekkehard of Aura, Hierosolymita, p. 31. Oldenbourg, Crusades, p. 214؛. Finlay, Hist. Greece, 3, p. 115.

التاسع في هذه الرحلة المشئومة، وإنما جاء الجوع والعطش ليزيدا من هذه المعاناة، فبالرغم من أن وليم التاسع قد حاول تجنب هذه الصعوبة فزود جيشه بوفرة، ثم مكث في القسطنطينية خمسة أسابيع يشتري ويدخر المواد الغذائية، إلا أن هذا لم يجدِ؛ حيث نفذت مؤن الجيش أثناء سيره إلى قونية، وإذا طمع الصليبيون بعد ذلك في شراء المؤن على طول الطريق، فإن ذلك كان وهمًا كبيرًا؛ حيث قام السلاجقة بحرق وتدمير المحاصيل والحقول أمام الصليبيين، هذا بالإضافة إلى أن مرور جيش وليم الثاني كونت نافار في هذا الطريق منذ أيام قليلة قضى على ما تبقى من المؤن القليلة التي كان يمكن لهذا الجيش الحصول عليها[1]، فضلاً عن معاناته من العطش الشديد، خاصة بعد أن طمر السلاجقة الآبار، ودمروا مستودعات المياه أمامهم، فلم يجد الصليبيون في هذه الصحراء الماء ليروي عطشهم، «وجابوا صحراء آسيا الصغرى دون ماء، فلا يوجد على مرمى البصر سوى صحراء قاحلة، وصخور صماء، وما عثروا عليه من ماء كان مسمومًا أو مالحًا»[2].

حقًا لقد كانت المعاناة شديدة على الجيش الأكويتيني في هذه المرحلة عبر آسيا الصغرى، وفي هذا الصدد يذكر إيكهارد:«إنني لو أردت أن أحصي تلك المآسي والصعاب التي اعترضت الجيش لما استطعت ولخانني القلم في التعبير عنها»[3]، وإذا أمل الصليبيون أن يجدوا في قونية ما يعوضهم عما لاقوه من معاناة وما يساعدهم على تجديد نشاطهم، فإن ذلك لم يحدث؛ وذلك لأن سكان المدينة عند رحيلهم قد حملوا معهم كل ما فيها من مؤن ومواد غذائية، وجردوا البساتين والأشجار من الثمار، وبهذا لم يجد الصليبيون في قونية ما ينتفعون به، وخاب ظنهم وزادت مأساتهم[4].

---

(1)Albert d'Aix, Historia, pp.580-581؛Cate, Gay Crusader, p. 518؛ Oman, Art of War, I, 242؛ Oldenbourg, Crusades, p. 214.

(2)Albert d'Aix, Historia, p. 582؛ Matthieu d'Edesse, Chronique, p.243؛ Cate, Gay Crusader, p. 518؛ Idem, Crusade of 1101, p.361؛ Grousset, Croisades, I, p. 331.

(3)Ekkehard of Aura, Hierosolymita, p. 31.

(4)Albert d'Aix, Historia, p. 580؛ Grousset, Croisades, I, p. 331.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج١، ص٥١.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في الوقت الذي دخل فيه جيش وليم التاسع مدينة قونية كان السلاجقة يجرون مذبحتهم في جيش كونت نافار، ويرى أحد الباحثين أن جيش وليم التاسع قد عرف بأمر هذه المذبحة، مما زاد من آلامهم[١].

لكن يبدو أن الصليبيين لم يعرفوا ما وقع لكونت نافار من هزيمة، بدليل أنهم قاموا بمواصلة رحلتهم على نفس الطريق، فلو علموا بذلك لما ساروا على نفس الدرب وهم يدركون تمام الإدراك أن العدو الذي يرقص فرحًا بعد تحقيق هذا الانتصار سوف يقضي عليهم لا محالة.

على أي حال فإن المسافة بين قونية وهرقلة (**٥٠** ميل) كانت كافية للقضاء على الجيش الأكويتيني؛ إذ أن سياسة السلاجقة القائمة على تدمير كل مصادر الإمدادات أمام الصليبيين قد ظهرت نتائجها وأتت أكلها بصورة كبيرة، فكان الصليبيون في ذلك الوقت يموتون جوعًا وعطشًا، وأصابهم الوهن الشديد، ولم يكتف السلاجقة بذلك بل أخذوا يشنون هجماتهم على هؤلاء البؤساء، ويقتلون كل من ضل الطريق عن الجيش، أو خرج بحثًا عن الغذاء[٢].

وبذلك عندما وصل جيش وليم التاسع مدينة هرقلة في **٥** سبتمبر كان في حالة يرثى لها، وهو ما كان يدركه السلاجقة، ورغبة منهم في العمل على زيادة تدهور حالة الصليبيين، قاموا بإخلاء المدينة من كل شيء يمكن أن يستفيد منه هؤلاء، وفي نفس الوقت كمن جيش قليج أرسلان الأول وحلفاؤه للجيش الأكويتيني داخل الأشجار الموجودة على ضفتي نهر يوجد خلف مدينة هرقلة، وبمجرد رؤية قوات وليم التاسع للنهر اندفعوا بسرعة نحوه، وبدون اتخاذ أية احتياطات ليرووا عطشهم بعد هذه المرحلة التي صادفوا فيها كل صنوف العذاب، ولم يكن يعرفوا أن الهلاك ينتظرهم على ضفتيه، حيث انقض السلاجقة عليهم فأخذتهم المفاجأة في الوقت الذي أضعفهم فيه الجوع والعطش، وعجزوا عن المقاومة، فارتدوا على أعقابهم بلا نظام بعد أن أصابهم

---

(1)Oman, Art of War, I, p. 242.

(2)Oman, Art of War, I, p. 242؛ Grousset, Croisades, I, p. 331؛ Richard, Croisades, p. 86.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج**١**، ص**٥١-٥٢**.

الفزع محاولين الهرب من أي منفذ، إلا أن السلاجقة لم يتركوا هذه الفرصة لهم، فقاموا بتطويقهم ومزقوهم شر ممزق[١].

وقد حاول البعض ممن استطاع الهروب من هذه المذبحة، الاختباء خلف الأشجار، إلا أن هذا كان ضربًا من المستحيل بعد أن امتلك السلاجقة ناصية الأمور وأصبح كل شيء في هذه المنطقة واضحًا أمامهم، فقاموا بقتلهم جميعًا، في حين حاول البعض الآخر الهروب عن طريق تتبع مجرى النهر، أو الاختفاء في الجبال، ولكن معظم هؤلاء كان مصيره القتل أو الوقوع في أسر السلاجقة[٢].

هكذا تم القضاء على معظم جيش وليم التاسع، الذي قدره متى الرهاوي، وأوردريك فيتاليس بـ**٣٠٠** ألف، في حين ذكر ألبرت دي إكس أن عدده يبلغ **١٦٠** ألف في هذه المعركة، ولم ينج منه سوى كبار القادة الذين أنقذتهم خيولهم السريعة من الوقوع في قبضة السلاجقة[٣]، وفر وليم التاسع مع حارسه وظل هائمًا على وجهه في الجبال، حزينًا على تحطيم جيشه، حتى وصل إلى مواني مدينة طرسوس-ميناء لونجينذا Longinath-، وعندما سمع تانكرد أمير أنطاكية بنكبته أشفق عليه، وأرسل إليه يطلب منه المجيء إليه، واستقبله بترحاب، ولم يتمكن ولف الرابع دوق بارفاريا من الهروب إلا بعدما ألقى ما عليه وما معه من أسلحة وسار في هذه الجبال حتى وصل إلى أنطاكية، أما هيو اف فيرماندوا-الذي جاء إلى الشرق ليكفر عن فراره أثناء الحملة الصليبية الأولى- فقد أصابه سهم من سهام السلاجقة ومات في طرسوس متأثرًا بجراحه[٤]، أما المشاة البائسون فقد كانوا الضحية دائمًا في هذه الجيوش، فلم ينج منهم

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 581؛ Matthieu d'Edesse, Chronique, pp.243-244؛ Oman, Art of War, I, pp. 242-243؛ Cate, Gay Crusader, p. 518؛ Belloc, Crusade, p. 179.

(2)Cate, Crusade of 1101, p. 361 .Albert d'Aix, Historia, p. 581؛

(3)Matthieu d'Edesse, Chronique, 224؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 341؛ Albert d'Aix, Historia, p. 579.

(4)Albert d'Aix, Historia, pp. 581-582؛ Orderic Vitalis, Historia, 5, p. 341؛Cate, Gay Crusader, p. 518؛ Idem, Crusade of 1101, p. 362؛ Grousset,Croisades, I, pp. 331-332.

سوى شخص واحد يدعى أيفرجين Auvergne، أما النساء فقد قتلن أو وقعن في أسر السلاجقة، ومنهن كوربا زوجة جودفري أف بيرل Geodfry of Burel، ولكن أيدا Ida دوقة النمسا فيقول ألبرت دي إكس: بأنه لا يعرف ما إذا كانت قد ماتت أو وقعت في أسر السلاجقة، ويرى البعض أنها وقعت بمحفتها أثناء الاضطراب في المعركة وماتت تحت الأقدام(١).

بهذه الهزيمة الأخيرة انتهت الفائدة المرجوة من حملة سنة ١١٠١م، التي جاءت لتقديم العون والمساعدة لصليبيي الشرق، وتعويض النقص الشديد في القوة البشرية، فلم ينج من هذه الجيوش سوى عدد قليل لا يسمن ولا يغني من جوع، ويعجز عن القيام بأي عمل ذي فائدة في الشرق، وتحولت هذه الحملة من حملة عسكرية عقدت عليها الآمال الكبيرة إلى رحلة حج لزيارة الأماكن المقدسة(٢).

من استطاع النجاة من جيش وليم الثاني كونت نافار، ووليم التاسع دوق أكويتين ذهب إلى أنطاكية وانضمت إليهم فلول الحملة اللومباردية التي جاءت من القسطنطينية إلى هناك، وفي نهاية سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م) اجتمع في أنطاكية فرقة صليبية تألفت من ألبرت كونت بياندرات، وكونراد قائد الإمبراطور هنري الألماني، وستيفن كونت بلوا، وستيفن كونت برجنديا، ووليم الثاني كونت نافار، ووليم التاسع دوق اكويتين، وولف الرابع دوق بافاريا، وريموند كونت تولوز، بعد أن فقدوا جيوشهم وضاعت هيبتهم في آسيا الصغرى على يد السلاجقة(٣).

وبعد أن صاحبت هذه الفرقة ريموند كونت تولوز عند استيلائه على أنطرسوس ذهبت إلى بيت المقدس، وبعد أن أدوا حجهم عاد معظمهم إلى بلاده، ومن عجز عن الرحيل بسبب هبوب رياح شديدة شارك بلدوين ملك بيت المقدس في معركة الرملة

---

(1)Albert d'Aix, Historia, p. 581؛ Cate, Crusade of 1101, p. 362؛ Grousset,Croisades, I, p. 331؛ Oman, Art of War, I, p. 243.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٥٢-٥٣.

(2)Cate Crusade of 1101, p. 362.

(3)Cate Crusade of 1101, p. 363؛ Idem, Gay Crusader, p. 519؛Grousset, Croisades, I, p. 333؛ Oman, Art of War, I, p. 243؛ Brundage, Errant Crusader, p. 392.

الثانية والتي انتهت بدحر الجيش الصليبي وقتل فيها ستيفن كونت برجنديا وستيفن كونت بلوا(١).

على هذا النحو كان مصير جيوش حملة سنة ١١٠١م في آسيا الصغرى، ذلك المصير الذي كان من الصعب توقعه لهذه الجيوش الضخمة التي ذكر البعض بأنها مساوية في أعدادها للحملة الصليبية الأولى، في حين اعتبرها البعض الآخر تفوق الحملة الصليبية الأولى في أعدادها(٢).

على أي حال فإن إبادة هذه الجيوش في آسيا الصغرى تؤكد مدى خطورة الطريق البري عبر هذا الإقليم ودوره في فشل هذه الحملة الصليبية، فبالرغم مما ذكره البعض من أن سبب فشل هذه الحملة هو عقاب من الرب للمشاركين فيها، بسبب ما ارتكبوه من آثام وشرور وفوضى(٣)، وما ذكره البعض الآخر عن خيانة وتآمر الكسيوس ضد هذه الحملة في آسيا الصغرى(٤)، إلا أنه يمكن القول بأن السلاجقة في آسيا الصغرى كان لهم الدور الحاسم في القضاء على هذه الجيوش، فإذا كان الانقسام بينهم قد يسر إلى

---

(1)Cate, Crusader of 1101, pp. 363-365؛ Idem, Gay Crusader, p. 51؛ Louis and Riely Smith, The Crusades, Idea and Reality 1095-1274, (London 1981), p. 15.

- لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث:

Anonymus, Secunda Pars Historiae Ihierosolimitanae, R.H.C. H-Occ, 3, (Paris 1866), p. 562؛ Gotfridi Anonymus Rhenani, Historia et Gesta Ducis Gotfrid, R.H.C. H-Occ., 5, (Paris 1895), p. 509.

ممدوح محمد مغازي هلول، الرملة ودورها السياسي في الصراع الإسلامي (١٠٩٩-١٢٢٥م، ٤٩٢-٦٤٨هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الزقازيق، ١٩٩٦م، ص٧٨-٨٧.

- يرى برندج Brundage أن ستيفن كونت بلوا تم أسره في هذه المعركة على يد الفاطميين وتم إعدامه بعد ذلك من المحتمل في عسقلان في ١٩ مايو.

Brundage, Errant Crusader, p. 394.

(2)Riely-Smith, Crusades, p. 35؛ Belloc, Crusade, p. 177؛ Bell, Mediaval Europe, p. 47؛ Oldenbourg, Crusades, p. 206.

رأفت عبد الحميد، خيانة القضية الصليبية، ص٨٥.

(3)Matthieu D'Edesse, Chronique, p. 242؛ Richard, Croisades, p. 86؛ Louis and Riley-Smith, Crusades, p. 15؛ Cate, Gay Crusader, p. 520.

(٤) انظر ما سبق، الفصل الثاني.

حد ما عبور صليبي الحملة الأولى في آسيا الصغرى، فإن الوضع عند قدوم هذه الحملة كان قد اختلف تمامًا، فقد اتحد السلاجقة وأصبحوا يدًا واحدة تملأ قلوبهم رغبة قوية في الانتقام من هذا العدو والقضاء عليه، واستعانوا بقوات إسلامية أخرى واستعدوا تمام الاستعداد لمواجهته، وكانت هذه الوحدة أمرًا مفاجئًا للصليبيين لم يتوقعوه أو يعملوا له حساب[١].

وساعدهم في تحقيق هذا الانتصار أن هذه الجيوش الصليبية سارت منفصلة عن بعضها البعض، فكان السلاجقة يتجهون إلى كل جيش وبعد إبادته يتجهون للآخر ويؤدون معه نفس الدور وهكذا، حتى قضوا على هذه الجيوش جميعًا[٢]، يضاف إلى ذلك أن الصليبيين لم يوفروا المؤن والإمدادات التي تكفي لسيرهم الطويل، وإنما اعتمدوا على ما يحصلون عليه عبر طريقهم، فاستغل السلاجقة هذه الفرصة، وقاموا بتدمير كل شيء يمكن أن ينتفع به هؤلاء في طريقهم[٣].

ومما زاد الطين بلة أن هذه الجموع البائسة لم تكن تعرف أي شيء عن طرق آسيا الصغرى ومسالكها، كما أن المرشدين الذين اعتمدوا عليهم لم تعد معارفهم عن طرق آسيا الصغرى ذات جدوى؛ بسبب ما طرأ عليهم من تغيرات، في الوقت الذي استغل فيه السلاجقة معرفتهم بهذه الطرق، وما وفرته لهم ظروف المنطقة الطبيعية في نصب معارك المراوغة وعمل الكمائن وغير ذلك من أساليبهم القتالية التي لم يكن لدى الصليبيين أية فكرة عن مقاومتها، الأمر الذي ساعد السلاجقة في القضاء عليهم[٤].

مما سبق يتضح الدور الذي لعبه إقليم آسيا الصغرى في فشل حملة سنة **١١٠١**م في الوصول إلى الشرق، ذلك الفشل الذي عبَّر رنسيمان عن نتائجه بقوله: «... وأثرت كوارثها في سيرة الحركة الصليبية بأسرها، إذ أخذ الترك بالثأر لما حل بهم من هزيمة في

(1)Cate, Gay Crusader, p. 521.

عبد الغني رمضان، السلاجقة والصليبيون، ص**٥٥**.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٢**، ص**٢١٥**.

Cate, Crusade of 1101, p. 367؛ Idem, Gay Crusader, p. 522.

(3)Cate, Gay Crusader, p. 522.

(4)Cate, Gay Crusader, p. 522؛ Oman, Art of War,242.

ضوروليوم، ولن يجري بحال من الأحوال طردهم من بلاد الأناضول (آسيا الصغرى)، وظل الطريق الذي يجتاز شبه الجزيرة غير مأمون للجيوش المسيحية الصليبية والبيزنطية سواء... على حين أن المهاجرين الفرنج القادمين من الغرب كانوا يخشون اتخاذ الطريق البري الذي يجتاز القسطنطينية... ولم يعد في وسعهم القدوم إلا بحرًا"(١).

فلقد قضت هذه الانتصارات الرائعة على الأثر الرنان الذي تركه انتصار ضوروليوم سنة **١٠٩٧**م، واستعاد السلاجقة هيبتهم وسمعتهم الحربية، فإذا كان الغرب قد استهان ولو للحظة واحدة بهذه القوة فإن هذه الإنتصارات قد أثبتت مهارة هذا العدو وأنه من الصعب هزيمته، وأن انتصارات الحملة الأولى تمت بالمصادفة ونتيجة لعنصر المفاجأة(٢).

كما أن إبادة هذه الحملة أدى إلى القضاء على خطر كبير كان يمكن أن يهدد الوجود الإسلامي في بلاد الشام، فلو حدث ونجحت هذه الحملة في هزيمة السلاجقة، وتم طردهم من آسيا الصغرى، لأضحى الطريق سهلاً للوصول إلى الشرق، مما سيؤدي إلى تدفق المزيد من الجيوش الصليبية وإذا لم تجد هذه الجيوش ما يعترض طريقها ووصلت بكامل أعدادها وعدتها إلى بلاد الشام، لقدمت لهؤلاء الزعماء الصليبيين ما كانوا يحتاجون إليه من قوات للتوسع وللاستيطان على حساب المسلمين، بل وربما استطاعوا احتلال كل بلاد الشام(٣).

بل ويذهب أحد الباحثين إلى أبعد من ذلك حيث يرى أنه لو نجحت هذه الحملات في الوصول إلى الشرق لقدمت لبلدوين ملك بيت المقدس ما يحتاجه من قوات للاستيلاء على مصر، بل وتهديد الأماكن المقدسة في الحجاز، ولكن أدت هزيمتها في آسيا الصغرى إلى حرمان الإمارات الصليبية في الشرق من قوة بشرية كانت

---

(١) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج**٢**، ص**٥٢-٥٣**.

(2)Oldenbourg, Crusades, p. 215.

عبد الغني عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص**٣٢٢**.

(3)Grousset, Croisades, I, p. 332؛ Rousset, Croisades, p. 170.

علي الغامدي المجاهد المسلم، ص**٦٧-٦٩**.

في أمس الحاجة إليها[١].

يضاف إلى ذلك أن هذه الانتصارات المتتالية على ثلاثة جيوش ضخمة على رأسها العديد من القادة والشخصيات البارزة في المجتمع الغربي، أدت إلى الاستهانة بقوة الصليبيين الحربية التي لم تثبت أمام سيوف وسهام السلاجقة، مما كان له أثر كبير في رفع روح المسلمين المعنوية ليس فقط في آسيا الصغرى، وإنما أيضًا في إقليم الجزيرة، وإيقاظ روح الجهاد ضد الصليبيين[٢].

وكان من أهم النتائج التي ترتبت على فشل هذه الحملات غلق الطريق البري من أوربا إلى بلاد الشام عبر آسيا الصغرى، فلم يعد بوسع الغرب الأوربي الاتصال بالشرق الإسلامي إلا عن طريق البحر، بعد أن أصبحت آسيا الصغرى شبحًا مخيفًا وشركًا يؤدي إلى هلاك كل من يحاول الاقتراب منه[٣]، فبعد أن اعتقد الغرب الأوربي بعد الحملة الصليبية الأولى وما تلاها من فتوحات الكسيوس في آسيا الصغرى أنه من السهولة بمكان عبور أراضي السلاجقة، فإن هذه الانتصارات السلجوقية محت هذا الاعتقاد، وأكدت أن وسط آسيا الصغرى كان تحت قبضة السلاجقة ويشكلون خطورة كبيرة على باقي أجزائها[٤].

******

---

(١) علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص٦٩.

(Grousset, Croisades, I, p. 332).

(٢) بسام العسلي، الأيام الحاسمة، ص٧١؛ عبد الغني رمضان، السلاجقة والصليبيون، ص٥٥؛علي الغامدي، المجاهد المسلم، ص٧١-٧٢.

(٣) حسن عبد الوهاب، أثر العوامل الجغرافية. ص٢٩٣-٢٩٤؛ السيد الباز، الحروب الصليبية، ج١، ص٣٠٢.

(4)Foss, Defenses of Asia Minor, p. 149.

الفصل الرابع

فشل الحملة الصليبية الثانية

وحملة فردريك بربروسا في آسيا الصغرى

- القضاء على جيش كونراد الثالث في آسيا الصغرى.
- هزيمة جيش لويس السابع في آسيا الصغرى.
- نهاية جيش فردريك بربروسا في آسيا الصغرى.

القضاء على جيش كونراد الثالث في آسيا الصغرى:

يبدو أن صليبي الحملة الصليبية الثانية قد نسوا ما وقع لحملة سنة **١١٠١**م من دمار في آسيا الصغرى، نتيجة لهجوم السلاجقة عليها من ناحية، والظروف الجغرافية القاسية لإقليم آسيا الصغرى من ناحية أخرى، واتضح ذلك عندما قام كونراد الثالث ولويس السابع -بعد أقل من نصف قرن- بحملة صليبية، وجاءا ليعبرا بجيشيهما آسيا الصغرى، ويعيدا الكرة مرة أخرى[١].

ذلك أن كونراد الثالث بعد أن عبر البسفور إلى آسيا الصغرى وصل إلى نيقية في النصف الأول من شهر أكتوبر سنة **١١٤٧**م، ومن هذه المدينة[٢] يتفرع ثلاثة طرق تؤدي إلى أنطاكية: الطريق الأول يقع إلى اليسار وهو أقصر الطرق، وإذا لم يعترض فيه سير الصليبيين العوائق يمكن عبوره في ثلاثة أسابيع، لكن يعوق السير فيه الثلوج التي تغطي المرتفعات أثناء الشتاء، وهذا الطريق يمر بضوروليوم وقونية وهرقلة وأبواب قيليقية.

أما الطريق الثاني فيقع إلى اليمين، وهو أوفر في الإمدادات وأكثر أمانًا من الطريق السابق، إلا أن عبوره يستغرق وقتًا أطول، ويعترض السير فيه الخلجان الطويلة والأنهار العديدة، ويمر هذا الطريق بعدة مراكز أهمها برجاموس وأفسوس وليكونيا وسلوقية.

ويقع الطريق الثالث والأخير في الوسط، وهو أقل مزايا من الطريقين السابقين، ولكن أقل في العوائق، فهو أكثر طولًا وأفضل أمنًا من الطريق الأول، وأقصر مسافة وأفقر في المؤن من الطريق الثاني، ويمر بعدة مراكز أهمها برجاموس وفيلادلفيا ولأودكيا وأضاليا ومنها إلى أبواب قيليقية[٣].

وقد اختار كونراد الثالث الطريق الأيسر وهو أقصر الطرق وأخطرها في نفس الوقت، ويخترق أراضي السلاجقة -كان هذا هو الطريق الذي سلكه صليبيو الحملة

---

(١) حسن عبد الوهاب، أثر العوامل الجغرافية، ص**٣٠٢**.

(٢) يذكر أودو أن هذه الطرق الثلاثة تبدأ من مدينة نيقوميديا، ولكن الصحيح أنها تبدأ من مدينة نيقية.

Odo of Deuil, De Profectione, p. 89, Note 3.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 89؛ Oman, Art of War, I, p. 244؛

الأولى- بعد أن رفض نصيحة مانويل بتجنب هذا الطريق واتخاذ الطريق الساحلي عبر آسيا الصغرى بدلًا منه، ولو أخذ الملك الألماني بهذه النصيحة، وسلك الطريق الساحلي لتمكن إلى حد كبير الابتعاد عن الهجوم السلجوقي على جيشه، والاستفادة من المدن والقلاع والحصون البيزنطية الواقعة على امتداد الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وكذلك الاستفادة من معونة الأسطول البيزنطي في أغراض الحماية والتموين والنقل عند الحاجة، وبذلك يصل إلى بلاد الشام في سهولة ويسر[١].

ويرى البعض أن ارتياب كونراد الثالث في نوايا مانويل جعلته لا يعبأ بنصائحه، ويتخذ هذا الطريق، مما أدى إلى هلاك جيشه، في حين يرى البعض الآخر أن سبب رفض الملك الألماني اتخاذ الطريق الساحلي وتفضيله السير في هذه المنطقة الصحراوية يرجع إلى رغبته في إجبار جيشه على الإسراع هروبًا من مصاعب تلك الصحاري القاحلة[٢]، ولكن هذا الرأي غير منطقي، فكيف يمكن لقائد جيش أن يجازف ويسير في منطقة مجهولة بالنسبة له، وقد حذر من السير فيها لوعورتها، الأمر الذي يعرض جيشه لمصاعب ربما ليذهب ضحيتها، لا لشيء إلا لكي يسرع في السير.

لكن ما هو السبب وراء اتخاذ كونراد الثالث هذا الطريق؟، ألم يكن يعرف ما عاناه صليبيي الحملة الأولى باتخاذهم إياه، ثم ما حدث لبعض فرق حملة سنة **١١٠١**م من إبادة عندما سارت فيه؟، أم أنه كان يعرف طرق ومسالك آسيا الصغرى واعتقد أنه يمكن عبورها بسهولة ودون خوف؟، أم أنه اتخذ من الإجراءات والترتيبات ما يحول دون وقوع كارثة حملة سنة **١١٠١**م؟.

إن الواقع كان على النقيض من ذلك تمامًا، فمما لا شك فيه أن أخبار مأساة حملة سنة **١١٠١**م في آسيا الصغرى قد وصلت إلى الغرب الأوربي، كما أن كونراد الثالث لم يكن يعرف أيضًا أي شيء عن جغرافية آسيا الصغرى، بدليل أنه طلب من مانويل

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 89؛ Oman, Art of War, I, p. 244؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 282.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٨٨؛ سالم محمد الحميده، الحروب الصليبية، عهد الوحدة، ج**٣**، (بغداد **١٩٩٣**)، ص**٢٨**.

(2)Annals Herbipolenses, p. 5؛ Annales Palidenses, p. 83.

المرشدين لمساعدته وتوجيهه في طرقها حيث قال له: «أما أنت فما عليك إلا أن تدلنا على الطرق المؤدية إلى قونية، وتقدم لنا أحد رجالك يرشدنا، ويقودنا إلى أراضي لا نعرفها»[١].

يضاف إلى ذلك أنه لم يتخذ أي إجراءات ليتجنب صعوبات السير في آسيا الصغرى، فلم يغتنم الفرصة التي قدمها له مانويل عندما عرض عليه التحالف الذي كان يتضمن ترك بعض فرق من الجيش الألماني في القسطنطينية، مقابل الحصول على بعض القوات العسكرية البيزنطية لتصاحبه أثناء عبوره آسيا الصغرى، تلك القوات التي كانت لديها خبرة طويلة بطرق هذا الإقليم وبأساليب مقاتلة السلاجقة[٢].

وقد ذكر كونراد الثالث السبب الذي جعله يصر على اتخاذ ذلك الطريق في خطابه إلى ويالبد وهو رغبته في أن يصل إلى بلاد الشام وينجز حملته في أسرع وقت ممكن[٣]،ورد على نصيحة مانويل بعدم السير في هذا الطريق بقوله: «إنه مهما كان الطريق الذي نسلكه وعرًا، إلا أننا من أجل الذي بوسعه كل شيء، وفي سبيله تركنا كل شيء، وواجهنا باختيارنا هذه المشقات برًا وبحرًا وسط شتى المخاطر، سنمضي قدمًا مهما كلفنا الأمر، وسنحارب أمم البرابرة مستنجدين بالرب...»[٤].

ولكن باختيار الملك الألماني هذا قد خطط لتدمير قواته وفشل حملته، وأعطى الفرصة المناسبة للسلاجقة للهجوم على جيشه مستفيدين من جهل الألمان بمسالك آسيا الصغرى، ومستغلين فرصة تشردهم في هذه الأراضي المقفرة، فاندفعوا نحوهم، وقاموا بالهجوم عليهم، وهم في حالة شديدة من التعب والإرهاق[٥].

ويبدو أن كونراد الثالث أثناء وجوده في نيقية أخذ يفكر بصورة أكثر جدية في

---

(1)Annales Herbipolenses, p. 5.

(2)Kinnamos, Deeds, p. 68؛ Grousset, Croisades, 2, p. 233؛ Brrey, Second Crusade, p. 486.

(٣) انظر الملحق الأول.

(4)Annals Herbipolenses, p. 5.

(5)Roger of Wendover, Flowers of History, English Trans. Giles, J.A.I, (London 1894), p. 500.

سعيد عمران، الحروب الصليبية، ص٧٨-٧٩.

نصائح مانويل، خاصة فيما يتعلق بخطورة هذا الحشد من المدنيين في الجيش الألماني وما يسببه له من صعوبات في الحصول على المؤن اللازمة، لذلك قام بتقسيم جيشه إلى قسمين: القسم الأول تألف من الغير محاربين ويضم رجال الدين والشيوخ والنساء والأطفال مع بعض القوات العسكرية القليلة، وبلغ تعداد هذا القسم حوالي **١/٥** الجيش الصليبي (**١٤** ألفًا)، وتولى قيادته أوتو الفريزي وبرنارد كونت كارانثيه Bernard Count of Carinthie، واتخذ الطريق الساحلي عبر آسيا الصغرى الذي سبق ونصح به مانويل كونراد الثالث، أما القسم الثاني فقد تألف من القوات المحاربة في الجيش الألماني، وكان على رأسه كونراد الثالث، واتخذ طريق الحملة الصليبية الأولى[١].

بعد أن قضى الجيش الألماني ثلاثة أيام في نيقية غادرها في **١٥** أكتوبر، واتجه القسم الرئيسي من الجيش بقيادة كونراد الثالث إلى قونية لتبدأ رحلة عذاب الجيش الألماني في آسيا الصغرى التي سوف تنتهي بهلاك معظمه على أيدي السلاجقة.

ذلك أنه بعد أن ترك الجيش المدينة بفترة قصيرة دخل منطقة صحراوية قاحلة، وكانت أول الصعوبات التي واجهته في هذه المنطقة النقص الشديد في الغذاء؛ لأن ما أخذه كونراد الثالث معه من مؤن من نيقية قد أمدت الجيش باحتياجاته لمدة ثمانية أيام فقط، علمًا بأنه كان على الجيش الألماني أن يقطع مسافة **٢٠٠** ميل في فترة زمنية قدرها **٢٠** يومًا حتى يصل إلى قونية، لذا لم تكن هذه المؤن كافية لإمداده بما يحتاج إليه من إمدادات أثناء سيره، خاصة مع معرفة أنه كان يسير ببطء بسبب وعورة الطريق، ومن ثم أخذت المؤن في التناقص يومًا بعد يوم، وبدأت معاناته[٢].

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام وهو: لماذا لم يأخذ كونراد الثالث معه من القسطنطينية مؤنًا وفيرة تكفيه لهذه الرحلة الطويلة، خاصة وأن مانويل أخبره بمخاطر

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 89؛ Grousset, Croisades, 2, p. 334؛Chalandon, Les Comnenes, p. 334؛ Duggan, Crusades, p. 113.

(2)Annales Herbipolenses, p.5؛ Grousset, Croisades, 2, p.234؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 284؛ Berry, Second crusade, pp. 495-496؛ Oman, Art of War, I, p. 245.

هذا الطريق وما يتعرض له السائر فيه من جوع وعطش شديدين؟.

يبدو أن سبب ذلك هو اعتقاد كونراد الثالث بأنه سيصل إلى قونية سريعًا بعد أن اختار أقصر الطرق، هذا بالإضافة إلى ثقته واعتماده على المرشدين الذين قدمهم له مانويل، وقال وليم الصوري في بداية حديثه عنهم وقبل أن يتهمهم بخيانة الألمان: «إنهم جاءوا ورائدهم الإخلاص في إرشاد الجيوش المسيحية، فلا يباغت العسكر الذين يقتفون خطاهم بخطر لا يتوقعونه أو يفاجئون بصعوبة لا ينتظرونها، ولا يكابدون نقصًا في الطعام أثناء سيرهم»[١].

وبهذا لم يكن كونراد الثالث يتوقع أن تواجهه أية صعوبات في هذه الرحلة القصيرة، ولو فرض وتعرض لأي خطر، فقد كان معه المرشدين الذين يستطيعون تذليل الصعاب أمامه، وتوفير ما يحتاج إليه أثناء سيره، لكن خاب ظن الملك الألماني، إذ نفذت مؤن الجيش بعد ثمانية أيام من مغادرته نيقية قرب فيلومليون، وهو على بعد **٧٠** أو **٨٠** ميلاً من قونية، واستمر الجيش الألماني يسير لمدة يومين وهو على هذه الحالة على أمل أن يصل إلى قونية، إلا أن ذلك لم يحدث، عندئذ-في **٢٥** أكتوبر- استدعى الملك الألماني المرشدين وسألهم عن سبب التأخير فأكدوا له أن الجيش سيصل إلى قونية بعد ثلاثة أيام، لكنهم لم يلبثوا أن هربوا تحت جنح الظلام تاركين الجيش الألماني وسط الصحاري ليواجه مصيره ويشق طريقه بنفسه وسط المجهول[٢].

كان هروب المرشدين هذا سببًا في اتهامهم بخيانة الجيش الألماني في آسيا الصغرى، وأنهم تعمدوا قيادته إلى هذه المناطق الصحراوية الوعرة ليتركوه هناك، بل إن هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك فذكر: أن هؤلاء المرشدين بعد هروبهم اتجهوا إلى السلاجقة وأخبروهم بحالة الجيش الألماني ومعاناته وشجعوهم على الهجوم عليه[٣]، ويعتقد

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٣**، ص**٢٧٣**.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 91-93؛ Anonymi Auctoris Charonicon, C.S,C.O, 354, 2, French Trans. Albert, A., p. 111؛ Grousset, Croisades, 2, p. 234؛ Idem, L'Epopee, p. 167؛ Oman, Art of War, I, p. 245.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٣**، ص**٢٧٣-٢٧٤**.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 93؛ Roger of Wendover, Flowers, I, p. 500؛ Anonymi Auctoris Chronicon, 2, p. 111؛ Helmold, Chronicle, p. 173؛ Mills, =

وليم الصوري أن هذه الخيانة خُطط لها بأمر مانويل أو نتيجة رشوة السلاجقة للمرشدين[1].

ولكن كما سبق واتضح أن مانويل لم يكن له يد فيما وقع لصليبي الحملة الثانية في آسيا الصغرى، كما أن كونراد الثالث قد اختار هذا الطريق الذي يخترق أراضي صحراوية بمحض إرادته وليس بناء على رأي المرشدين، ومما يدل على براءة المرشدين أن كونراد الثالث لم يذكر ذلك في خطابه إلى ويالبد، فهو يذكر فقط وجود مرشدين معه لإرشاده إلى طرق ومدن آسيا الصغرى، وعندما ذكر هجوم السلاجقة على جيشه لم يذكر أي شيء عن هروبهم أو أي خيانة من جانبهم[2].

أما بالنسبة للسلاجقة فلم يكونوا بحاجة إلى المرشدين ليرشوهم؛ ذلك لأنهم سيقفون على أمر الجيش الألماني إن عاجلاً أم آجلاً وهو يخترق أراضيهم، ولكن الأقرب إلى الصواب هو أن هؤلاء المرشدين وقعوا أثناء هروبهم في يد السلطان السلجوقي مسعود، فتأكد منهم على صدق ما لديه من معلومات عن الحالة السيئة للجيش الألماني[3].

هذا بالإضافة إلى أن القسم الثاني من الجيش الألماني الذي كان تحت قيادة أوتو الفريزي، لقي هزيمة ساحقة -كما سنرى- على أيدي السلاجقة رغم وجود المرشدين معه، ولم تذكر المصادر ترك المرشدين لهذا القسم أو خيانتهم له، إذا فالهجوم السلجوقي لا يرتبط بوجود المرشدين أو عدم وجودهم[4]، ثم كيف يجرؤ هؤلاء المرشدين على أن يقوموا بخيانة الألمان؟، ألم يكونوا يخشون عقاب مانويل إذا رجعوا إليه واكتشف خيانتهم، خاصة بعدما تحسنت العلاقات بينه وبين كونراد الثالث؟.

وبذلك فإن إلصاق تهمة الخيانة بالمرشدين البيزنطيين ليس له أساس من الصحة،

=

Crusades, I, p. 378.

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج٣، ص٢٥٣؛الرهاوي المجهول، الحملتين الأولى والثانية، ص٨٠.

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٣.

(٢) انظر الملحق الأول.

(٣) سعيد عمران، الحروب الصليبية، ص٨٠.

(٤) سعيد عمران، الحروب الصليبية، ص٨١.

أما ما دفعهم إلى الهروب وترك الجيش الألماني فقد كان خوفهم من انتقام الملك الألماني خاصة بعد تهديده لهم ونفاذ مؤن الجيش دون أن يصل إلى قونية(1).

ويبدو أن ما دفع الألمان إلى اتهام المرشدين بالخيانة، هو أنهم عندما وجدوا أنفسهم يموتون جوعًا على أراضي يجهلونها لم يجدوا أمامهم كبش فداء سوى المرشدين فاتهموهم بالخيانة(2).

على أي حال اشتدت معاناة الألمان بعد هروب المرشدين، إذ وجدوا أنفسهم تائهين في بلد لا يعرفون مسالكه، ويعانون من الجوع والعطش، فماذا يفعلون؟، هل يتقدمون إلى الأمام أم يرجعون إلى الوراء؟، فإذا تقدموا من يضمن لهم الوصول إلى بر الأمان، وإذا انسحبوا هل يضمنوا عدم قيام السلاجقة بالقضاء عليهم؟.

وفي ظل هذا الوضع دعا كونراد الثالث قادته للاجتماع، فرأى البعض ضرورة الانسحاب والعودة إلى الوطن، في حين رأى البعض الآخر ضرورة الاستمرار في رحلتهم، وفي النهاية اتخذ الملك الألمانى قراره بمواصلة الزحف إلى قونية(3).

بيد أن كونراد الثالث سرعان ما أدرك خطأ هذا القرار-الذي سيدفع ثمنه القضاء على حملته-، ذلك أن الجيش الألماني عانى في هذه المرحلة شدائد قاسية؛ فاشتد الجوع بالألمان حتى كادت تزهق أرواحهم، ولسوء حظهم لم تكن توجد أية مدن أو قرى عامرة أمامهم، فضلاً عن أنه لم يكن بوسعهم التجول بعيدًا للبحث عن الغذاء؛ خوفًا من كمائن السلاجقة الذين كانوا يراقبون تحركاتهم، وكذلك اشتد عليهم العطش، ولم يجدوا في تلك الصحراوات أي مصدر من مصادر المياه، الأمر الذي عرضهم للمرض والضعف، وأدى إلى موت عدد كبير منهم، فضلاً عن الخسارة الفادحة في خيولهم(4).

---

(1)Chalandon, Les comnenes, p. 285.

(2)Oman, Art of War, I, p. 245.

(3) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج3، ص275.

(4)Annales Herbipolenses, p. 5; Annales Magdeburgenses, p. 188; Annales Egmundani, ed, Pertz, G. H, M.G.H. ss, 16, (Hanover 1859), p. 456; Anonymi Auctoris Chronicon, 2, p. 111; Williamof Newburgh, English Affairs, I, p. 95.

الرهاوي المجهول، الحملتين الأولى والثانية، ص80.

ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص27؛ أبو شامه، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق/

على هذه الصورة كانت حالة الجيش الألماني أثناء سيره إلى قونية، أما السلاجقة: فإن السلطان السلجوقي مسعود كان قد علم بأمر هذه الحملة منذ فترة طويلة، فأخذ يستعد للتصدي لها، وأعد لها ما استطاع من قوة، فقام بتحصين المدن والقلاع وترميم ما احتاج منها إلى ترميم، ووضع القوات على الطرق والمعابر، هذا في الوقت الذي أرسل فيه مبعوثيه إلى مختلف البلاد الإسلامية يحثهم فيه على نجدته ومساعدته في التصدي لهذه الحملة الصليبية، فاجتمعت لديه جيوش ضخمة سواء من أطراف دولته المختلفة أو من حلفائه من أرمينية، ومن الدانشمنديين، وأيضًا من بلاد الجزيرة الفراتية، وأخذت هذه القوات مواقعها على حدود بلاده واستعدت للمعركة مع الجيش الألماني[1].

واستغل السلاجقة الحالة السيئة التي وصل إليها الألمان، وأرسلوا بعض الفرق العسكرية للهجوم عليهم أثناء سيرهم، فلم تأخذهم بهم شفقة ولا رحمة، وأخذوا يمطرونهم بوابل من سهامهم دون أن يبدي هؤلاء أية مقاومة بسبب ما كانوا عليه من ضعف وهوان[2].

واستمروا على هذه الحالة حتى وصل الألمان قرب نهر باثيس Bathys-يقع في المنطقة المجاورة لضوروليوم- فقاموا بالانقضاض عليهم، وقد أحسن السلاجقة اختيار هذا الوقت بالذات لدخول المعركة مع الألمان بعد أن أنهكهم الجوع والعطش والسير الطويل، في الوقت الذي كان السلطان مسعود وحلفاؤه في قمة نشاطهم، ينعمون بالراحة والظل.

وحانت لهم الفرصة سانحة عندما تقدم كونراد الثالث وبعض قادة الجيش إلى

=

إبراهيم الزيتون، ج١، (بيروت، ١٩٩٧)، ص١٨٤؛ حسن عبد الوهاب، أثر العوامل الجغرافية، ص٣٠٢.

(1)Annales Herbipolenses, p. 6؛ Roger of Wendover, Flowers, I, pp. 499-500؛ Grousset, Croisades, 2, p. 235؛ Mills, Crusades, I, p. 378.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٢؛ علي المحيميد، الدانشمنديون، ص٢٢٨.

(2)John of Salisbury, The Historia Pontificalis, English Trans. Chibnall, M., (Oxford 1986), p. 54؛ William of Newburgh, English Affairs, I, p.95.

النهر ليرووا عطشهم تاركين بقية الجيش خلفهم -على بعد ٤ أميال- عندئذ انقض السلاجقة على المعسكر الألماني من كل الجهات وأمطروه بوابل سهامهم، فأخذ الألمان المفاجأة وعجزوا عن التصدي لهذا الهجوم الشرس، خاصة بعد أن أصاب الضعف الشديد سلاح الفرسان بسبب موت عدد كبير من الخيول، وما بقى منها أُنهكت قواه من شدة الجوع والعطش، ولم تعد قادرة على المناورة أو المقاومة[١]، وكان لهذا الوابل من السهام دورًا كبيرًا في إضعاف الجيش الألماني والقضاء على تماسكه، وإيقاع العديد من الخسائر في الرجال والخيول، وهو ما كان يهدف إليه السلاجقة[٢].

وعبر وليم الصوري عن أثر ذلك على الجيش الألماني بقوله: «لكن عسكرنا صاروا في خطر لكثرة ما انهال عليهم من السهام والنشاب التي لم ينقطع وابلها، والتي كانت تتساقط عليهم من كل جانب دون أن تتاح لهم فرصة ينزلون بخصمهم مثل الذي أنزله بهم أو يلتحمون به من قريب»[٣].

وإذا حدث وحاول الألمان القيام بهجوم مضاد فإن السلاجقة كانوا ينسحبون سريعًا راغبين من وراء ذلك سحب العدو بعيدًاحيث تنصب له الكمائن وينقضون عليه، وقاموا بهذه العملية عدة مرات، مما أصاب الألمان بالضعف والارتباك، وعجزوا عن فعل أي شيء أو التخطيط لأي أمر من الأمور[٤].

بعد ذلك بقليل وعندما عاد كونراد الثالث إلى المعسكر وجد المعركة محتدمة بين جيشه من ناحية والسلاجقة وحلفائهم من ناحية أخرى، فحاول أن يجمع شمل قواته، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا أمام هذا الهجوم السلجوقي الشديد، فحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأخذ يحث قادته على نجدة إخوانهم والانتقام من السلاجقة قائلاً: «يبدو لي أيها الرجال أن المعركة قائمة بين رجالنا والعدو، فمن كان يريد الحرب في سبيل

---

(1)Annales Herbipolenses, p. 6; Roger of Wendover, Flowers, I, p. 500; Grousset, Croisades, 2, p. 239; Idem, L'Epopee, pp. 167-168; Oman, Art of War, I, p. 245.

(٢) سميل (ر.س)، الحروب الصليبية، ترجمة/ سامي هاشم، (بيروت ١٩٨٢) ص٧٩-٨٠.

(٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٧.

(4)Kinnamos, Deeds, p. 68.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٢٧.

الرب يتبعني لنجدة إخواننا ونصرتهم»[1]، وكان أن اشتبك الألمان مع السلاجقة في معركة قصيرة خاسرة، قتل فيها السلاجقة عددًا كبيرًا من الألمان، وعبر عن ذلك أحد المؤرخين بقوله: إن السلاجقة قد أصابهم الملل في ذلك اليوم لكثرة ما قتلوا من الألمان[2].

هكذا انتهت معركة ضوروليوم بتحطيم معظم قوات الجيش الألماني على أرض آسيا الصغرى، ذلك الجيش الذي قدره البعض بحوالي **٩٠٠** ألف[3]، وقدره البعض الآخر بحوالي **٧٠** ألف[4]، إذ هلك في هذه المعركة **٩/١٠** هذا الجيش، ولم يبق منه سوى **١/١٠** (أي **٧** آلاف)، وقتل في هذه المعركة كل الجنود والمشاة تقريبًا، ومن كان يوجد مع هذا القسم من الحجاج وعدد كبير من الفرسان، ومن استطاع الهرب التجأ إلى الجبال، فقام السلاجقة بمطاردتهم إلى هناك وقتلوا معظمهم، أما من أفلت من القتل فقد تعرض للموت نتيجة الجوع والعطش في هذه الصحراء، أو وقع في أسر السلاجقة، واستطاع كونراد الثالث مع عدد قليل من رجاله الهروب بصعوبة من الوقوع في أيدي السلاجقة، لدرجة أنه يمكن القول: بأن هذه المعركة كانت مذبحة للجيش الألماني في آسيا الصغرى[5].

وعبر أحد المؤرخين عن هذه المعركة بقوله: «لقد كانت كارثة الجيش الألماني مفجعة، ولا يمكن أن نصف البؤس والتعاسة التي عبر هؤلاء عنها بالبكاء والنواح الشديد حسرة على هذا اليوم المشئوم»[6]، وقال وليم الصوري: انهارت مكانة الألمان

---

(1)Annales Herbipolenses, p. 6.

(**٢**) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج**٣**، ص**٢٥٣**.

(3)Kinnamos, Deeds, p. 60.

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج**٣**، ص**٢٥٣**.

(4)Annales Palidenses, p. 82؛ Roger of Wendover, Flowers, I, p. 499.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٣**، ص**٢٧١**.

(5)Annales Magdeburgenses, p. 188؛ Anonymi Auctoris Chronicon, 2, p. 111؛ Roger of Wendover, Flowers, I, p. 500؛ John of Salisbury, Historia Pontificalis, p. 55؛ Mills, Crusades, I, p. 379؛ Sybel, Crusades, p.61.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٣**، ص**٢٧٧-٢٧٨**.

(6)Helmold, Chronicle, p. 174.

فلم يتبق من مجدهم السالف إلا أثرًا واه[١].

استولى السلاجقة بعد انتصارهم على معسكر الجيش الألماني بما فيه من ذهب وفضة وأموال وثياب وغير ذلك من ثروات، وامتلأت البلاد الإسلامية بغنائم الألمان لدرجة أنه قيل: إن قيمة الفضة-المعدن الذي يلي الذهب في الأهمية- أصبحت في ملطية مثل قيمة الرصاص[٢].

لا ريب أن هذا الانتصار الرائع الذي قضى على أكثر من نصف قوات الحملة الصليبية الثانية[٣]-وهي في بداية طريقها- لم يأت من فراغ؛ ذلك أن اتحاد المسلمين وتصميمهم على القضاء على هذه الحملة كان له الدور الأكبر في هزيمة الجيش الألماني، ثم جاء اختيار الألمان للطريق الذي يخترق منطقة صحراوية، ويعبر أراضي السلاجقة ليساعدهم في القضاء عليهم تمامًا[٤]، هذا بالإضافة إلى تهور وقلة حذر الألمان، فعندما كانوا يسيرون في ضواحي ضوروليوم كانوا يتحركون وكلهم ثقة في أنهم سيحققون كل ما يرغبون فيه دون مشقة، وقد غاب عنهم أنهم في بلد عدو يتربص بهم الدوائر، ويتحين الفرصة للانقضاض عليهم، فضلاً عن قلة انضباطهم وعدم تنظيمهم وقلة معرفتهم بطرق آسيا الصغرى[٥].

يضاف إلى ذلك مفاجئة السلاجقة لهم والتي أدت إلى إرباكهم وإعاقتهم عن القيام

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٨.

(٢) ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج٣، ص٢٥٣-٢٥٤؛ الرهاوي المجهول، الحملتين الأولى والثانية، ص٨٠؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٦٢.

Belloc, Crusade, p. 245؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 286.

اسحق أرمله، الحروب الصليبية، ص١٢٥.

(٣) يرى البعض أن الجيش الألماني كان يزيد في عدده عن الجيش الفرنسي.

Helmold, Chronicle, p. 172.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٢١.

(4)Roger of Wendover, Flowers, I, p. 500؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 287.

حسين مؤنس، رائد نصر المسلمين على الصليبيين نور الدين محمود، سيرة مؤمن صادق، (السعودية ١٩٨٧)، ص١٧٣؛ حسن عبد الوهاب، أثر العوامل الجغرافية، ص٣٠٢.

(5)John of Salisbury, Historia Pontificalis, p. 12؛ Sybel, Crusades, pp. 60-61؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 283.

بأية مقاومة؛ ذلك لأنهم «لم يكونوا يتوقعون أي شيء من هذا القبيل»[١].

ومهما يكن من أمر فقد أدى هذا الانتصار على الجيش الألماني الذي قال ابن الأثير عن قائده كونراد الثالث وقواته: «إنه قصد بلاد الإسلام وهو لا يشك في ملكها بأيسر قتال لكثرة جموعه وتوافر أمواله وعدده»[٢]، إلى رفع الروح المعنوية للسلاجقة وحلفائهم في آسيا الصغرى، مما ساعد في القضاء على الجيش الفرنسي الذي جاء إلى أراضي هذا الإقليم بعد ذلك بقليل، فإذا كانت الهزيمة قد حلت بالجيش الألماني الذي يفوق في عدده الجيش الفرنسي، فإن السلاجقة أدركوا أنه من السهل هزيمة الفرنسيين وبدرجة أسرع، وبذلك كان لانتصار ضوروليوم أثر كبير على نتائج الحملة الصليبية الثانية بأسرها[٣].

لاشك أن كونراد الثالث بعد هزيمة ضوروليوم أخذ يفكر بصورة أكثر واقعية، فإذا كان قد أعلن من قبل أنه سيتخذ هذا الطريق الذي سلكه مهما كانت صعوباته متحديًا هذه الصعوبات، ومستهينًا بمقاومة السلاجقة، فإن مواصلة السير في هذا الطريق بعد هذه الهزيمة قد أصبحت شيئًا غير منطقيًا، فشبح الموت يطارد حطام جيشه، وأمامه طرق مجهولة لا يعرف عنها أي شيء، وإذا حدث وواصل السير في هذا الطريق فإن النجاح لم يكن مضمونًا في ظل هذه الصعوبات، خاصة بعد انتصار السلاجقة، ومن ثم دعا الملك الألماني قادته للاجتماع لاتخاذ قرار بشأن مصير من بقى من الجيش الألماني.

ويصور أودو الصراع الداخلي الذي انتاب أفراد الجيش الألماني بين الواقع والواجب، فالواجب يحتم عليهم الاستمرار في طريقهم حتى ينجزوا قسمهم الذي قطعوه على أنفسهم، ولكن كيف يحدث ذلك بعد كل هذه الخسائر، وهم على هذه الحالة السيئة وأمامهم كل هذه الصعوبات التي أجبرتهم في النهاية على اتخاذ قرار الانسحاب الذي يخالف هدفهم المقدس، لكنه ربما يحمل في طياته بعض الأمل في

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٧٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٥٣.

(٣) سالم الحميده، الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٠.

النجاة من الوقوع في براثن السلاجقة[١].

وبذلك انسحب الجيش الألماني إلى نيقية وهو على هذه الحالة، من الضعف واليأس، وبإدراك السلاجقة هذا الوضع الذي أضحى عليه الألمان ضاعفوا من هجماتهم عليهم، فخلال فترة انسحاب الجيش الألماني وحتى وصوله إلى نيقية كان هدفًا لهجوم السلاجقة، الذين لم يكتفوا بالهجوم على مؤخرته وإنما هاجموا المقدمة والوسط، وانقضوا على كل من حاول الخروج عن دائرة الجيش، مما أدى إلى سقوط عدد كبير من هؤلاء البؤساء فريسة للسلاجقة، بل وأصيب كونراد الثالث نفسه بسهمين من جراء هذا الهجوم، وقتل برنارد كونت بلوزيك Bernard Count of Plozeke، بعد أن عجز هو وفرسانه عن الدفاع عن مؤخرة الجيش[٢]، مما دفع أودو إلى القول: بأنه لا يستطيع أن يصف خسائر هذه الرحلة، وهكذا حتى وصلت فلول الألمان إلى نيقية في **٢** نوفمبر وهم يعانون سكرات الموت[٣].

لم تنته متاعب الألمان بوصولهم إلى نيقية؛ ذلك أنهم واجهوا صعوبات كبيرة في الحصول على الغذاء من هذه المدينة، وهنا يتهم أودو سكان نيقية بأنهم استغلوا حاجة الألمان الشديدة للطعام، وطلبوا مقابل إمدادهم به الحصول على أسلحة الجيش حتى يتم تجريده من أسلحته ويعود إلى الوطن[٤].

إلا أن هذا الاتهام ليس له أساس من الصحة، فإذا حدث ووجد الألمان صعوبة في الحصول على الغذاء من نيقية، فكان سبب ذلك هو وصولهم المفاجئ إلى المدينة الذي

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p.93؛ Kinnamos, Deeds, p.79 Archer, Crusades, p.212؛ Brundage, Crusades, p.105.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, p.93-97؛ Annales Herbipolenses, p.6؛ Annales Magdeburgenses, p.188؛ Berry, Second Crusade, p.496؛ Oman, Art of War, I, p.245.

مونروند (مكسيموس)، تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوه حرب الصليب، ترجمة/ مكسيموس مظلوم، (أورشليم **١٨٦٥**)، ص**٤٩-٥٠**.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p.97؛ (Berry, Second Crusade, p.496؛Belloc,Crusade,P.245).

(4)Odo of Deuil, De Profectione, p.97.

أدى إلى زيادة الطلب على المواد الغذائية عن الموجود منها في المدينة، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار، ومع عدم توافر العملة معهم اللازمة لشراء الطعام بعد استيلاء السلاجقة على أموالهم، فقد اضطروا إلى بيع ما تبقى بحوزتهم من أسلحة للحصول عليه[1]، إضافة إلى ذلك فإن سكان نيقية لم تكن لديهم أية مصلحة في تجريد الجيش الألماني من أسلحته وعودته إلى بلاده.

إن خسائر الانسحاب وما قبله من هزيمة ضوروليوم كانتا فوق ما يمكن أن يحتمله الألمان الذين أدركوا مدى قوة السلاجقة، وأنه من الصعب هزيمتهم، وبهذا لم يكن متوقعًا منهم بعد كل ذلك وعند وصولهم إلى نيقية أن يعيدوا الكرة من جديد، ويسيروا عبر آسيا الصغرى، إذ اعتبروا مواصلة هذه الرحلة القاتلة مرة أخرى ضربًا من الجنون، عند ذلك قرر الألمان-الذين استجابوا من قبل لدعوة القديس برنارد رئيس دير كليرفو Bernard of Claivaux[2] بكل حماسة، وتركوا مزارعهم ودورهم وذهبوا وراءه أينما ذهب، واشتعلت بداخلهم رغبة متأججة للمشاركة في الحملة الصليبية- العودة إلى الوطن، فعاد معظم من جاء إلى نيقية إلى ألمانيا يجرون أذيال الخيبة[3].

لا غرو في أن عودة الغالبية العظمى من الجيش الألماني إلى وطنهم دون أن يخشوا ما يستعرضون له من توقيع قرار الحرمان عليهم، وما سيلحق بهم من خزي وعار بسبب عدم إتمام رحلتهم المقدسة وإنجاز قسمهم، إنما يدل على ما تعرضوا له من صعوبات وخسائر في آسيا الصغرى، جعلت كل ما سيلحق بهم من ذل وحرمان بسبب

---

(1)Chalandon, Les Comnenes, p.305.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن دور القديس برنارد في الدعوة للحملة الصليبية الثانية:

Odo of Deuil, De Profectione, p. 20-25؛ Annales Magdeburgenses, p. 188؛ Rowe, J.G., "The Origins of The Second Crusade: pope Eugenius III, Bernard of Clairvaux and Louis VII of France", in Gervers, M. (ed), The Second Crusade and Cistercians, (New York 1992), pp. 79-89؛

Riley-Smith, Crusades, pp. 94-95.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 97؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 305؛ Berry, Second Crusade, p. 496؛ Oman, Art of War, I, p. 245.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٨٠؛ صلاح ضبيع، دور الألمان، ص ٨٧-٨٨.

عودتهم لا يساوي شيئًا إذا ما قورن بما حدث وما سيحدث لهم إذ قرروا السير مرة أخرى عبر آسيا الصغرى، ولكن عودتهم هذه لم تخل هي الأخرى من معاناة راح ضحيتها معظم هؤلاء البؤساء بسبب الجوع والمرض، وعندما وصلوا إلى القسطنطينية كانت قوتهم العسكرية قد تلاشت[1].

كان هذا هو مصير القسم الرئيسي من الجيش الألماني الذي كان تحت قيادة كونراد الثالث، وسار داخل المنطقة السلجوقية، لكن ماذا كان مصير القسم الثاني الذي كان تحت قيادة أوتو الفريزي واتخذ الطريق الساحلي؟، هل نجح في النجاة من الوقوع في أيدي السلاجقة، ووصل بأمان إلى الشرق أم لقي هو الآخر نفس المصير؟.

بالرغم من اتخاذ أفراد هذا القسم الطريق الساحلي إلا أن ثمة صعوبات واجهتهم وانتهت بالقضاء عليهم، وقد عبَّر أودو عن ذلك بقوله: «إنهم اتخذوا الطريق الأيمن ولكن طالعهم سوء الحظ في كل نقطة وزاوية فيه»[2].

ذلك أنهم اتخذوا أولًا طريق ساحل بحر إيجة، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الداخل إلى فيلادلفيا بدلًا من السير عبر الساحل لمسافة طويلة، وعند هذه النقطة بدأت معاناتهم، فلم يجدوا أولًا القوارب اللازمة لعبور نهر الماندر، مما اضطرهم إلى عبوره على الأقدام، الأمر الذي أضعفهم وأنهك قواهم، وهم على هذه الحالة اتجهوا إلى لأودكيا عسى أن يستعيدوا قوتهم هناك، إلا أنهم وقعوا في كمين سلجوقي أدى إلى هلاك عدد كبير منهم[3]، ونتيجة لهذه الهزيمة قرر أوتو أن يعود للطريق الساحلي مرة أخرى، فسار على الساحل نحو أضاليا، إلا أن الألمان تعرضوا للعديد من الصعوبات في هذا الطريق فكانوا «يصارعون كل يوم الجوع والعطش والمشقة»، وقاموا بذبح ما بقى لديهم من الخيول والحيوانات التي كانت تحمل متاعهم ليتغذوا على لحومها ويشربوا دماءها، وعندما اكتشف السلاجقة حالتهم هذه قاموا بالهجوم عليهم، ولم يبد هؤلاء أي

---

(1)Annales Palidenses, p. 83؛ Berry, Second Crusade, p. 496؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 305.

(2)Odo ofDeuil, De Profectione, p. 83.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 113؛ Fletcher, Western Europe, 2, p. 380.

بردج، الحروب الصليبية، ص١٥١؛ماير، الحروب الصليبية، ص١٥٣.

مقاومة، لما كانوا عليه من ضعف وهوان، فتم القضاء عليهم جميعًا ولم ينج منهم سوى أوتو مع عدد قليل من رجاله، ووصلوا إلى أضاليا وهم في حالة شديدة من البؤس والإعياء، ونقلتهم بعد ذلك إحدى السفن إلى بلاد الشام(١).

على هذا النحو كان مصير هذا القسم من الجيش الألماني الذي لقى هو الآخر نهاية مخزية على أيدي السلاجقة، لتكتمل بذلك كارثة الجيش الألماني بقسميه في آسيا الصغرى.

هزيمة جيش لويس السابع في آسيا الصغرى:

انتهى أمر الجيش الألماني في آسيا الصغرى بهزيمة أوتو الفريزي ورجاله على يد السلاجقة، ولم يبق منه سوى بقايا هزيلة لا يرجى منها أي فائدة، فهل كان هذا أيضًا هو مصير الجيش الفرنسي الذي حاول بكل طريقة تجنب الاصطدام بالسلاجقة في آسيا الصغرى، أم أنه كان أوفر حظًا ونجح في الوصول إلى بلاد الشام بكامل قواته؟.

بعد عبور الجيش الفرنسي البسفور وصل إلى نيقية في بداية شهر نوفمبر سنة **١١٤٧**م، وفي هذه المدينة شعر الفرنسيون بالقلق، وتأثروا بشدة لما سمعوه عن الكارثة التي حلت بالجيش الألماني على أيدي السلاجقة، تلك الكارثة التي اضطرت كونراد الثالث، الذي رفض من قبل انتظار الفرنسيين في القسطنطينية(٢) قائلاً: «إن الفرنجة لا يمثلون شيئًا بالنسبة لنا، ونحن لن ننتظر أي شخص أيًّا كان»(٣)، إلى التخلي عن عناده وكبريائه حتى إنه أرسل إلى لويس السابع يستعطفه ويطلب منه العون والمساعدة(٤).

---

(1)Annales Herbipolenses, p. 5؛Stevenson, W.B., The Crusaders in The East (Cambridge 1968), p. 158.

ماير، الحروب الصليبية، ص**١٥٤**؛ سعيد عمران، الحروب الصليبية، ص**٨١**.

(**٢**) عن أسباب رفض كونراد الثالث انتظار لويس السابع:

Odo of Deuil, De Profectione, pp. 49-51؛ Grousset, Croisades, 2, p. 226.

Brehier, Croisades, p. 106.

(3)John of Salisbury, Historia Pontificalis, p. 54.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, p. 91؛ Berry, Second Crusade, p. 496؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 304.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٣**، ص**٢٨٠**.

وفي اللقاء الذي تم بين العاهلين الفرنسي والألماني قرر لويس السابع التراجع عن فكرة اتخاذ طريق الحملة الصليبية الأولى عبر آسيا الصغرى، وأن يتخذ بدلًا منه الطريق الساحلي الطويل على امتداد الساحل الغربي لآسيا الصغرى، (انظر الخريطة رقم **٣**)، واتفق القائدان على أن ينتظر الملك الفرنسي الملك الألماني في مدينة لوباديون Lopadion[١]، حتى ينتهي من تنظيم وإمداد بقايا رجاله في نيقية ثم يلحق به إلى هناك[٢].

لكن لماذا تراجع لويس السابع عن رأيه في اتخاذ طريق الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى؟، وهل كان لهزيمة كونراد الثالث دورًا في ذلك؟.

مما لاشك فيه أن ما وقع لكونراد الثالث من هزيمة ساحقة على أيدي السلاجقة عند سلوكه هذا الطريق، كانت العامل الأساسي الذي دفع لويس السابع إلى اتخاذ الطريق الساحلي، هروبًا من الهجوم السلجوقي، وتجنبًا للمصير السيئ للجيش الألماني، وحتى يمكنه أيضًا الحصول على المؤن اللازمة للجيش من المدن البيزنطية على طول الساحل، فضلاً عن الإفادة من مساعدة الأسطول البيزنطي[٣].

ولكن لم تكتمل سعادة الألمان بمد يد العون والمساعدة لهم من قبل الفرنسيين، وكأن القدر أبى أن ينهي مأساتهم عند هذا الحد، ففي طريقهم إلى لوباديون تعرض الكثير منهم للقتل والسلب، مما دفع كونراد الثالث إلى أن يرسل إلى لويس السابع طالبًا منه إنقاذ رجاله، فأرسل إليهم فرقة عسكرية بقيادة إيفو كونت سواسون Ivo Count of Soisson قامت بحراستهم حتى وصلوا إلى هناك، وأنقذت فلولهم من الهلاك، لدرجة أنهم أخذوا يرددون بأنه لو لم يأت الكونت إليهم على جناح السرعة لكان قد

---

(١) لوباديون، حصن هام شمال غرب آسيا الصغرى على شاطئ نهر الرايانداكوس Rhyndakos على بعد حوالي **٢٠** كم جنوب بحر مرمرة، ونقطة عسكرية هامة، ومدينة تجارية ثرية.

Ramsay, Historical Geography, p. 160؛ O.D.B., 2, p.1250.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, 97؛ John of Salisbury, Historia.p. 55.

(3)Grousset, L'Epopee, 168؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 305. Rousset, Croisades, p. 168؛ Bell, Mediaval Europe, p. 89؛ Oman, Art of War, I, p. 245..

باركر، الحروب الصليبية، ص٧٦.

قُضي عليهم جميعًا[1].

وفي مدينة لوباديون رأى لويس أن يواصل الجيش الفرنسي-بعد انضمام البقايا الألمانية إليه- سيره إلى أنطاكية عبر فيلادلفيا، وكان هذا طريقًا جيدًا، أقصر من الطريق الساحلي الذي اتخذه أوتو ورجاله، إلا أن مؤنه كانت قليلة ولكن في أيسيرون Esseron-مدينة بالقرب من لوباديون وهي المحطة الثانية التي وصل إليها الجيش في ١١ نوفمبر- تراجع الملك الفرنسي عن هذا القرار، وقرر أن يسير مقتربًا من الساحل بدلًا من الاتجاه إلى فيلادلفيا مباشرة، وذلك بناءًا على نصيحة كونراد الثالث، وللتغلب أيضًا على نقص المؤن، فقد نصحه الملك الألماني قائلاً: «يوجد طريقان مفتوحان أمامكم: أولهما أقصر ولكن موارده أقل، وثانيهما أطول، ولكن موارده أوفر، فمن الأفضل أن يعيشوا لمدة طويلة وسط الوفرة بدلًا من أن تهلكوا بسرعة وبخزي وسط الحاجة... لذلك فإنني أتوجه إليكم بنصيحتي لتسلكوا الطريق الساحلي، وتحافظوا على قوة فرسانكم لخدمة الرب حتى ولو جاءت هذه الخدمة متأخرة إلى حد ما»[2].

ويرى رنسيمان أنه ربما كان من أسباب ذلك التراجع هو معرفة لويس السابع بما حل لرجال أوتو من هزيمة على أيدي السلاجقة أثناء مرورهم بطريق فيلادلفيا[3].

على أي حال إذا كان الفرنسيون قد اتخذوا الطريق الساحلي هروبًا من الجوع، فإنهم عندما سلكوه واجهتهم صعوبات أخرى، ذلك أنه كان يعبر منطقة جبلية أعاقت سيرهم، وأدت إلى موت عدد كبير من الخيول وحيوانات الحمل التي انزلقت من أعلى الجبال، مما دفع أودو الذي شهد بعيني رأسه هذه الأحداث إلى القول: «لقد تكبدنا أول وأفدح خسائرنا بين تلك الجبال»، وأخذت خسائر الفرنسيين في التزايد حتى وصلوا إلى مدينة أدرامتيون Adramyttion[4].

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 97-99؛ Chalandon, Les Comnenes, pp. 305-306.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 103-105.

(٣) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٣٤-٤٣٥.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, p. 107.

- ادرامتيون، هي (أدرميت الحالية)، تقع على الساحل الشمالي الغربي لآسيا الصغرى، حطمها تزاخاس وأعاد بنائها الكسيوس، وأصبحت قاعدة للدفاع ضد الهجوم السلجوقي.

=

واصل الجيش الفرنسي زحفه على هذا الطريق متوجهًا نحو أفيسوس، حيث زادت معاناته في عبور المنحدرات الجبلية، فضلاً عن ذلك فإن مجاري السيول-التي يكثر عددها على هذا الطريق- قد أعاقت سيره بصورة كبيرة، وزاد من أثرها أن الوقت كان فصل الشتاء (نوفمبر)، وفيه فاضت المجاري بمياه الأمطار والثلوج فضلاً عن سرعة جريانها التي جعلت من الصعب على المشاة والخيول السباحة فيها.

وثمة صعوبة أخرى واجهت الجيش الفرنسي في هذا الطريق وهي الحصول على الغذاء؛ بسبب ما حل بالعديد من المدن في هذه المنطقة من دمار نتيجة الحروب والهجمات السلجوقية المستمرة، مما أدى إلى خراب هذه المدن وتعرضها للفقر، الأمر الذي أدى إلى رحيل سكانها عنها، وحتى تلك المدن التي لم يصيبها الخراب فإنها كانت فقيرة، وما بها من مؤن لا يكفي لسد حاجة الجيش الفرنسي[1].

هكذا اشتدت معاناة الفرنسيين، الأمر الذي أصاب العديد منهم باليأس والإحباط، ودفعهم إلى الامتناع عن مواصلة الرحلة برًا، وأن يلوذوا بأي سفينة يصادفونها دون الخوف من مخاطر الرحلة بحرًا، في حين قام البعض الآخر ممن لا يمتلكون الأموال لدفع أجر السفينة أو حتى لشراء الطعام-بعد أن فقدوا كل أموالهم في الحصول عليه من قبل- بالدخول في خدمة البيزنطيين، وبذلك دفعتهم المعاناة في آسيا الصغرى إلى التخلي عن هدفهم المقدس، واستمر بقية الجيش في طريقه حتى وصل إلى أفيسوس في منتصف ديسمبر[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما وقع لجيش كونراد الثالث الضخم من هزيمة على أيدي السلاجقة كانت فوق الاحتمال، وبذلك أصاب الملك الألماني المرض، وتحطمت

=

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, pp. 114-115؛ O.D.B., I, p. 227.

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 107؛ Berry, Second Crusade, p.497؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 306؛ Oman, Art of War, I, p. 244.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, p. 107؛ Berry, Second Crusade, p. 497؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 307.

معنوياته، وشعر بالخزي والعار بعد أن أصبح تابعًا للملك الفرنسي، ليس هذا فحسب، بل إن الفرنسيين تجرأوا على الألمان، وراحوا يسخرون منهم، الأمر الذي دفع كونراد الثالث أن يترك الجيش عند أفيسوس، ويعود إلى القسطنطينية[1].

في أفيسوس وقع لويس السابع في خطأ كبير سوف يدرك فداحته بعد ذلك بقليل، وذلك عندما رفض الأخذ بنصائح مانويل الخاصة بتجنب الاشتباك مع السلاجقة، واللجوء إلى الحصون والمدن البيزنطية على امتداد الساحل، عندما حذره الإمبراطور من هجماتهم[2].

ذلك أنه بعد أن دخل الفرنسيون وادي ديكيرفيون Decervion[3]، ونصبوا خيامهم للاحتفال بعيد الميلاد، في الوقت الذي لم يتوقعوا فيه أي هجوم سلجوقي - بعد أن رفضوا تصديق نصائح مانويل- قام السلاجقة بهجوم مفاجئ عليهم، ويبدو أنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك الهجوم الخاطف اختبار قوة الجيش الفرنسي ومدى تنظيمه[4].

ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع هجمات السلاجقة على الفرنسيين، تلك الهجمات التي كان يتخذها السلاجقة دائمًا كخطوة تمهيدية يهدفون من ورائها إرباك العدو وإضعافه قبل الاشتباك معه في معركة فاصلة، والتي حاول السلاجقة اتخاذ نهر المياندر مكانًا لها، وهو النهر الذي قال عنه نيقتاس الخونياتي: إنه كان من الصعب عبوره في أي وقت،

---

(1)Kinnamos, Deeds, pp. 70-71؛ Annales Palidenses, p. 83؛ Grousset, Croisades, 2, p. 240؛Belloc, Crusade, p. 245.؛

- يرى أودو أن سبب عودة كونراد الثالث إلى القسطنطينية هو حزنه لعدم رؤية مانويل فعاد إليها ليراه ويقضي الشتاء معه هناك.

Odo of Deuil, De Profectione, p. 109.

(٢) يبدو أن ما دفع لويس السابع إلى تجاهل نصائح مانويل هو رغبته في عدم إظهار أي خوف من السلاجقة، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن يرغب في جعل مانويل صاحب فضل عليه.

Odo of Deuil, De Profectione, p. 109؛ Berry, Second Crusade, p. 498.

(٣) ديكيرفيون، وادي يقع في المنطقة المجاورة لافيسوس.

Odo of Deuil, De Profectione, p. 108, Note 9.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, p. 109؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 309.

بردج، الحروب الصليبية، ص١٥٢.

ومن أي مكان لكثرة الدوامات المائية فيه[1]، وقد حاول السلاجقة الاستفادة من ذلك في إعاقة عبور الجيش الفرنسي واستعدوا للمعركة معه، فقاموا بتوزيع بعض قواتهم على ضفتي النهر لمنع عبور الفرنسيين، والبعض الآخر على المنحدرات الجبلية حول النهر لمهاجمة كل من يحاول اللجوء إليها والاختباء بداخلها، وكذلك تحصنوا في السهل للهجوم على الفرنسيين أثناء زحفهم، في الوقت الذي قام فيه رماة السهام السلاجقة بمضاعفة الهجوم على جناحي الجيش، وحاول لويس السابع الاشتباك بجيشه معهم أكثر من مرة، لكنه لم يستطع؛ بسبب أسلوبهم في القتال الذي يعتمد على الهجوم بقوة ثم الانسحاب بسرعة وبمهارة عالية، بحيث لا يعطون أي فرصة لعدوهم للرد على هجومهم.

وعندما حاول الفرنسيون عند وصولهم إلى النهر العبور وجدوا القوات السلجوقية تقف لهم بالمرصاد، عند ذلك طلب لويس من رجاله الاستعداد لخوض معركة مع السلاجقة لتأمين عبورهم، وألقي فيهم خطبة لإثارتهم ضد السلاجقة، حثهم فيها على الصمود والثبات أمام الهجوم السلجوقي، وحذرهم من تسرب الخوف إلى قلوبهم، وشجعهم على عبور النهر لتحقيق هدفهم المقدس، ونقل إليهم ثقته من أن ماءه سيكون هادئًا عند عبورهم، وعلى أثر ذلك حاول الفرنسيين عبور النهر وأسفر ذلك عن معركة قصيرة بين الطرفين، ولكن عندما وجد السلاجقة أن الجيش الفرنسي مُصِرٌّ على العبور انسحبوا إلى الوراء بعد أن انزلوا بقواته بعض الخسائر في الأرواح[2].

التجأ السلاجقة بعد انسحابهم إلى مدينة أنطاكية-بيسديا القريبة من النهر- مما جعل أودو يتهم مانويل بالخيانة؛ لأنه أوعز لحاكم المدينة وسكانها بإيواء السلاجقة، إلا أن أودو لم يكن محقًا في اتهامه هذا للإمبراطور[3]، ويبدو أن ما دفع سكان المدينة للقيام بذلك هو رغبتهم في الانتقام من الفرنسيين لما ارتكبوه من حوادث سلب ونهب على امتداد مسيرتهم، خاصة وأن مانويل كان قد حذر لويس السابع من انتقام السكان

(1)Choniates, Annales, p. 39.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 109-111؛ Choniates, Annales, pp. 39-41؛ Roger of Wendover, Flowers, I, p. 500؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 309.

بردج، الحروب الصليبية، ص١٥٢.

(٣) انظر ما سبق الفصل الثاني.

البيزنطيين بسبب حوادث عنف رجاله، يضاف إلى ذلك أن مدن آسيا الصغرى في ذلك الوقت الواقعة في وادي نهر المياندر كانت واقعة تحت الضغط السلجوقي المستمر[1]، وبهذا لم يكن في مقدور البيزنطيين التصدي للسلاجقة ومنعهم من اقتحام مدينتهم -إذا رغبوا-، فكان هؤلاء لا حول لهم ولا قوة مع السلاجقة، بل إنهم عملوا على شراء مسالمتهم لحماية أنفسهم، والابتعاد عن أي عمل من شأنه أن يثير غضب السلاجقة عليهم، وبذلك اضطر سكان أنطاكية - بيسديا- إلى إيواء السلاجقة.

على أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته هو أنه بالرغم من انسحاب القوات السلجوقية إلى داخل أنطاكية-بيسديا- إلا أن السلاجقة ظلوا يمثلون خطرًا كبيرًا يخشاه الفرنسيون، ولهذا لم يجرؤ الفرنسيون على مهاجمة القوات السلجوقية في المدينة، ويرى أودو أن سبب ذلك هو أن الجيش الفرنسي لم تكن لديه الإمدادات الكافية من الغذاء إذا اضطر إلى حصار المدينة لفترة طويلة، وإذا حدث وقام بالهجوم عليها، فإنه لن يحصل على أي غنائم ذات جدوى من هذه المدينة الصغيرة الفقيرة، ومن ثم لم يفكر الفرنسيون في الهجوم عليها[2]، بينما يعتقد بعض الباحثين أن سبب ذلك هو عدم امتلاك الجيش الفرنسي لآلات الحصار اللازمة للقيام بهذا الهجوم[3].

لكن مدينة صغيرة كهذه كما ذكر أودو لم تكن بحاجة إلى آلات حصار ضخمة، فضلاً عن أنه كان بإمكان الفرنسيين بناء آلات حصار من الأشجار الموجودة حولهم، إلا أن الرأي الأكثر احتمالًا هو أن الفرنسيين خشوا أن تأتي إمدادات للسلاجقة المحاصرين، الأمر الذي يشجعهم على التصدي للفرنسيين، وعند ذلك تتم محاصرة الجيش الفرنسي من خارج وداخل المدينة بالقوات السلجوقية ويتم القضاء عليه.

ومهما يكن من أمر فإن الجيش الفرنسي لم يلبث أن واجه صعوبة جديدة بعد ذلك بقليل وذلك عند وصوله إلى مدينة لأودكيا، التي أسرع لويس السابع بالاتجاه إليها بسبب استمرار الهجوم السلجوقي على جيشه وقلة الغذاء، على أمل أن يستريح بها، ويزود جيشه بالمؤن اللازمة له، لكنه وجد هذه المدينة خاوية على عروشها بعد أن

---

(1)Vryonis, Decline, p. 152.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, p. 113.

(3)Grousset, Croisades, 2, p. 241؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 309.

هجرها سكانها، وأخذوا كل شيء يمكن الانتفاع به معهم(١).

ويرى أودو أن حاكم المدينة كان وراء إخلائها، وذلك إما خوفًا من انتقام الفرنسيين لما حل بقوات أوتو الفريزي عند مرورها بهذه المدينة، أو رغبة منه في حرمان الجيش الفرنسي من المواد الغذائية التي يعتمد على هذه المدينة في الحصول عليها لمواصلة الرحلة إلى أضاليا، تلك الرحلة التي كانت تستغرق **١٥** يومًا عبر منطقة جبلية خالية من أي مصدر من مصادر الغذاء، وبذلك يتم إضعافه مما يسهل للسلاجقة القضاء عليه(٢).

بينما يعتقد أومان Oman أن سبب ذلك هو رغبة هذا الحاكم في عدم استنزاف مخزونه خاصة بعد معرفته بأن السلاجقة في المنطقة المجاورة له، ينتظرون الجيش الفرنسي مما ينذر بالقضاء عليه(٣)، وربما يكون ما دفع هذا الحاكم أيضًا إلى القيام بذلك هو رغبته في الحفاظ على علاقاته مع جيرانه السلاجقة، خاصة في ظل وجود نوع من العلاقات المشتركة بين سكان المدن البيزنطية في آسيا الصغرى والسلاجقة(٤)، فإذا حدث وساعد هذا الحاكم الجيش الفرنسي سيجلب عليه نقمة السلاجقة، مما ينذر بالخطر عليه وعلى مدينته.

مع هذا النقص الشديد في المؤن رحل الجيش الفرنسي من لأودكيا متجهًا إلى أضاليا في رحلة شاقة عانى فيها الفرنسيون، ليس فقط من وعورة تضاريس الطريق، وإنما كان عليهم التصدي للهجوم السلجوقي الشديد، حتى يستطيعوا شق طريقهم عبر هذه الممرات الجبلية الوعرة، وزاد من معاناتهم ما رأوه من عظام من هلك من رجال أوتو الفريزي، على امتداد هذه الطريق، فاعتبروا ذلك نذيرًا بالمصير السيئ الذي ينتظرهم(٥).

على أي حال فمنذ خروج الفرنسيين من لأودكيا والسلاجقة يحيطون بهم، مما

---

(1)Oman, Art of War, I, p. 246؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 309.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 113-115.

(3)Oman, Art of War, I, p. 246.

(4)Magdalino, Manuel I Komnenos, p. 2.

(5)Odo of Deuil, De Profectione, p. 115؛ Berry, Second Crusade, p. 499. Chalandon, Les Comnenes, p. 310؛ Riley-Smith, Crusades, p. 101.

جعل لويس السابع يتوقع أنهم ينوون خوض معركة حاسمة ضد الجيش الفرنسي، ومن ثم قام بتنظيم قواته استعدادًا لتلك المعركة، فوضع على رأس المقدمة جوفري أف رانكون Geoffery of Rancon، وعمه أماديوس أف موريان Amadeus of Maurienne وتولى هو وحرسه حماية المؤخرة، وبعد يومين من رحيل الجيش الفرنسي من لأودكيا كان عليه عبور أحد الجبال-جبل كادموس Cadmos[1]-، وقد أمر الملك الفرنسي جوفري بأن يعسكر هو وقواته في أعلى الجبل؛ لحراسة أحد الممرات حتى يتم عبور بقية الجيش، وخصص لذلك العبور اليوم كاملاً، ولكن لسوء حظ الفرنسيين وصلت المقدمة إلى أعلى الجبل قبل انتهاء اليوم، وهنا رأى جوفري أنه من العبث الانتظار هناك فتجاهل أوامر لويس السابع بالبقاء عند القمة، ونزل هو وقواته إلى الوادي الخصب ليريحها من عناء الصعود، وبسبب البرد الشديد على قمة الجبل[2]، دون أن يعلم بقية الجيش بهذا التغيير، وعندما وصل الجزء الأوسط من الجيش إلى أعلى الجبل، ولم يجد المقدمة أصاب أفراده الارتباك، وتوقفوا للبحث عن المقدمة بينما كانت المؤخرة لا تزال في بداية صعود الجبل، وبذلك تجزأ الجيش الفرنسي وانقطع الاتصال بين قواته، وانتهز السلاجقة-الذين كانوا يراقبون تحركات عدوهم هذه الفرصة- وقاموا باحتلال الممرات الجبلية، واستعدوا للقضاء على الجزء المنعزل قبل أن تأتي المؤخرة، وأمطروهم بوابل من السهام من جميع الجهات، ثم أجبروهم على خوض القتال وهم على هذه الحالة من الارتباك والإرهاق، مما أدى إلى وقوع الفرنسيين فريسة سهلة في أيدي السلاجقة الذين أخذ كل واحد منهم يشجع الآخر على القتال، ويذكرون بعضهم البعض بأنهم استطاعوا منذ أيام قليلة القضاء على الجيش الألماني

(١) جبل كادموس هو جبل شديد الإنحدار يبعد عن لأودكيا **٥٢** ميلاً.

Walker, C.H., "Eleanor of Aquitaine and the Disaster at Cadmos Mountain on The Second Crusade", A.H.R., 55 (1949-1950), pp. 857-858.

(٢) يرى البعض أن الملكة اليانور زوجة لويس السابع هي المسئولة عن تجاهل المقدمة للأوامر الملكية حيث طلبت من جوفري نتيجة لشعورها بالبرد الهبوط للسهل ومن ثم كانت المسئولية عن كارثة الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى، في حين ينفي البعض عن الملكة أي مسئولة في ذلك.

لمزيد من التفاصيل:

Walker, Eleanor of Aquitaine, pp. 857-861؛ Duggan, Crusades, p. 115.

الذي كان أضخم من الجيش الفرنسي دون أن ينالهم أي أذى، ووسط هذا الاضطراب سقط عدد كبير من الجنود والخيول وعربات البضائع أسفل المنحدر، وانهارت الصخور نتيجة ارتطام عربات البضائع بها، مما أدى إلى زيادة عدد القتلى في الجيش الفرنسي، ونتيجة لحالتهم السيئة زادت جرأة السلاجقة على قتالهم، وأحدثوا فيهم مذبحة كبيرة[١]. (انظر الشكل رقم ٢).

وعندما علم لويس بما وقع لجيشه أتى مسرعًا لإنقاذ ما تبقى من قواته، لكنه وصل بعد فوات الأوان، فقد هلك عدد كبير من الجيش الفرنسي، وأحاط السلاجقة بقواته وقتلوا الحرس الخاص به، ونجا هو من الوقوع في أيديهم بصعوبة، بعد أن لاذ بإحدى الصخور[٢].

لقد ساعد الحظ السلاجقة في إيقاع أكبر عدد من الخسائر بالفرنسيين في تلك المعركة، حيث ساعدهم الحظ أولًا بانقسام الجيش الفرنسي مما أدى إلى ارتباكه، وسهل عليهم القضاء عليه، ثم الاتجاه للجزء الآخر وهزيمته، وساعدهم الحظ أيضًا بطبيعة هذه المنطقة الجبلية الشاقة، فعندما ذهب أودو إلى قوات المقدمة وطلب منهم سرعة نجدة إخوانهم، أعاقت المرتفعات الجبلية والممرات الضيقة تقدم هؤلاء، فأعطت بذلك الفرصة للسلاجقة لإبادة هؤلاء البؤساء[٣].

مما سبق يمكن القول أن هزيمة كادموس كانت ضربة قاصمة للجيش الفرنسي، أنزلت به خسائر فادحة في الأرواح والخيول، وأعجزته عن القيام بأي مقاومة للسلاجقة بعد ذلك، وعبر أودو لسان حال الجيش الفرنسي عن حالتهم بعد هذه الهزيمة بقوله: «... قام التركمان بقتل الخيول... مع أنها كانت عند ذلك غير قادرة على الجري، وهكذا أصبح فرسان الفرنج الذين يرتدون الدروع يسيرون مشيًا على الأقدام،

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 115-117؛ Annales Herbipolenses, p. 5؛ John of Salisbury, Historia Pontificalis, p. 55؛ Roger of Wendover Flowers, p. 501؛ Oman, Art of War, I, pp. 246-247؛ Mills, Crusades, I, p. 381.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٨٣-٢٨٤.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 117-121؛ Berry, Second Crusade, p. 499.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 117-119.

وقد تفرق كل واحد منهم عن الآخر، وأخذوا يلفظون أنفاسهم من أجسامهم العزلاء»(١).

هكذا فقد الجيش الفرنسي معظم خيوله وأسلحته ومخزونه، وسقط عدد كبير من قادته وأشرافه، فضلاً عن عدد ليس بقليل من الفرسان، وجزء كبير من المدنيين، ومن نجا من قتل أو أسر السلاجقة أصابته الجراح: فهناك من سملت أعينهم، أو بترت أيديهم، أو أذرعتهم من عند الكتف، وآخرون احترقت أقدامهم وبترت آذانهم وأنوفهم وشفاهم، فلم يعد منهم أي فائدة ترجى(٢).

على هذا النحو كانت معركة كادموس نكبة حلت بالجيش الفرنسي، أدت إلى هلاك معظمه فوق أراضي آسيا الصغرى، وعبر أحد المؤرخين عن أثر هذه المعركة على الجيش الفرنسي بقوله: «لم ينج منه (الجيش الفرنسي) إلا عدد قليل، وانهار في هذا اليوم كبرياء وشجاعة الفرنسيين»(٣).

ولنقتبس هنا عبارة أودو البالغة الدلالة للتعبير عن ذلك حيث قال: «ذبلت ورود فرنسا قبل أن تتفتح براعمها في دمشق»(٤).

تابع الفرنسيون مسيرتهم بعد هزيمة كادموس هائمين على وجوههم متجهين إلى أضاليا، وهنا اشتدت المعاناة على ما تبقى لديهم من الخيول التي لم تذق طعم الحبوب أثناء رحلتها عبر آسيا الصغرى، وكانت تتغذى فقط على القليل من الحشائش والأعشاب التي تصادفها على طول طريقها، إلا أن السلاجقة قد اتبعوا سياستهم المألوفة في تدمير وحرق الحشائش والمحاصيل أمام الجيش الفرنسي حتى أضاليا، وبذلك لم تجد الخيول ما يمكن أن تتغذى عليه، فمات الكثير منها، فضلاً عن ذلك فقد عانى بقية الجيش من الجوع الشديد، مما أدى إلى انهيار وحدة الجيش، وتدمير فعاليته،

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 119.

(2)Annales Herbipolenses, p. 5؛ Oman, Art of War, I, p. 245.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٨٤.

(3)Roger of Wendover, Flowers, I, p. 501.

(4)Odo of Deuil, De Profectione, p. 119.

(إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص٢٠٢-٢٠٣).

وموت عدد كبير منه، وفي ظل هذه الظروف لم يكتف السلاجقة بذلك، بل ضاعفوا هجماتهم على الجيش الفرنسي، وهكذا استمرت خسائر الفرنسيين في التزايد حتى وصلوا إلى أضاليا في **٢٠** يناير(١).

إذا كان الفرنسيون اعتقدوا أنهم عندما يصلون إلى أضاليا سوف يستعيدون قوتهم ويحصلون على الطعام الذي كانوا في أمس الحاجة إليه، فإن شيئًا من ذلك لم يحدث، فالمؤن التي حصلوا عليها من هذه المدينة كانت قليلة للغاية، ومرتفعة الأسعار، علاوة على ذلك لم يتوفر العلف لخيولهم التي كانت تموت جوعًا، في الوقت الذي لم يكن في مقدورهم إخراجها لترعى في السهل المحيط بالمدينة، وذلك لتعرض المنطقة المحيطة بأضاليا في ذلك الوقت للتهديد السلجوقي(٢).

وفي هذا الصدد يتهم أودو سكان أضاليا بأنهم كانوا لا يرغبون في تقديم الأعلاف لخيول الفرنسيين(٣)، لكن يبدو أن سبب ذلك كان يرجع إلى طبيعة هذه المدينة التي تقع في إقليم قروي فقير يتعرض باستمرار للهجوم السلجوقي، الذي جعل سكان هذه المدينة لا يستطيعون زراعة حقولهم، بل إنهم كانوا يحصلون على بعض احتياجاتهم بالسفن عن طريق البحر، فضلاً عن أن ما كان لدى المدينة من مخزون من المؤن قد تناقص بشكل كبير، بعد أن زودت أتباع أوتو الفريزي منذ قليل باحتياجاتهم(٤).

على أي حال ترتب على هذه المعاناة الشديدة أن قرر لويس السابع الرحيل من أضاليا، وبعد عدة مناقشات مع قادته وحاكم المدينة، قرر اتخاذ الطريق البحري بدلًا من مواصلة السير برًا عبر آسيا الصغرى إلى بلاد الشام.

إنه لمن الغريب حقًا أن يتراجع الملك الفرنسي عن مواصلة رحلته على هذا الطريق عبر آسيا الصغرى، وهو الطريق الذي قال عنه لنبلائه في أضاليا: «دعونا نتبع الطريق

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 125-127-129؛ Oman, Art of War, I. p. 248؛ Mills, Crusades, p. 282؛ Finlay, Hist. Greece, 3, p. 168..

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 129-131؛ Berry, Second Crusade, p. 501؛ Riley-Smith, Crusades, p. 101؛ Vryonis, Decline, pp. 151-152.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 219.

(4)Chalandon, Les Comnenes, p. 313؛ Vryonis, Decline, p. 152.

رنسيمان، الحروب الصليبية، ج**٢**، ص**٤٣٩**.

الذي سار عليه آباؤنا بدافع من حماستهم التي ليس لها مثيل، والتي جعلتهم يحققون السيادة على الأرض والمجد في السماء»[١]، خاصة وأنه لم يتبق له في رحلته سوى مسافة قليلة، ويصل بعدها إلى بلاد الشام.

مما لا شك فيه أن السبب وراء تراجع لويس السابع عن مواصلة رحلته برًا يكمن في الصعوبات التي لقيها جيشه أثناء رحلته في آسيا الصغرى، وأدت إلى القضاء على معظمه، وسيطرت بذكرياتها الدامية على فكره، وأصابته باليأس والإحباط مما اضطره إلى عدم المجازفة مرة أخرى بمواصلة رحلته على هذا الطريق الذي يحمل له ولبقايا جيشه الهلاك[٢].

ولحسن الحظ أن جاء على لسان القادة الفرنسيين أسباب اختيار الطريق البحري، وذلك عندما حاول هؤلاء إقناع لويس السابع باتباعه الأمر الذي يصور حالة الجيش الفرنسي بعدما حل به من كوارث في آسيا الصغرى، وعبر أودو عن ذلك بقوله: «... لكن ينبغي على الفارس الحكيم أن لا يقدم إلا على ما هو ممكن فقط، وبما أنهم ألقوا سلاحهم، فإن جميع الفرسان انحط وضعهم في هذه الأيام إلى جنود مشاة، كذلك تعرض العديد من الأشراف لنفس المصير، هذا فارس لا يستطيع شراء الخيول، وآخر لا يجد خيول معروضة للبيع، وقد علموا من السكان المحليين أن الرحلة إلى أنطاكية تستغرق ثلاثة أيام بتموين جيد، وأيام آمنة من ميناء إلى آخر لكن الرحلة برًا تستغرق أربعين يومًا، وتعترضها العراقيل ومواجهة الأعداء والقحط، لذلك فإنهم يرغبون في ركوب البحر كما يفعل المشاة الذين انعدمت شجاعتهم بسبب التعب، وانعدام المال والطعام»[٣].

وقد طلب لويس السابع من حاكم أضاليا إعداد أسطول لنقل الفرنسيين إلى أنطاكية، وأثناء فترة انتظار الفرنسيين تجهيز الأسطول استغل السلاجقة حالة الضعف التي أضحوا عليها وعدم وجود خيول لديهم وقاموا بالهجوم عليهم، كما انتهز سكان المدينة فرصة قرب رحيل الفرنسيين، وعملوا على استنزاف ما تبقى معهم من أموال،

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 131.

(2)Grousset, Croisades, 2, p. 243؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 313.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 131.

فباعوا لهم ما احتاجوا إليه بأسعار مرتفعة للغاية، مما دفع أودو إلى القول:«إنني اعتقد حقًا بأننا قد دفعنا في هذه المدينة ثمنًا أغلى مما دفعناه في كافة الأزمات التي واجهتنا في رحلتنا بأكملها وذلك بسبب تأخيرنا»[١].

وبالرغم مما تنطوي عليه هذه العبارة من المبالغة إلا أنها توضح استمرار معاناة الفرنسيين في أضاليا، والتي لم تنته بوصول السفن إليهم، إذ كانت أعدادها غير كافية لنقل جميع الفرنسيين، كما أن تكلفة النقل (٤ ماركات) كانت تفوق إمكانات عدد كبير منهم، وبذلك رحل لويس السابع مع قادته الأساسيين، وترك بقية الجيش في أضاليا يواجه مصيره[٢].

لكن لماذا أصر لويس السابع على مواصلة الرحلة بحرًا عندما وصلت السفن ووجد عددها غير كاف لنقل جيشه؟، وهل كان واجب القائد نحو جيشه أن يتركه وقت الضيق ويهرب؟!، لماذا لم يحاول الملك الفرنسي إعادة حساباته من جديد ويسلك الطريق البري ويكون مصيره ومصير جيشه واحدًا بدلًا من أن يترك جيشه للأقدار تطوح به كيفما تشاء؟، ألم يفكر في مصير هؤلاء البؤساء الذين فقدوا أموالهم وأسلحتهم وخيولهم وأصابهم المرض والإحباط فيما سيتعرضون له بعد رحيله؟، وهل صعوبة إتمام الرحلة برًا عبر آسيا الصغرى هي التي دفعته لأن يقوم بهذا العمل؟ الذي دفع أحد الباحثين إلى اتهامه بالسلبية في كل مواقفه ومعاركه مع السلاجقة، وأنه كان مستعدًا لقبول المحن والاستسلام في أي وقت، معتقدًا أن الواجب المقدس يفرض على الحجاج ذلك في سبيل رحلتهم المقدسة[٣].

في الواقع أن إلقاء اللوم كله على لويس السابع فيه شيء من التجني عليه؛ ذلك لأن الكارثة التي حلت بجيشه في آسيا الصغرى كانت فوق كل احتمال، فما واجهه الجيش الفرنسي من صعوبات خلال رحلته السابقة كانت تحتم على أي قائد أن يتخذ موقفه

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 133-135؛(Chalandon, Les Comnenes, p. 314).

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 135-139؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 314. Riley-Smith, Crusades, p. 101؛ Stevenson, Crusaders, p. 159.

(3)Crabois, Crusade of King Louis, pp. 98-99.

خوفًا من تكرار المعاناة مرة أخرى، وكيف كان له أن يتراجع عن قرار السير بحرًا، ويسير عبر آسيا الصغرى بهذه القوات الهزيلة المنهكة، التي لا تملك شيئًا يمكن أن تدافع به عن نفسها، وتواجه عدوًا يفوقها عددًا وعدة، من هنا كان إصرار لويس السابع على الرحيل بحرًا هو الحل الوحيد أمامه لتجنب مخاطر هذه الرحلة الانتحارية عبر آسيا الصغرى مرة أخرى.

ويبدو أن الملك الفرنسي قد شعر بأنه قد اتخذ الإجراءات اللازمة من أجل راحة وتأمين الفرنسيين الذين تركهم في أضاليا إذ ترك لحاكم المدينة **٥٠٠** مارك لمساعدة الذين يرغبون في الرحيل برًا، وتقديم حامية عسكرية لهم تقودهم بأمان إلى طرسوس، وأما الذين لا يستطيعون ذلك فقد طلب من حاكم أضاليا أن يسمح لهم بدخول المدينة وأن يعتني بأمرهم حتى تتوفر وسيلة لنقلهم، وعين اثنين من قادته للإشراف على تنفيذ هذا الاتفاق، والاهتمام بأمر هؤلاء والدفاع عنهم[١].

أما عن مصير هؤلاء الذين تركهم لويس السابع خلفه في أضاليا، فيمكن القول: بأنه إذا كان الفرنسيون قد تعرضوا حتى ذلك الوقت للعديد من الصعوبات في أضاليا، فإن ذلك لا يقارن بما وقع لهم بعد رحيل الملك الفرنسي عنهم، ففي اليوم التالي من رحيله، وعندما علم السلاجقة بذلك قاموا بالهجوم عليهم، مما دفعهم إلى أن يطلبوا من حاكم المدينة تنفيذ اتفاقه مع لويس السابع، لكنه ماطلهم وطلب منهم الانتظار، وزادت معاناتهم عندما رحل نواب الملك الفرنسي-مقتدين بسيدهم- فاستغل السلاجقة هذه الفرصة وضاعفوا من هجماتهم عليهم، وقتلوا عددًا كبيرًا منهم، هذا بالإضافة إلى من قتله الجوع، بعد أن دفعوا كل ما كان لديهم من أموال في شراء الطعام، ومن قتله المرض نتيجةانتشار الوباء بسبب تعفن الجثث، عند ذلك قرر هؤلاء الرحيل من أضاليا عسى أن يجدوا مخرجًا لهم من الموت المحقق فيها[٢].

---

(1)Odo of Deuil, De Profectione, p. 137؛ Berry, Second Crusade, pp. 501-502؛ Chalandon, Les Comnenes, p. 314.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, pp. 139-141؛ Grousset, Croisades, 2, pp. 244-245؛ Berry, Second Crusade, p. 503؛ Rousset, Croisades, p.179؛ Mills, Crusades, 2, p.383.

ويرى دوجان Duggan أن الذي دفع هؤلاء -أيضًا- إلى الرحيل هو أنهم علموا بأن حاكم المدينة قد عزم على بيعهم في سوق الرقيق للمسلمين فهربوا نجاة بأنفسهم[١]،ورحلوا برًا عبر آسيا الصغرى دون قادة أو أموال أو أسلحة أو إمدادات أو حتى مرشدين، فتعرضوا لهجوم السلاجقة الذين قضوا عليهم جميعًا، ولم يصل منهم سوى حفنة قليلة إلى بلاد الشام[٢].

على هذا النحو كان مصير الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى، فبالرغم من اتخاذه الطريق الساحلي، خشية أن يلقى نفسه مصير الألمان إلا أنه هو الآخر قد تكبد خسائر فادحة أثناء عبوره آسيا الصغرى، بل لقد ندم لويس السابع نفسه على اختياره هذا الطريق بقوله: «ليغفر الرب للإمبراطور الألماني، ذلك أن رغبتنا في تجنب حظه العاثر، ثم استجابتنا لنصيحته التي تنقصها الخبرة واتباعها هو الذي أوقعنا في هذه الشدائد والصعوبات المشئومة»[٣].

فكانت رحلته عبر آسيا الصغرى شاقة وبطيئة، تعرض خلالها الفرنسيون للهجوم السلجوقي المستمر، هذا بالإضافة إلى الجوع والعطش وبرودة الطقس وموت الخيول وحيوانات الحمل، كما أن الجبال الذي تسلقوها والأنهار التي عبروها زادت من خسائرهم في الأرواح التي تكبدوها على أيدي السلاجقة، الأمر الذي أدى إلى تحول الجيش الفرنسي إلى بقايا هزيلة، بحيث لم يصل منه إلى بلاد الشام سوى فلول أنهكها الجوع والجهد[٤]، وعبر أحد الباحثين عن ذلك بقوله: إن كارثة الجيش الفرنسي في آسيا الصغرى كانت تساوي أو تزيد على كارثة حملة سنة **١١٠١**م[٥].

مما سبق يتضح ما وقع لقوات الحملة الصليبية الثانية الذي عبر وليم الصوري عن ضخامتها قائلاً: «إنه لم يحدث قط أن كان ثم جيش يكافئ هذا الجيش الزاحف في

(1)Duggan, Crusades, p. 116.

(2)Odo of Deuil, De Profectione, p. 114؛ Duggan, Crusades, p. 315؛ Brundage, Crusades, p. 113.

(3)Odo of Deuil, De Profectione, p. 137.

(4)Brundage, Crusades, p.113؛ Rousset, Croisades, p. 179؛ Mills, Crusades, I, p.282؛ Magdalino, Manuel I Komnenos, p.51

(5)Fletcher, Western Europe, 2, p. 381.

كثافته وكثرة رجاله، حتى قيل إن خيالته وحدها تغطي سطح البلد كله ولا تكفيهم مياه أكبر الأنهار للشرب، ولا تسد جوعهم وتشبع بطونهم أوفر الحقول إنتاجًا»(١)، في آسيا الصغرى من صعوبات الأمر الذي جعل من المستحيل على هذه الحملة-بعد أن فقدت معظم قواتها- أن تستطيع تحقيق الهدف الذي جاءت من أجله إلى الشرق، وهو استرداد إمارة الرها الصليبية، أو حتى النجاح في تقديم يد العون والمساعدة لصليبيي الشرق(٢). بل إنه في الاجتماع الذي عقد في عكا بين قادة هذه الحملة وصليبيي الشرق لم تتم الإشارة إلى هذا الأمر على الإطلاق، وتم-على نحو غير متوقع- اتخاذ قرار بالهجوم على دمشق، الذي كان حاكمها معين الدين أنر، الحليف الوحيد لمملكة بيت المقدس الصليبية(٣).

هكذا تتابعت الأحداث وفشلت الحملة الصليبية الثانية أمام أسوار دمشق، عندئذ رحل كونراد الثالث وتبعه لويس السابع مع ما تبقى من رجالهما دون أن ينجزا أي عمل مشرف، أو يحققا أي هدف من وراء قيامهما بهذه الحملة(٤)، وعبر وليم الصوري عن ذلك بقوله: «... لكن لازمهم سوء الطالع وشؤم النذير كما لو كانوا قد بدءوا سفرهم على غير رضى من رب غاضب عليهم، فعاقبهم على خطايا الإنسان، ولم يتيسر لهما إنجاز أي شيء يرضيه طوال رحلة حجهم هذه، بل إنهم زادوا من شقاء الذين جاءوا

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٠-٢٧١.

(2)Riley-Smith, Crusades, p. 101؛ Brehier, Croisades, p. 107. Lamb,Crusades, p. 26؛ Wise, Wars, p. 22.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الهجوم على دمشق والحملة الصليبية في بلاد الشام:
ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٩٨-٣٠٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٥٣-٣٥٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج١، ص١٨٥-١٩١؛ قتيبة الشهابي، صمود دمشق أمام الحملات الصليبية مستخرجة من نصوص المؤرخين العرب والأجانب، (دمشق ١٩٩٨)، ص٥٩؛ صلاح ضبيع، دور الألمان، ص١١٦-١٣١.

(4)Chronico Mauriniacensi, p. 88؛ Chronico Ecclesiae, p. 216. Annales Magdeburgenses, p. 188؛ William of Newburgh, English Affairs, I, p. 95؛ Gervase of Canterbury, Historical Warks, ed Stubb, W., R.S., 73, (London 1879-1880), p. 137.

لخدمتهم، ومد يد الإنقاذ لهم»(١).

وكان وليم الصوري محقًا في ذلك، فقد جاءت هذه الحملة لمساعدة صليبي الشرق، إلا أن فشلها أدى الى استهانة المسلمين بقوة الصليبيين، الأمر الذي شجعهم (المسلمين) على القيام بالهجوم عليهم، ومن ثم أخذوا في مهاجمة ما جاورهم من إمارات وممتلكات صليبية، واسترداد ما سبق أن استولى عليه الصليبيون، وبهذا كانت هذه الحملة الصليبية نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية بصفة عامة، وصليبي الشرق بصفة خاصة(٢).

على أي حال يمكن القول بأن قائدي هذه الحملة قد حكما عليها بالفشل منذ البداية؛ إذ رفضا اتخاذ الطريق البحري السهل للوصول إلى الشرق، واختارا-بدون تعقل- الطريق البري الصعب بدلًا منه دون أن يتعظا بما تعرضت له الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى من عقبات، وما تلاها من إبادة لحملة سنة **١١٠١**م في هذا الإقليم، وبذلك وضعا جيشهما تحت رحمة السلاجقة وقدما لهم فرصة ذهبية للقضاء على هذين الجيشين(٣).

وبذلك فشلت الحملة الصليبية الثانية بالرغم مما توفر لها من أسباب النجاح من قيادة رائعة، فلأول مرة يشارك الملوك بأنفسهم في حملة صليبية، هذا بالإضافة إلى الأموال الضخمة التي أنفقت في إعداد هذه الجيوش وتسليحها(٤)، الأمر الذي يوضح الدور الذي لعبه إقليم آسيا الصغرى في فشل هذه الحملة من ناحية، وحماية الشرق الإسلامي من جيوشها الجرارة من ناحية أخرى، وما كان سيترتب على وصولها بكامل

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج**٣**، ص**٢٩٦**.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص**٤٩٥-٤٩٦**؛ عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب تجارية- ثقافية- صليبية، ترجمة/ فيليب صابر سيف، (القاهرة **١٩٧٢**)، ص**٦٠**؛ بسام العسلي، الأيام الحاسمة، ص**٧٣**.

(3)Chronico Mauriniacensi, p. 88.

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج١، ص**٤٥٢-٤٥٣**.

(4)Chronico Mauriniacensi, pp. 88؛ Gervase of Canterbury, Historical Warks, p. 137.

- السيد الباز، الحروب الصليبية، ج١، ص**٥٤٦**.

قواتها من نتائج خطيرة، عبر عنها السلطان مسعود في رسالته للحكام المسلمين عندما طلب مساعدتهم للتصدي لهذه القوات، وذكر ذلك وليم الصوري بقوله: «... لو تمكنت هذه الجيوش الضخمة المسلحة من المرور بأراضيه (السلطان مسعود) دون أن تلقى مقاومة، فإنها لابد وأن تخضع المشرق كله لسيطرتها بقوة السلاح»[1].

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٧٢.

نهاية جيش فردريك بربروسا في آسيا الصغرى:

«إذا أردت أن أتحدث عن المضايقات والاضطهادات والجوع والعطش والمكر والخداع التي تحملها الجيش الألماني ليل نهار بلا انقطاع في أراضي الأتراك من أجل المسيح... لما استطعت الحديث عنها، ولو كنت أتقن لغات البشر والملائكة جميعًا... ولو كان الشهير هوميروس، والفصيح لوكانوس، وشاعر مانتوا نفسه (فيرجيل) على قيد الحياة وأرادوا وصف ما عانيناه من مشاق لوضعوا أيديهم على أفواههم وصمتوا»[١].

بهذه العبارة البالغة الدلالة عبر انسبرت عن الصعوبات التي واجهها الجيش الألماني في آسيا الصغرى، ذلك الجيش الضخم الذي شهد نهايته المفجعة في ذلك الإقليم، تلك النهاية التي وضع قائده فردريك بدايتها باختياره الطريق البري المشئوم وتفضيله على الطريق البحري ليكون طريقًا لحملته للوصول إلى الشرق.

لكن ما هو الدافع الذي جعل فردريك يسلك الطريق البري بالرغم من أن بعض رجال دولته اعترضوا على ذلك، ودعوا إلى حملة تسلك الطريق البحري بدلًا من اجتياز جبال ووديان وعره؟[٢]، الواقع أن فردريك لم يكن يجهل صعوبات الطريق البري، الأمر الذي دفعه إلى الاستعداد التام قبل أن يسلك ذلك الطريق سواء بإرسال السفراء إلى البلاد التي سيمر بها لتأمين عبور جيشه، أو بتنظيم هذا الجيش على أحسن ما يكون حتى يجنب نفسه وجيشه ما وقع للحملة الصليبية الثانية من عقبات في ذلك الطريق[٣]، ولكن يبدو أن ما دفع الإمبراطور الألماني إلى اتخاذ ذلك الطريق هو ضخامة جيشه، إذا رأى أنه من السهل أن ينقل هذا الجيش برًا بالتفاوض مع حكام البلاد التي سيمر بها، بينما كان من الصعب إعداد أسطول لنقل هذا الحشد الذي يشكل ضغطًا كبيرًا على أي

---

(1)Ansbert, Historia, pp. 88-89؛ (Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 513).

(2)Ansbert, Historia, p. 13.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول استعدادات فردريك:

Pacaut, Frederick Barbarossa, p. 202؛ Johnson, Crusades, p. 91؛ Riley-Smith, Crusades, p. 202.

حامد زيان، فردريك بربروسا، ص٢٢.

ميناء، وربما كان سبب ذلك أيضًا هو اعتقاده أن الطريق البري أقل خطورة من ركوب البحر[1]، وأهم من هذا كله أن سلاجقة الروم-الذين شكلوا العقبة الرئيسية لأي حملة صليبية اجتازت هذا الطريق حيث قضوا على بعضها وأضعفوا البعض الآخر- كانوا أصدقاء له، وعلى هذا الأساس انتهز فردريك سنة (**٥٨٤هـ/١١٨٨م**)، عندما كان يستعد للمشاركة في الحملة الصليبية، الفرصة لإحياء علاقات الصداقة القديمة، وأرسل جودفري فون ويزنباخ Godfrey Von Wiesenbach إلى قليج أرسلان الثاني يخبره بأمر حملته، ويطلب منه تسهيل عبور الجيش الألماني عبر أراضيه، فوافق السلطان السلجوقي على طلبه وأرسل له سفارة بصحبة جودفري وبرئاسة توكيلي Tokili محملة بالهدايا-كانت تتألف من **١٠٠٠** رجل و**٥٠٠** حصان- أكدت موافقته، ووعدت بالمرور الآمن للجيش الألماني وتقديم المؤن، وكل ما يحتاج إليه من مساعدات أثناء عبوره أراضيه[2].

على هذا النحو اطمأن قلب فردريك من ناحية سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ولم يكن يتوقع على الإطلاق ما وقع له ولجيشه من صعوبات في هذا الإقليم، تلك الصعوبات التي بدأت بدخول الجيش الألماني آسيا الصغرى في ربيع أول سنة (**٥٨٥/ ٤** إبريل سنة **١١٨٩**م)، حيث قامت جماعات من البيزنطيين بالهجوم عليه بعد عبوره أحد الأنهار الذي وجد صعوبة كبيرة في اجتيازه بسبب ارتفاع فيضانه، وفقد نتيجة لذلك عددًا من رجاله، وبالرغم من تصدي الألمان لهذه الجماعات البيزنطية إلا أنهم ظلوا يطاردونهم حتى قرب مدينة فيلادلفيا[3]. (انظر الخريطة رقم **٤**).

---

(1)Vinsovfs, Itinerary of Richard I, p. 92؛ Johnson, Crusades, p. 91؛ Pacaut, Frederick Barbarossa, p. 201؛Munz, Frederick Barbarossa, p. 388.

(2)Ansbert, Hsitoria, p. 67؛ Johnson, Crusades, p. 91؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, pp. 26-27.

(3)Ansbert, Historia, p. 72.

- يتهم انسبرت هنا البيزنطيين بالخيانة وأنهم لم يلتزموا بالإتفاقية المعقودة بين إسحاق وفردريك، ولكن هذه الجماعات التي تحدث عنها انسبرت وقامت بالهجوم على الألمان كانت جماعات من اللصوص وقطاع الطرق التي لم تكن تلتزم بأي اتفاق أو تخضع لسلطة حكام المدن وهذا ما أكده صاحب تاريخ الحجاج.
=

هذا بالإضافة إلى أن الجيش الألماني عانى من صعوبة الحصول على المواد الغذائية عند وصوله إلى مدينة فيلادلفيا، التي رفض سكانها أن يبيعوا للألمان أي مؤن، فقاموا بالهجوم على الحقول ونهبوا المحاصيل، مما أدى إلى نشوب بعض المصادمات مع سكان المدينة انتهت برحيل الجيش الألماني عنها، وفي أثناء ذلك قام سكانها بمهاجمة مؤخرة الجيش[1]؛ وربما كان سبب ذلك هو رغبتهم في الانتقام لما أحدثه الألمان من سلب ونهب في مدينتهم.

على أي حال إذا كان الجيش الألماني قد تعرض لبعض الصعوبات أثناء اجتيازه المنطقة البيزنطية في آسيا الصغرى، إلا أن ذلك كله لا يساوي شيئًا إذا ما قورن بما سيواجهه من عقبات بعد ذلك، والتي بدأت بدخوله منطقة الحدود بين الممتلكات البيزنطية والسلجوقية في آسيا الصغرى التي كانت تتعرض باستمرار لنهب القبائل التركمانية (الأوج)[2]، التي قامت بمهاجمة الجيش الألماني عند وصوله إلى هذه المنطقة، هذا بالإضافة إلى أن الطريق الذي عبره الجيش الألماني حتى مدينة تيروبوليس (الصغرى) Tripolis (Minor)-التي وصل إليها في **٢٣** إبريل[3]- كان يعبر منطقة

=

Ansbert, Historia, p. 72؛ Historia Peregrinorum, p. 153.

(1)Ansbert, Historia, pp. 73-74؛ Historia Peregrinorum, pp. 154-155؛ Choniates, Annales, p. 226.

(**٢**) التركمان الأوج، أطلقت المصادر العربية والسريانية على القبائل التركمانية الموجودة على الحدود البيزنطية السلجوقية اسم "أوج" أي رجال الحدود، أما المصادر البيزنطية فقد أطلقت عليهم اسم تركمان Turkomanoi، في حين أطلق عليهم اللاتين اسم "أتراك البرية Turcisive أو البدو Bedewini، وأرسلت الدولة السلجوقية هؤلاء التركمان إلى هذه المناطق الحدودية للدفاع ضد الدولة البيزنطية ومواصلة الجهاد الإسلامي ضد المسيحيين، وبذلك نقلتهم بعيدًا عن أملاكها وحققت هدف الجهاد، وكانت هذه القبائل التركمانية لا تعرف حياة الاستقرار وإنما اتسمت حياتها بالحركة والإنتقال".

لمزيد من التفاصيل:

Historia Peregrinorum, p. 155؛ Vryonis, Decline, pp. 185-193. Idem, Nomadization and Islamization, pp. 43-71؛ Cahen, Per-Ottoman Turkey, pp. 149-150؛ Wittek, Deux Chapitres, p. 297.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج **١**، ص**٣٢٨**.

(**٣**) تيروبوليس، تقع غرب آسيا الصغرى إلى الشمال من هيرابوليس بالقرب من نهر المياندر.

لمزيد من التفاصيل:

=

جبلية شديدة الانحدار مما أدى إلى انزلاق الكثير من الخيول وعربات البضائع أثناء السير، ونفذت مؤن الألمان في ذلك الوقت، ولم يعد معهم سوى الخبز[١]، (انظر الخريطة رقم **٤**)، وزاد من معاناتهم عجزهم عن الحصول على أي مؤن من المدن الموجودة على جانبي هذا الطريق؛ ذلك لأنها كانت في حالة يرثى لها من الخراب والدمار؛ بسبب تعرضها لهجوم القبائل التركمانية المستمر، الأمر الذي أدى إلى نزوح سكانها عنها، وبذلك لم يجد الجيش الألماني أرضًا مزروعة أو مدنًا عامرة يمكنه الحصول منها على احتياجاته وخير مثال على ذلك مدينة هيرابوليس Hierapolis التي وصل إليها في **٢٥** ابريل[٢].

إلا أن الجيش الألماني لم يلبث أن حصل على كل ما احتاج إليه من مؤن في مدينة لأودكيا-وصل إليها في **٢٥** ابريل وهي آخر الممتلكات البيزنطية- التي استقبل سكانها فردريك وجيشه أحسن استقبال، وقدموا له المؤن والإمدادات[٣].

بعد مدينة لأودكيا دخل الجيش الألماني المنطقة السلجوقية في آسيا الصغرى، وبدلًا من أن يواصل رحلته جنوبًا ويسلك الطريق الساحلي مثلما فعل لويس السابع أثناء الحملة الصليبية الثانية، نجده يتجه-على نحو غير متوقع- إلى الشرق متخذًا الطريق الروماني القديم المار بـ آباميا Apamea[٤] وأنطاكية-بيسديا- ثم قونية،

=

Ramsay, Historical Geography, p. 121.

(1)Ansbert, Historia, p. 74؛ Eickhoff, E., Friedrich Barbarossa Im Orient, Kreuzzug und Tod Friedreichs I, (Tubingen 1977), pp. 97-98.

(2)Historia Peregrinorum, p. 154؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, p. 97.

- هيرابوليس، مدينة في فريجيا جنوب غرب آسيا الصغرى، تدل حفرياتها على أنها كانت عامرة بالكنائس، لكنها تعرضت للدمار وهجرها سكانها.

O.D.B., 2, p. 928.

(3)Ansbert, Historia, p. 75؛ Choniates, Annales, pp. 226؛ Eickhoff, Friedrick Barbarossa, p. 101؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, p. 28.

(٤) آباميا، هي دينار الحالية Dinar تقع في فريجيا ويمر بها الطريق التجاري الهام الذي يربط شرق آسيا الصغرى بغربها.

لمزيد من التفاصيل:

Ramsay, Historical Geography, pp. 40-41, 180.

ويتعرض بذلك لمعاناة شديدة طيلة **٢٠** يومًا، عبر عنها انسبرت بقوله: لقد لقينا على مدى **٢٠** يومًا-من **٢٨** إبريل إلى **١٨** مايو- ما لم نلقاه منذ دهر الدهور[١]. (انظر الخريطة رقم **٣، ٤**).

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام وهو: لماذا لم يتابع فردريك سيره نحو الجنوب وينقذ نفسه من هذه المعاناة، بدلًا من أن يسلك هذا الطريق الذي لم يسبق لأي حملة صليبية اتخاذه؟.

يجيب على هذا السؤال صاحب ذيل تاريخ وليم الصوري، إذ يذكر بأن ما دفع الإمبراطور الألماني إلى اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة هو معرفته بأن السلطان السلجوقي عزم على منعه من عبوره بلاده وذلك عندما علم بأمر توقيع المعاهدة بينه وبين الإمبراطور البيزنطي إسحاق أنجيلوس، ومن هنا أمر بغلق الطرق والممرات التي سيعبرها الجيش الألماني معتقدًا أنه سيسلك الطريق المباشر بعد لأودكيا، مما اضطر فردريك إلى تجنب هذا الطريق واتخاذ طريق آخر غير مباشر[٢]، إلا أن هذا الطريق كان طويلاً وشاقًا، ويخترق منطقة صحراوية جدباء، الأمر الذي أصاب الألمان بالضعف والمرض، وأدى إلى هلاك الكثير من الخيول وحيوانات الحمل، وبذلك تحول العديد من الفرسان الألمان إلى مشاة، هذا بالإضافة إلى مهاجمة التركمان الأوج، فبالرغم من أن هذه المنطقة تقع داخل نطاق الدولة السلجوقية إلا أن هؤلاء التركمان كانوا السادة الحقيقيين في هذا الجزء من الدولة-الذي يقع بين ضوروليوم وبيسديا- إلى حد يمكن القول معه بأن نفوذ الدولة السلجوقية يبدأ فقط من مدينة سوزبوليس[٣]. (انظر الخريطة رقم **٤**).

ومع تقدم الجيش الألماني على هذا الطريق أخذ هؤلاء التركمان يضاعفون من هجماتهم عليه، وقد أنهك هذا الأسلوب الجديد من القتال-الذي اعتمد على المفاجأة

---

(1)Ansbert, Historia, p. 76; (Historia Peregrinorum, p. 155; Oman, Art of War, I, 249).

(٢) ذيل تاريخ وليم الصوري، ص**٣٥٥**.

(3)Ansbert, Historia, p. 76; Historia Peregrinorum, p. 155; Eickhoff, Friedrich Barbarossa, pp. 105-107, 111-112; Vryonis, Decline. P. 193.

والانسحاب سريعًا لاستدراج العدو بعيدًا إلى الكمائن المعدة لهقوة الألمان، وساعدت طبيعة هذه المنطقة التركمان على ممارسة أساليبهم القتالية التي قاموا بها عدة مرات، والتي لم تعط للألمان الفرصة لالتقاط أنفاسهم، لدرجة أنهم كانوا يتناولون طعامهم وينامون والأسلحة في أيديهم والدروع على أجسامهم، كأنهم في قلب معركة مستمرة، وذلك استعدادًا للهجوم التركماني عليهم في أية لحظة[١].

لكن لماذا هاجم هؤلاء التركمان جيش فردريك، ألم يعلموا أن قليج أرسلان الثاني، وعده بالمرور الآمن عبر أراضيه?، كما أن الجيش الألماني لم يعتدِ عليهم أو يسلبهم مواشيهم أو محاصيلهم، الأمر الذي أصاب الألمان بالدهشة والإحباط نتيجة لهذا الهجوم الغير متوقع في أراضي أصدقائهم السلاجقة، وعبر انسبرت عن ذلك بقوله: «وقد عبرنا أراضيهم آملين ألا يسببوا لنا أي إزعاج أو ضرر؛ لأننا دخلنا مسالمين، وكأصدقاء... لكنهم فجأة خيبوا كل آمالنا، وانقلبوا من أصدقاء إلى ألد الأعداء، وراحوا يمطروننا بسهامهم، ويهاجموننا بلا انقطاع مقدمين لنا الهلاك بدلًا من الغذاء»[٢].

بيد أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته هو أن هذه القبائل التركمانية لم تكن تخضع لسيطرة الدولة السلجوقية، وهذا ما ذكره مبعوثي قليج أرسلان الثاني الذين صاحبوا الجيش الألماني من لأودكيا، وأخبروا فردريك أن هؤلاء التركمان جماعات من البدو الرعاة الذين لا يرضخون لأية سلطة، بل إنهم لا يتورعون عن الاعتداء على أملاك السلطان السلجوقي نفسه، وبناء على ذلك لم يكن التركمان يلتزمون بأي وعد يقدمه قليج أرسلان الثاني لفردريك، فكان ما يهمهم هو الحصول على الغنائم دون التفكير فيما سيترتب على نهبهم هذا من نتائج سيئة على العلاقات بين الطرفين[٣].

---

(1)Vinsovfs, Itinerary of Richard I, pp. 96-97؛ Ricardo, Chronicles and Memorials of The Reign of Richard I, ed., Stubbs W.,R.S., (London 1964), p. 50؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, pp. 111-112.

(2)Ansbert, Hsitoria, p. 76؛ (Historia Peregrinorum p. 155؛ Ricardo, Chronicles, p.48).

(3)Historia Peregrinorum, p. 156؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, p. 111؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, pp. 28-29.

فبالرغم من الميل الطبيعي لهذه القبائل للسلب والنهب، إلا أنه من الصعب إغفال أن هؤلاء التركمان كانوا مسلمين، وأن أساس وجودهم في هذه المناطق الحدودية هو الجهاد في سبيل الله، وأنهم كما يقول فريونس: كان تحركهم روح الحرب المقدسة ضد المسيحيين، ويتضح ذلك من خلال تقديرهم لأضرحة الفاتحين المسلمين هناك، ومن ثم كانوا دائمًا يقومون بالهجوم على الممتلكات والجيوش البيزنطية دون مراعاة للمعاهدات المعقودة بين الجانبين البيزنطي والسلجوقي مثلما حدث لجيش مانويل أثناء عودته من معركة ميريوكيفالون، مع أنه ليس جيشًا صليبيًا، فماذا سيكون الوضع مع الجيوش الصليبية، وبهذا كان من الطبيعي أن يقوم هؤلاء بالاعتداء على الجيش الألماني الذي يتجه لقتال المسلمين في بلاد الشام، سواء قاموا بذلك من تلقاء أنفسهم، أو شجعهم على القيام به أبناء قليج أرسلان الثاني خاصة وأنهم سيقفون إلى جوارهم أكثر من مرة أثناء قتالهم للجيش الألماني[١].

ومهما يكن من أمر فقد استمرت مطاردة هذه القبائل التركمانية للجيش الألماني حتى وصوله مدينة سوزبوليس، التي نشبت بعدها بمسافة صغيرة -في **٢** مايو- معركة بين الطرفين حالف الحظ فيها هؤلاء التركمان الذين تمكنوا من قتل حوالي **٣٠٠** شخص من الألمان، وساعدهم على تحقيق ذلك ما حل بالجيش الألماني في ذلك الوقت من جوع وعطش شديدين[٢].

بعد ذلك بقليل وقبل أن يفيق الجيش الألماني من هذه الصدمة، كان عليه مواجهة صعوبة جديدة، فقد احتشد جيش سلجوقي ضخم لقتاله (يتألف من **٣٠** ألف محارب) بقيادة أبناء السلطان قليج أرسلان الثاني، حكام مدن أنقرة وقيصرية، وفيلومليون، مع العديد من القبائل التركمانية، وانتظر هذا الحشد الجيش الألماني عند ميريوكيفالون في **٣** مايو، وقد علم بذلك فردريك، وحتى يجنب جيشه الوقوع في هذا الكمين سلك طريقًا غير مباشر بمساعدة أسير تركي أجبره على إرشاده، (انظر الخريطة رقم **٤**)، إلا أنه كان على الجيش الألماني في هذا الطريق أن يعبر جبلاً شاهقًا انزلقت أثناء صعوده العديد من

---

(1)Vryonis, Decline, p. 193؛ Idem, Nomadization and Islamization, pp. 49-50؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, p. 24.

(2)Ansbert, Historia p. 77.

الخيول وحيوانات الحمل بحمولتها أسفل الجبل، ولم يفلح في الهروب من هجوم السلاجقة الذين كانوا ينتظرونه في أحد ممرات هذا الجبل، وبعد أن عبرت مقدمة الجيش بقيادة الدوق فردريك-ابن الإمبراطور- خرج السلاجقة من كمائنهم وانقضوا على بقية الجيش، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين، ووضع هذا الهجوم المفاجئ فردريك في وضع حرج فأرسل إلى ابنه الدوق فردريك يطلب نجدته، فأسرع الابن لنجدة أبيه واشتبك مع السلاجقة، وأثناء القتال تحطمت خوذته وأسنانه، وأصيب أيضًا عدد من الألمان بالجراح في هذا القتال، بالإضافة إلى قتل عدد آخر، إلا أنهم تمكنوا في النهاية من عبور الجبل والوصول إلى السهل(١).

بعد أنوصل الجيش الألماني إلى هذه المنطقة أصر فردريك على التوجه إلى قونية، ويبدو أن ما دفعه إلى ذلك هو اعتقاده في خيانة قليج أرسلان الثاني لوعوده السابقة له، وأنه كان السبب في كل الصعوبات التي وقعت للجيش الألماني حتى ذلك الوقت، خاصة وأنه وجد في المعركة الأخيرة من يقاتله ليس فقط التركمان، وإنما يقف إلى جوارهم أبناء السلطان، مما زاد من شكوكه، ومن ثم رأى أن يواجه الأمر بشجاعة ويتوجه إلى عاصمته، واضعًا حدًا لهذه الأخطار، وفارضًا مروره بالقوة على ذلك الرجل، وربما-أيضًا- اعتقد أنه بذهابه إلى هناك سيجد طريقًا مباشرًا، بدلًا من الصعوبات التي اعترضت جيشه في الطريق الغير مباشر(٢).

بيد أن الجيش الألماني لم يلبث أن تعرض للعديد من الصعوبات في طريقه إلى قونية، فقد تجددت هجمات التركمان عليه، وفي إحدى هذه المعارك قتل فردريك أف هاوزن Frederick of Hausen مغني الإمبراطور، وبمرور الوقت اشتدت هجمات هذه القبائل التركمانية وزادت أعدادهم، فكانوا «كالإخطبوط يتكاثر بقدر ما تقطع من رؤوسه»، واستمرت مطاردتهم للجيش حتى مدينة فيلومليون، وهناك دارت

---

(1)Ansbert, Hsitoria, pp. 77-88؛ Historia Peregrinorum, pp. 157-159؛ Vinsovfs, Itinerary of Richard I, p. 97؛ Ricardo, Chronicles, pp. 50-51؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, p. 119.

(2)Ansbert, Historia, p. 78؛ Munz, Fredereick Barbaross, p. 395.

ذيل تاريخ وليم الصوري، ص٣٥٥؛ صلاح ضبيع، دور الألمان، ص١٧٣.

رحى معركة شديدة بين أبناء قليج أرسلان الثاني والألمان انتهت بدخول الجيش الألماني المدينة وحرقها في ٧ مايو(١).

وإضافة إلى ذلك فإن الألمان عانوا في هذه الفترة من الجوع والعطش الشديدين، ذلك أن السلاجقة لم يكتفوا بالامتناع عن تقديم المؤن للألمان، بل مارسوا سياستهم المألوفة في حرق المؤن والمحاصيل أو إخفائها داخل الجبال، ولم يكن في مقدور هؤلاء البؤساء التجول في تلك الصحراوات عسى أن يجدوا ما يسد رمقهم، وذلك بسبب مراقبة السلاجقة لتحركاتهم، فكان مصير كل من يحاول الخروج عن الجيش الأسر أو القتل على أيديهم.

ونفذت في تلك المرحلة مؤن الجيش الألماني، لدرجة أن من كان لديه القليل من الدقيق كان يخفيها وكأنها ذهبًا، ودفع هذا الجوع الألمان إلى تناول لحوم الخيل والحمير والبغال، في حين قام البعض الآخر بالهروب إلى السلاجقة وترك الجيش، وبذلك «انضموا للأعداء متخلين عن رسالتهم المقدسة، وغير عابئين بمهمتهم الدينية، أما من أضعفهم الجوع والتعب وعجزوا عن مواصلة السير فقد تركهم الجيش ورائه، فانقض السلاجقة عليهم وقاموا بقتلهم جميعًا»(٢).

في ظل هذه الظروف السيئة استمر الهجوم على الجيش الألماني فحشد السلاجقة جيشًا ضخمًا بقيادة قطب الدين بن قليج أرسلان الثاني، وانضم إليه جماعة من التركمان بقيادة زعيمهم رستم، واستعدوا لقتال الجيش الألماني، وعندما علم فردريك بذلك قام بتقسيم رجاله إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول بقيادة أسقف مونستر، والقسم الثاني بقيادته هو، أما القسم الثالث والأخير فكان بقيادة ابنه الدوق فردريك، ووضع المدنيين في الوسط وأحاطهم بالجنود والمشاة ورماة السهام للدفاع عنهم، وأخذ فردريك والأساقفة يخطبون في الجيش لرفع روح الجنود المعنوية، وبدأت المعركة باشتباك

---

(1)Historia peregrinorum, pp. 159-160؛ Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 513؛ Choniates, Annales, p. 227؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, p. 121.

(2)Ansbert, Hsitoria, pp.79-80؛ Historia Peregrinorum, pp. 160-161؛ Arnold of Lubeck, Chronica Slavorum, ed. Pertz, G.H., M.G.H.ss, 21, (Hanover 168), p. 134؛ Barger, E., In The Track of The Crusaders, (London 1931), p. 176.

القوات السلجوقية مع جبهة الإمبراطور الذي طلب النجدة من ابنه الدوق فجاء إليه مسرعًا، وهاجم قطب الدين وقواته، ووقعت معركة بين الجانبين انتهت بانسحاب قطب الدين وقواته إلى قونية[1].

بالرغم من الانتصار الذي حققه الألمان على السلاجقة، إلا أن الجيش الألماني تعرض في نفس اليوم لعاصفة رملية أدت إلى تشتيت قواته، واستطاع أن يلم شمله بصعوبة، هذا بالإضافة إلى أن المرشد الذي كان يصاحب الجيش انحرف به إلى طرق طويلة وقاحلة، فاشتد به الجوع والعطش لدرجة أن الجنود كانوا ينكبون على جثث الخيول ليشفوا غليلهم بشرب دمائها، في حين كان البعض الآخر يأكلون روث الماشية أو القليل من الحشائش التي يجدونها مصادفة على جانبي الطريق لعلها ترطب جوفهم، الأمر الذي أدى إلى هلاك الكثير منهم، وعندما وجدوا مستنقعًا فإن «ماءه الراكد بدا لهم ألذ من نهر الجنة»، ولكن السلاجقة كانوا قد نصبوا كمينًا لهم هناك، وقاموا بالهجوم عليهم وقتلوا عددًا كبيرًا منهم[2].

فضلاً عن ذلك فقد عانى الألمان من صعوبة السير في هذه الطرق الوعرة، ففي أحيان كثيرة كانت الخيول تعجز عن السير، بل إن الجنود كانوا في بعض الأوقات يعجزون عن السير على الأقدام، فكان فردريك يرسل الرجال لتمهيد هذه الطرق، أو يأمر بإلقاء الخيول أو الحيوانات التي ماتت من شدة المعاناة في الممرات الجبلية لتكون جسرًا يعبر عليه الجيش، الأمر الذي أدى إلى بطء معدلات سير الجيش الألماني، فكانوا «لا يقطعون فرسخًا إلا في يومين»[3].

ولو نظرنا إلى المسافة بين مدينة فيلومليون التي غادرها الجيش الألماني في ٨ مايو، ومدينة قونية التي وصل إليها في ١٨ مايو–وهي ٧٥ ميلاً– نجد أن الجيش الألماني قطع

(1)Ansbert, Historia, pp. 80-81؛ Historia Peregrinorum, pp. 162-165؛Magnus of Reichersberg, Chronica, pp. 513-514؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, pp. 127-128؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, p.24.

(2)Ansbert, Historia, pp. 82-83؛ Historia Peregrinorum pp. 165-166؛Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 514؛ Eickhoff, Friedrich Barbarossa, p. 129؛ Johnson, Crusades, p. 111.

(٣) ذيل تاريخ وليم الصوري، ص٣٥٥؛ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣١٨.

هذه المسافة في ١٠ أيام، مع ملاحظة أنه لم يتوقف في أي منطقة على الطريق، أي أنه سار بمعدل ٧,٥ ميلاً في اليوم الواحد، وهذا معدل منخفض إذا ما قورن بمعدلات سير الجيش نفسه في الجزء الأوربي من الطريق البري التي كانت تتراوح بين ١٣-١٨ ميلاً في اليوم الواحد(١).

واشتدت معاناة الألمان في هذه الفترة لدرجة أنهم عجزوا عن حمل أسلحتهم، فكانوا يقومون بدفنها حتى لا يستولى السلاجقة عليها، أو يشعلون فيها النيران لتتلف ولا ينتفع بها أحد، أو للتدفئة من البرد الشديد الذي أهلك الكثير منهم(٢).

على أي حال أدت هذه العقبات التي واجهت الجيش الألماني عبر رحلته في آسيا الصغرى إلى موت عدد كبير من الألمان «فكان يموت في كل يوم ألوف من الرجال»، هذا بالإضافة إلى قتل الكثير منهم أثناء المعارك مع السلاجقة، وهلاك العديد من الخيول وحيوانات الحمل(٣).

ونتيجة للصعوبات التي واجهها الجيش الألماني في طريقه إلى قونية طلب العديد من الجنود الألمان من فردريك التوجه مباشرة إلى أرمينية، وتجنب الذهاب إلى قونية لعلهم يجدون مخرجًا من هذه المعاناة الدائمة قائلين: إن مدينة كهذه (قونية) لا يمكن للجيش الاستيلاء عليها -وهو في هذه الحالة- لاسيما وأنها تغص في خارجها وداخلها

---

(1)Oman, Art of War, I, p. 249; Nesbitt, J.W., "The Rate of March of Crusading Armies in Europe", T, 19 (1963), p. 180.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٩٤؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق/ سعد كريم الفقي، (الإسكندرية ١٣٤٦)، ص١٠٢؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٤، ص١٢٩، الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق/ ناظم سيد، (العراق ١٩٧٨)، ص١٦٣-١٦٤؛ الحنبلي، الآنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تقديم/ محمد بحر العلوم، ج١، (بغداد ١٩٨٦) ص٣٦٤-٣٦٥.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص١١٤؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، تحقيق/ محمود ديوب، (بيروت ١٩٩٧)، ج٢، ص١٦٤.

Benedict of Peterborough, The Chronicle of The Reigns of Henry II and Richard I, A.D. 1169-1192, ed. Stubbs, W.,R.S., (London 1867), p. 89;

Church, A.J., The Crusaders, A Story of The War for The Holy Sepulcher, (London 1912), p. 119.

بالمحاربين الذين مازالوا يحاصرون جماعتنا في الحقول ويهاجمونها، بحيث يعجزون عن الدفاع عن أنفسهم، لكن رفض البعض الآخر هذا الرأي وقالوا: إن الطريق إلى أرمينية طويل وشاق مما سيؤدي إلى هلاك الجيش جوعًا ومشقة، ومادام سيتعرض الجيش للهلاك في كلتا الحالتين، فمن الأفضل أن يهلك وهو يقاتل السلاجقة، بدلًا من أن يموت موتًا بطيئًا وسط التخاذل والعار، وتم الأخذ بهذا الرأي، وبذلك واصل الألمان سيرهم إلى قونية وهم في حالة شديدة من الجوع والعطش والإعياء، والسلاجقة يحيطون بهم إحاطة الطوق بالمعصم حتى وصلوا قرب قونية في **١٧** مايو[١].

قام الجيش الألماني بنصب معسكره في الحدائق المحيطة بقونية التي كان الألمان «يستلذون حشائشها كطعام الجنة»؛ وذلك لشدة جوعهم، على أنهم لم يلبثوا أن تعرضوا في نفس اليوم لأمطار غزيرة أغرقت خيامهم، فاضطروا إلى البحث عن ملجأ بعيد، وفي اليوم التالي قام فردريك بتقسيم جيشه إلى قسمين: القسم الأول بقيادة ابنه الدوق فردريك وكانت مهمته حصار المدينة، والقسم الثاني بقيادته هو وكان عليه البقاء خارج المدينة للتصدي للسلاجقة إذا ما حاولوا تطويق الدوق فردريك وفرقته، في ذلك الوقت كان قطب الدين قد أعد جيشًا ضخمًا قدره البعض بـ**٣٠٠** ألف، ووقف إلى جواره فرقة كبيرة من التركمان، وكان واثقًا من النصر لدرجة أنه أحضر السلاسل الحديدية لتقييد الألمان بعد هزيمتهم، وتقدم فردريك بقواته لحصار المدينة فتصدى له السلاجقة، ووقعت معركة بين الطرفين عجز الألمان خلالها عن مقاومة هذا الوابل الكثيف من السهام المنطلقة نحوهم والصمود للقتال السلجوقي العنيف، فأسرعوا بالانسحاب، عند ذلك حاول الدوق فردريك جمع شملهم مرة أخرى، وإعادتهم للقتال فخطب فيهم قائلاً: «أيها الأبطال، يا من صمدتم حتى الآن ببسالة في سائر الحروب والمعارك ما لكم الآن تهربون هائمين على وجوهكم نحو الهلاك خائفين من النزال كالعاقين والأنذال... لا مجال هنا للهرب لا ملاذ لكم إلا الإقدام، لابد من الصمود حتى النفس الأخير، فهيا أيها الجنود البواسل عودوا إلى المعركة»، فرجع

---

(1)Historia Peregrinorum, pp. 167-168؛ Vinsovfs, Itinerary of Richard I, p. 97؛ Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 514؛ Arnold of Lubeck, Chronica, p. 136 .

الألمان المنسحبون للقتال واشتبكوا مع السلاجقة في معركة سريعة استطاعوا فيها هزيمة السلاجقة ودخول قونية في **١٨** مايو[١].

على هذا النحو استطاع الدوق فردريك وقواته دخول قونية، أما الإمبراطور فقد اشتد هجوم السلاجقة عليه، مما دفع البعض إلى القول: أنهم جميعا قد أيقنوا الهلاك، وأن الإمبراطور-الذي شهد معارك لا تحصى أنهك فيها منافسيه- بكى في هذه المعركة متحسرًاعلى جيشه الذي أشرف على الهلاك، إلا أنه استطاع في النهاية أن يفيق من هول الصدمة، وأخذ يشجع رجاله على المقاومة حتى استطاع الوصول إلى ابنه في قونية[٢].

بعد أن دخل الألمان قونية أحدثوا مذبحة كبيرة بسكانها وأحرقوا أسواقها، واستولوا على كل ما وجدوه فيها من أموال وثروات وذهب وفضة، ووجدوا في قصر قطب الدين كنزًا ضخمًا كان مهر زوجته ابنة صلاح الدين[٣] فقاموا بنهبه، واستولوا كذلك على ما وجدوه في المدينة من المواد الغذائية التي هدأت جوعهم، وحصلوا على العلف اللازم لخيولهم، وظلوا في المدينة عدة أيام ينعمون فيها بالراحة بعد رحلتهم الشاقة عبر آسيا الصغرى[٤].

---

(1)Historia Peregrinorum, pp. 168-169؛ Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 514؛ Ricardo, Chronicles, pp. 51-52؛ Arnold of Lubeck,Chronica, pp. 136-137؛ Benedict of Peterborough, Chronicle, p. 89؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, pp. 29-30.

(2)Ansbert, Historia, pp. 85-86؛ Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 514.

(**٣**) هي ابنة العادل أخو صلاح الدين وكانت زوجة لقطب الدين، واعتاد المؤرخون اعتبارها ابنة صلاح الدين.

صلاح ضبيع، دور الألمان، ص**١٧٤**، حاشية رقم **١**.

(4)Hostoria peregrinorum, p. 170؛ Magnus of Reichersberg, pp. 514-515؛ Otto of St. Blasien, Third Crusade, p. 534؛ Johnson, Crusades, p. 112؛ Munz, Frederick Barbarossa, p. 395؛

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج**٣**، ص**٣٧٥**؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص**١٢٨**؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد مصطفى زيادة، ج١، ق١، (القاهرة **١٩٣٤**)، ص**١٠٤**.

- يذكر نيقتاس الخونياتي، أن الألمان لم يدخلوا قونية وإنما نصبوا معسكراتهم خارجها وهو يخالف برأيه هذا الآراء السابقة.

Choniates, Annales, p. 228.

ترتب على هذه الانتصارات أن فقد قليج أرسلان الثاني كل أمل في مقاومة الجيش الألماني، فأرسل مندوبيه إلى فردريك طالبًا السلام ومعتذرًا عما وقع له من إهانات داخل أراضيه فقالوا له: إن رجاله وأبناءه انتهزوا فرصة شيخوخته وضعفه لإرغامه على النكوص بالعهود القديمة، فهو يتوسل إليك طالبًا الصلح والرحمة عسى أن تمن جلالتك بالعفو على شعب مدينته، ويعدك بالسلام والأمان حتى مغادرة تخوم مملكته، وضمانًا لهذه الوعود فهو مستعد لتقديم ما شئت من أشرف الرهائن[١]، وبعد أن تشاور فردريك مع رجاله حول طلب السلطان السلجوقي رد قائلاً: بناءًا على ما بين الإمبراطور والسلطان من صداقة عريقة القدم، أوفد إلينا مندوبيه، ودعانا إلى أراضيه ووعدنا بالعبور الآمن والتموين لسائر الجيش، ثم إن مندوبيه وأبناءه مثلوا أمام حضرتنا في أدريانوبل، وقدموا المزيد من الوعود والإغراءات لنا وللذين جاءوا معنا، لكن بدلًا من ذلك أحاط بنا الملك قطب الدين وجميع قواته وألقى بنا بين الأعداء فأحدقوا بنا كالنحل، وانقضوا علينا كالنار في الهشيم... لكن لما كان إمبراطور الرومان تصاحبه على الدوام الرحمة والحق يفضل الصفح على القمع، قررنا أن نمنحكم هذه النعمة ليحل سلامنا عليكم، بشرط أن تسلمونا ما نطلبه من رهائن... ونجمع ما نحتاج من مؤن، وعندما سمع المندوبون هذه الإجابة اتجهوا سريعًا إلى قليج أرسلان الثاني الذي وافق على كل مطالب فردريك[٢].

هكذا استطاع قليج أرسلان الثاني أن يحظى بموافقة فردريك على طلبه، ولكن المصادر الإسلامية تذكر أن فردريك هو الذي بدأ بطلب الصلح من السلطان فأرسل إليه قائلاً: «ما قصدنا بلادك ولا أردناها وإنما قصدنا بيت المقدس»، وقدم له الهدايا، وطلب منه الهدنة والسماح له بالحصول على ما يحتاج إليه من مؤن، فوافق قليج أرسلان

---

(1)Historia Peregrinorum, p. 170؛ Magnus of Reichersberg, Chronica p. 515؛ Ricardo, Chronicles, p. 53؛ Arnold of Lubeck, Chronica, p. 137؛ Otto of St. Blasien, Third Crusade, p. 534.

(2)Ansbert, Hsitoria, pp. 87-88؛ Historia Peregrinorum, pp. 170-171؛Magnus ofReichersberg,Chronica,p.515.

الثاني على طلبه[1].

على أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته هو أن فردريك لم يكن في وضع حرج يجعله يرسل إلى السلطان يستعطفه ويطلب منه الصلح، بل إنه تمكن من هزيمة جيشه واحتلال عاصمته، وصار في وسعه عندئذ أن يفرض عليه ما يشاء، وأن يحصل على كل ما يحتاج إليه جيشه من إمدادات في أراضيه، كما أنه لم يتبق للإمبراطور سوى جزء صغير ثم يعبر بلاده إلى بلاد الأرمن المسيحية، ومن ثم لم يكن في حاجة شديدة إليه حتى يرسل إليه راجيًا مستعطفًا.

ولهذا يبدو الرأي الأكثر احتمالًا أن قليج أرسلان الثاني هو الذي بادر بطلب الصلح من فردريك؛ إنقاذًا لبلاده من الدمار والخراب على أيدي الجيش الألماني، ووافق فردريك على طلبه مرحبًا؛ لأنه كان يرغب في إنهاء رحلته عبر آسيا الصغرى سريعًا وعدم الدخول في أي مرحلة من شأنها أن تعوقه عن تحقيق هدفه الأساسي في الشرق، لذلك أرسل إلى قليج أرسلان الثاني يطمأنه بأنه لا ينوي أن ينزل به أو ببلاده أي ضرر.

على أي حال وقعت في قونية معاهدة صلح وتعاون بين الطرفين ضد صلاح الدين، وقام قليج أرسلان الثاني بتموين الجيش الألماني بكل احتياجاته وقدم لفردريك عددًا من الأمراء والقادة كرهائن ولإرشاده حتى أرمينية، وتبادل الطرفان الهدايا[2].

على هذا النحو تحقق لفردريك ما كان يرغب فيه، فقد أعلن قليج أرسلان الثاني موافقته على عبور الجيش الألماني بسلام عبر أراضيه، وقدم له ما احتاج إليه من مؤن ومرشدين وكل التسهيلات اللازمة له، الأمر الذي دفع المؤرخون المسلمون إلى اتهام السلطان السلجوقي بالاتفاق سرًا والتواطؤ مع الإمبراطور الألماني ضد صلاح الدين،

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٩٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص١٣٣-١٣٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٥٤.

(2)Hsitoria Peregrinorum, p. 1701؛ Magnus of Reichersberg, Chronica, p.515؛ Grousset, Croisades, 3, p. 15؛ Cahen, Selgukides, Turcomans et Allemands, p.30 .

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل، ج٣، ص٣٧٥.

وأنه كان يظهر شقاقه وهو في الباطن يضمر وفاقه، وأنه عندما عبر أراضيه أظهر ما كان قد أخفاه من مودة له، وقدم له الرهائن وزود جيشه بالإمدادات[١].

ويبدو أن هؤلاء المؤرخين استندوا في اتهامهم هذا لقليج أرسلان الثاني على وعده لفردريك بالمساعدة وتقديم المؤن عندما أرسل إليه يخبره بأمر حملته، ثم سماحه له بعد ذلك بعبور أراضيه.

بيد أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته أن هذا التحالف بين الطرفين والذي كان عند قيام الحملة الصليبية الثالثة قد مر عليه أكثر من **١٥** عامًا، قد تم تحت ضغط ظروف معينة، وهي اشتراك الطرفين في العداء ضد مانويل كومنين[٢]، ولكن هذه الظروف قد زالت، ولم يعد هناك أي خطر يتهدد السلاجقة من قبل الدولة البيزنطية بعد انتصار ميريو كيفالون، وبعد أن فقدت الدولة البيزنطية كل أمل في استرداد آسيا الصغرى من السلاجقة، وما تبع ذلك من وفاة مانويل وعجز أسلافه الأباطرة البيزنطيون عن القيام بأي دور ضد السلاجقة في آسيا الصغرى، وبذلك لم تعد هناك أية فائدة تعود على السلطان السلجوقي من وراء التمسك بأهداب هذا التحالف الذي لم يتبق منه سوى ذكريات لصداقة قديمة كانت في وقت ما بين الطرفين، فهل كان من المعقول أن تجعل هذه الذكريات قليج أرسلان الثاني يتآمر ضد صلاح الدين ويعادي العالم الإسلامي من أجل فردريك!، وحتى إذا كان هناك بعض التوتر في العلاقات بين قليج أرسلان الثاني وصلاح الدين[٣] فمن الصعب قبول فكرة أن هذا التوتر قد وصل إلى حد التآمر ضد صلاح الدين، فالحملة الصليبية الثالثة جاءت للانتقام من المسلمين واسترداد بيت

---

(١) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق/ محمد محمود صبيح (القاهرة **١٩٦٥**)، ص**٣٨٢**؛ ابن شداد، صلاح الدين، ص**١٠٢**، أبو شامة، الروضتين، ج**٤**، ص**١٢٩**.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين مانويل وفردريك:

عبد العزيز محمد، العلاقات البيزنطية- اللاتينية، ص**٦٢-٨٨**.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين صلاح الدين والسلطان السلجوقي:

عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، العلاقات بين سلاجقة آسيا الصغرى والدولة الأيوبية، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، **١٩٧٥**؛ محمد نجيب زكي الوسيمي، سلطنة سلاجقة الروم **٥٨١-٦٤١**هـ/**١١٨٥-١٢٤٣**م، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، **١٩٩٤**، ص**١٠٨**.

المقدس، وكان قليج أرسلان الثاني، يدرك ذلك جيدًا، ولم يكن وهو الحاكم المسلم يجرؤ على مساعدة المسيحيين ضد إخوانه المسلمين، خاصة صلاح الدين الذي ظهر في ذلك الوقت في صورة بطل العالم الإسلامي، والمدافع عنه ضد القوى المسيحية والتفت حوله قلوب المسلمين وتعلقت به آمالهم خاصة بعد انتصاره في حطين واستيلائه على بيت المقدس، فإذا حدث ذلك فإن السلطان السلجوقي سوف يجلب عليه نقمة العالم الإسلامي.

ومن هنا كان من الطبيعي أن يقف قليج أرسلان الثاني من جيش فردريك موقف المعادي له وذلك عندما أخذ يعبر أراضيه، خاصة وأنه وجد الإمبراطور البيزنطي إسحاق انجيلوس -وهو المسيحي- قد ناوئ الجيش الألماني أثناء عبوره أراضيه وأعاقه بكل وسيلة ممكنة للقضاء عليه أو لإضعافه، لذا فإنه من المحتمل أن يكون السلطان السلجوقي قد فكر في صورته أمام المسلمين بعد أن علموا بعداء إسحاق انجيلوس لفردريك إذ هو وقف إلى جواره ومد له يد المساعدة.

أما عن وعد قليج أرسلان الثاني لفردريك، عندما أرسل إليه فردريك مذكرا إياه بالصداقة القديمة، وطالبًا الأمان لجيشه أثناء عبوره أراضيه -في وقت كان السلطان عاجزًا حتى عن حماية نفسه- بعد أن قام بتقسيم أملاكه بين أبنائه الذين دخلوا في صراعات ضد بعضهم البعض بل وضد أبيهم[1]، فإن السلطان السلجوقي قد أضحى في وضع حرج، مما جعله يقدم هذا الوعد، لكنها كانت مجرد **(وعود)** اضطر السلطان السلجوقي إلى تقديمها للإمبراطور حتى لا يحمل مسبقًا ضده نوايا سيئة، ويضمن عدم قيامه بأي أعمال عدائية عند دخوله أراضيه منتظرًا ما تسفر عنه الأيام من أحداث، وربما اعتقد قليج أرسلان الثاني أن فردريك لن يتمكن من الوصول إلى بلاده، وسوف يتم القضاء عليه وعلى جيشه بواسطة إسحاق انجيلوس أثناء عبوره الأراضي البيزنطية نظرًا للعداء الشديد بين الطرفين، وبهذا رأى السلطان السلجوقي أنه لا ضرر من أن يقدم هذا الوعد لفردريك رغم أنه لم يكن ينوي السماح لجيشه بعبور أراضيه بسلام

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تقسيم السلطان لأملاكه بين أبنائه والصراعات بينهم:

ابن الأثير، الكامل، ج١، ص**٢١٩-٢٢٠**؛ محمد الوسيمي، سلطنة سلاجقة الروم، ص**٣٦-٣٧**.

Cahen, Selgukides Turcomans et Allemands, pp. 24-25.

ودون إعاقة كما ذكر رنسيمان[1].

وجاءت أحداث مرور جيش فردريك عبر آسيا الصغرى لتبرهن على ذلك، فمنذ دخول الألمان هذا الإقليم وحتى قبل وصولهم إلى داخل دولة سلاجقة الروم-في منطقة الحدود- قد تعرضوا لهجوم القبائل التركمانية، وليس من المستبعد أن يكون ما ساعد هذه القبائل على اتخاذ هذا الموقف الشديد العداء هو تحريض السلطات السلجوقية لها، خاصة وأن هذه القبائل قد وقفت أكثر من مرة إلى جانب أبناء قليج أرسلان الثاني في قتالهم ضد الجيش الألماني-كما سبق ذكره-، ثم قام بعد ذلك أبناء السلطان السلجوقي بالاشتباك معه أكثر من مرة حتى مدينة قونية.

وقد أكدت جميع المصادر التي تناولت الحملة الصليبية الثالثة عدم التزام قليج أرسلان الثاني بوعوده، وأنه كان رجلاً متعطشًا لدماء النصارى، افتعل المودة لهم، إلا أنه كان ينوي مباغتتهم وقتالهم، فأخذ يحيك المؤامرات للإساءة إلى الإمبراطور ودحر الجيش المسيحي أثناء عبوره أراضيه، فوضع قواته على الجبال وفي الغابات وعلى جانبي الأنهار، وأعاق مرور الألمان،«وهذا كان السلوك الآمن الذي وعدنا به»[2].

أما فيما يتعلق بسماح قليج أرسلان الثاني لفردريك بالعبور، فقد نسى هؤلاء المؤرخون أن السلطان اضطر إلى ذلك بعد هزيمته واحتلال عاصمته وتهديد دولته، وأنه هو وأبناؤه «لم يكن لهم بهم (الألمان) طاقة فاحتاج إلى مسالمته»"[3]، وهذا لم يكن اتفاقًا بين طرفين متعادلين أو موافقة بالعبور بمحض إرادته، وإنما اتفاق اضطرته الظروف إليه، وكانت شروطًا فرضها الإمبراطور المنتصر على السلطان المهزوم.

ويبدو أن ما دفع هؤلاء المؤرخين إلى التسرع في الحكم على السلطان السلجوقي، هي الظروف القاسية التي مر بها العالم الإسلامي في ذلك الوقت، نتيجة لقدوم الحملة الصليبية الثالثة التي لم تعط الفرصة لهؤلاء المؤرخين ليقدروا موقف قليج أرسلان الثاني التقدير الصحيح أو يلتمسوا له الأعذار.

---

(١) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٨.

(2)Ansbert, Historia, p. 67؛ Vinsovfs, Itinerary of Richard I, p. 96؛ Ricardo, Chronicles, p. 48.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ق١، ص٤٠٣؛حامد زيان، فردريك بربروسا، ص٤٧-٤٨.

ولكن صلاح الدين قد قدر موقف السلطان السلجوقي إذ وفد عليه، بعد ذلك بقليل، معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان الثاني شاكيًا أخاه قطب الدين، فاستقبله صلاح الدين استقبالًا حسنًا، وزوجه إحدى بنات أخيه العادل، ومنع قطب الدين من الاعتداء على أملاكه، ثم أرسل بعد ذلك سفارة لتحقيق الصلح بين السلطان السلجوقي وأبنائه، مما يدل على أن صلاح الدين كان حسن الظن بالرجل، ولم يسلك المسلك الصعب الذي أخذه المؤرخون المسلمون تجاهه، خاصة بعد أن أرسل إليه يعتذر عن مرور الجيش الألماني بأراضيه، وأنه قد اضطر إلى ذلك[١].

ومهما يكن من أمر فإنه بالرغم من توقيع الصلح بين قليج أرسلان الثاني وفردريك إلا أن الجيش الألماني استمر يتعرض بعد قونية لهجوم القبائل التركمانية، مما دفع الإمبراطور إلى تهديد رهائن السلطان السلجوقي قائلاً:«إذا لم يكف أتراككم عن ملاحقتنا، ولم تقدموا المؤن المتفق عليها سننفذ فيكم حكم الإعدام»، واستمر هذا الهجوم حتى وصل الجيش إلى لارندا Raranda -على الحد الفاصل بين أرمينية وليكاونيا- في **٣٠** مايو[٢].

إذا كان تهديد السلاجقة للجيش الألماني قد انتهى بعد ذلك بدخوله المنطقة الأرمينية، حيث شعر الألمان بالاطمئنان والارتياح لرحيلهم من المنطقة السلجوقية، إلا أنهم قد واجهوا صعوبة كبيرة في اجتياز جبال طوروس الشاهقة التي أعاقت سيرهم وأصابتهم بالإرهاق الذي عبر عنه أحد المؤرخين بقوله: «من هو ذلك الإنسان قاسي القلب، جافي التفكير، الذي لا تدمع عيناه أمام أسقف تجره الخيول على سرير لشدة الإرهاق، يا له من منظر مروع منظر أصحاب الدروع رغم ضعفهم ومعاناتهم يحملون

---

(١) عبد الحميد بدوي، سلاجقة آسيا الصغرى والدولة الأيوبية، ص**٣٩٢-٣٩٣**.

(2)Ansbert, Hsitoria, p. 88; Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 515; Ricardo, Chronicles, p. 53; Cahen, Selgukides Trurcomans et Allemands, p.30.

ابن الأثير، الكامل، ج**١٠**، ص**١٩٤**.

- يرى صاحب ذيل تاريخ وليم الصوري أن السلاجقة الذين قاموا بهذا الهجوم كانوا قوات من جيش قليج أرسلان الثاني أعدها بعد رحيل فردريك للهجوم عليه وليسوا التركمان، ونتيجة لعدم التزام السلطان السلجوقي بإتفاقه قام الإمبراطور بقتل رهائنه.

ذيل تاريخ وليم الصوري، ص**٣٥٧-٣٥٨**.

أسيادهم عبر تلك الجبال الوعرة وسط تعب شديد»[١].

مما أدى إلى انزلاق عدد كبير من الجنود والخيول أثناء العبور، وإذا كان قد وصل بعد قليل مندوبو الملك الأرميني ليون الثاني Leon II (١١٨٥-١٢١٩م)، وأعلنوا ترحيب سيدهم بالجيش الألماني، واستعداده لتقديم كل المساعدات له في رحلته التالية[٢]، إلا أنهم أخبروا فردريك بما ينتظر جيشه من صعوبات أثناء رحلته المقبلة لدرجة أنه طلب منهم ألا يخبروا جنوده بذلك خشية أن يصابوا بالإحباط إذا علموا بمشقة الطريق، واستمر الجيش الألماني على هذه الحالة حتى وصل سهول سلوقية وهو في حالة شديدة من التعب والإرهاق، إلا أنهم رغم ذلك شعروا بالسعادة لنجاتهم من كل تلك الحروب والأخطار، وما نصب لهم من كمائن السلاجقة «وكأنهم خرجوا من فم الأسد ودخلوا بر الأمان»[٣].

ولكن لم تطل سعادة الألمان إذ شهد الجيش الألماني نهايته المخزية في تلك البقعة من آسيا الصغرى بغرق قائده فردريك في نهر السالف Salef (كاليكادنوس Calycadnus)[٤] وذلك يوم الأحد ١٠ يونيو، وسواء حدث ذلك عندما نزل فردريك النهر بغرض الاستحمام للتخلص من أرقه وعرقه وحرارة الجو أو للسباحة مثلما اعتقد البعض، أو أثناء عبوره حيث انزلقت قدم فرسه في النهر وطوحت به الأمواج مثلما اعتقد البعض الآخر[٥]، إلا أن وفاته كانت كارثة عظمى وخسارة فادحة

---

(1)Ansbert, Historia, pp. 89-90.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين فردريك وليون الثاني أثناء الحملة الصليبية:

Munz, Frederick Barbarossa, p. 395.

ذيل تاريخ وليم الصوري، ص٣٥٩-٣٦٠؛ حامد زيان، فردريك بربروسا، ص٥٠-٥١.

(3)Historia peregrinorum, p. 171؛ Ansbert, Historia, p. 90-91؛ Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 515؛ Ricardo, Chronicale, p.54.

(٤) نهر السالف، هو نهر Goksu حاليًا، نهر في قليقية ويصب في البحر المتوسط ويبلغ طوله ١٥٥ ميل.

لمزيد من التفاصيل:

Webster, Geographical Dictionary, p. 448.

(5)Historia Peregrinorum, pp. 171-172؛ Ambroise, The Crusade of Richard Lion- Heart, English Trans. Hubert, M.J., (New York 1941), p.150؛ Benedict of Peterborough, Chronicle, p. 89؛ Burchard Von Ursberg, Die Chronik des =

للجيش الألماني وإيذانًا بفشله، فقد كان فردريك القائد والقدوة، وباختفائه شعر الجنود بالضياع واستبد بهم اليأس وانهارت روحهم المعنوية، وعبر عن ذلك البعض بقوله: «من يعزينا في رحلتنا، فقد سقط بطلنا ونحن الآن كالنعاج التائهة بين الذئاب، ولن ينقذنا أحد من أنيابهم»، فأيقنوا جميعًا الهلاك بعد أن فقدوا أملهم الوحيد، ومات البعض غمًا، وعاد معظمهم إلى وطنهم، وحق بذلك عليهم قول القائل «أضرب الراعي تتبدد الرعية»[(١)].

أما من بقى من الجيش الألماني فقد سار بصحبة الدوق فردريك إلى مدينة أنطاكية في حالة سيئة، وكأنهم بعثوا من القبور، وهناك وقع فيهم وباء الطاعون ومات أكثرهم، ومن بقى اتجه إلى عكا، وفي طريقهم إلى هناك زادت معاناتهم وتعرضوا للكثير من هجمات المسلمين خاصة أهل حلب «فكان الواحد يأسر جماعة منهم وهانوا في الأنفس بعدما كانوا قد تهيبوا هيبة عظيمة، وبيعوا في الأسواق بالثمن البخس»، وعندما وصلوا إلى هناك لم يتبق منهم سوى **١٠٠٠** شخص، ومات فردريك نفسه هناك فعادوا إلى وطنهم وغرقوا جميعًا[(٢)].

على هذا النحو تم القضاء على جيش ضخم وقبل أن يحقق أي إنجاز في الشرق، إذ وجهت له ضربة قاصمة في آسيا الصغرى، أولًا بتصدي السلاجقة له، ثم بغرق قائده في أحد أنهارها، وتحطمت بذلك الآمال العظمى التي عقدت على فردريك وجيشه لدرجة أن البعض اعتبر أن ما حققته الحملة الصليبية الثالثة من مكاسب ضئيلة في الشرق كان

=

Propstes, ed. Holder-Egger, O. & Simson, B., M.G.H.SRG., (Hanover 1916), p. 61.

أبو شامة، الروضتين، ج**٤**، ص**١٢٩-١٣٠**؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج**٢**، ص**٣١٩**؛ الحنبلي، الآنس الجليل، ص**٣٦٥**.

(1)Historia Peregrinorum, p. 172; Vinsovfs, Itinerary of Richard I, p. 101; Magnus of Reichersberg. Chronica, p. 516;Arnold of Lubeck, Chronica, p. 138; Otto of St. Blasien, Third Crusade, p. 535; Sybel, Crusades, p. 83; Kerr, Crusades, p.52.

(٢) الأصفهاني، الفتح القسي، ص**٣٩٥**؛ ابن الأثير، الكامل، ج**١٠**، ص**١٩٤**؛ أبو شامة، الروضتين، ج**٤**، ص**١٣٥-١٣٦**؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص**١٦٤**؛
سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج**٢**، ص**٦٦٩-٦٧٠**.

مرجعه تلك الصدمة التي لقيتها هذه الحملة في بدايتها بفشل حملة فردريك في آسيا الصغرى، وبأنه لو كتب لفردريك -ذلك القائد العظيم- ولجيشه النجاة من شرك آسيا الصغرى لاختلفت نتائج هذه الحملة اختلافًا تامًا عما آلت إليه[1].

وهكذا جاءت نهاية جيش فردريك لتؤكد خطورة الطريق البري عبر آسيا الصغرى والدور الذي لعبه هذا الإقليم في فشل الحملات الصليبية التي عبرته، ذلك أن كل حملة سلكته -باستثناء الحملة الصليبية الأولى- كان مصيرها الضياع بين فيافي وهضاب آسيا الصغرى أو الفشل في تحقيق أي إنجاز[2].

فلو أخذ فردريك الطريق البحري مثل قائدي هذه الحملة (فيليب أوغسطس، وريتشارد قلب الأسد) لاستطاع الوصول إلى الشرق في أمان مثلهما، لكنه اختار الطريق الشاق ووضع بذلك جيشه في معاناة شديدة، فلم يكن الجيش الألماني يستطيع السير لمسافة ميل واحد في سلام، أو عبور نهر أو اجتياز جبل إلا ويجد العدو هناك في انتظاره، وحتى إذا سقط رجل أو ضل أحد منهم طريقه كان مصيره القتل وانتهى الأمر كله بغرق قائده في أحد أنهار آسيا الصغرى[3].

******

---

(1)Magnus of Reichersberg, Chronica, p. 517؛ Otto of St. Blasien, Third Crusade, p. 535؛ Sybel, Crusades, p. 83.

فشر، أوربا العصور الوسطى، ج١، ص١٨٧.

(٢) محمد الوسيمي، سلطنة سلاجقة الروم، ص٧٦.

(3)Church, Crusaders, p. 119.

الخاتمة

بعد استعراض دور آسيا الصغرى في الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي يمكن الخروج بالعديد من النتائج:

أولًا: إن أوضاع آسيا الصغرى المتردية قبل قدوم الصليبيين إلى الشرق، وسيطرة السلاجقة على معظمها قد دفع الإمبراطور الكسيوس كومنين، إلى طلب مساعدة الغرب الأوربي في بياكنزا من أجل طرد السلاجقة من آسيا الصغرى واستعادة أراضيها المفقودة، وكان هذا الطلب هو السبب المباشر الذي استغله البابا أوربان الثاني في شن حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين.

ثانيًا: كان لإقليم آسيا الصغرى من الأهمية لدى الأباطرة البيزنطيين ما جعله العامل المهيمن الذي صاغ طبيعة العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي وكل قائد صليبي عبر أراضيه، فقد حاول الكسيوس ومن بعد مانويل الاستفادة من هذه الجيوش الصليبية المتجهة إلى بلاد الشام لخدمة مصالحهما في آسيا الصغرى، فقاما بإلزام القادة الصليبيين بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى مقابل تقديم المساعدات البيزنطية لهم، وأصرا على الحصول على هذه هذا التعهد، وتكبدا في سبيل ذلك العديد من المشقات حتى تحقق لهما هذا الهدف، ولكن تلاشت هذه الأهمية عند قدوم الحملة الصليبية الثالثة فلم يسع إسحاق أنجيلوس إلى طلب هذا التعهد من فردريك بربروسا بعد أن سيطر السلاجقة على الغالبية العظمى من أراضي هذا الإقليم، وفقدت الدولة البيزنطية كل أمل في استعادته.

ثالثًا: لم يكن للأباطرة البيزنطيين دورًا فيما حل بالصليبيين من هزائم في آسيا الصغرى، وإنما تعود أسباب هزيمتهم إلى اتحاد السلاجقة ومقاومتهم لهم، فضلاً عن ظروف هذا الإقليم الطبيعية والمناخية الصعبة.

رابعًا: لم يكن إقليم آسيا الصغرى طريقًا للعبور فقط لا يؤثر في مجرى الأحداث في هذه الحقبة التاريخية الهامة، وإنما أدى التهديد السلجوقي له أولًا إلى قدوم الصليبيين إلى الشرق، ثم ساعد بعد ذلك في إضعاف الحملات الصليبية أثناء عبورها إياه، ذلك أنه لم يكن طريقًا سهلاً أمام الصليبيين للوصول إلى بلاد الشام، وإنما كان طريقًا شاقًا اعترض سير الصليبيين فيه الكثير من الصعاب والعوائق سواء كانت طبيعية نتيجة لتضاريس ومناخ هذا الإقليم الشاق، أو عوائق بشرية وضعها السلاجقة أنفسهم الذين راحوا

يدمرون الأراضي والمحاصيل ويجففون الآبار والعيون ويفرغون المدن من سكانها أمام الصليبيين وينصبون لهم الكمائن في كل مكان، الأمر الذي أضعفهم وأنهك قواهم وكبدهم الكثير من الخسائر، ومن ثم كانت آسيا الصغرى سببًا في فشل بعض هذه الحملات الصليبية وكانت مقبرة للبعض الآخر.

خامسًا: بالرغم من نجاح الحملة الصليبية الأولى في الوصول إلى بلاد الشام وتأسيس الإمارات الصليبية هناك، إلا أن الأمر الذي ينبغي ملاحظته أن هذه الحملة قد واجهت العديد من الصعوبات أثناء عبورها آسيا الصغرى، فقدت نتيجة لها الكثير من الأرواح وتكبدت العديد من الخسائر.

سادسًا: كان إقليم آسيا الصغرى مقبرة لحملة سنة **١١٠١م**، التي قضى عليها السلاجقة وحلفاؤهم قضاءًا مبرمًا، ولم يبق من جيوشها الضخمة سوى مئات قليلة عجزت عن تقديم أي مساعدة لصليبيي الشرق.

سابعًا: إن الصعوبات التي واجهت الحملة الصليبية الثانية في آسيا الصغرى أدت إلى ضياع معظم قواتها وإضعافها، وكانت العامل الأساسي في تحويل هذه الحملة عن هدفها الأساسي وهو استرداد إمارة الرها بعد أن أيقن قادتها من عجز ما تبقى معهم من فلول عن القيام بهذا العمل، واتجهت إلى حصار دمشق وفشلت في النهاية.

ثامنًا: كان اختيار فردريك بربروسا الطريق البري عبر آسيا الصغرى هو السبب في فشل حملته بعد أن هاجمه التركمان والسلاجقة أثناء سيره في آسيا الصغرى، ثم موته في النهاية نتيجة غرقه في أحد أنهارها وما ترتب على ذلك من تشتيت جيشه.

ومن هذا كله يتضح لنا الدور الذي لعبه إقليم آسيا الصغرى، أولًا في تحريك الدعوة لقدوم الصليبيين إلى الشرق، ثم كيف لعب هذا الإقليم دور هام في تشكيل العلاقة بين الجانبين البيزنطي والصليبي، وما ترتب على ذلك من آثار سيئة على الصليبيين نتيجة تشبث الأباطرة البيزنطيين بالتعهد بإعادة الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى، إضافة إلى دوره في حماية بلاد الشام من هذه الجيوش الجرارة وقادتها الذي أعيى التعامل معهم الأباطرة البيزنطيين، فلو لم تصادف هذه الجموع أية صعوبات في آسيا الصغرى، واستطاعت الوصول بكامل قواتها وأعدادها إلى بلاد الشام فمما لا شك فيه أن الأمور كانت ستجرى في الشرق على نحو مغاير تمامًا عما حدث.

الملاحق

- الملحق الأول: خطاب كونراد الثالث ملك الرومان إلى ويالبد.
- الملحق الثاني: خطاب لويس السابع ملك الفرنجة إلى شوجير.
- الملحق الثالث: خطاب فردريك بربروسا إلى ابنه هنري.

الملحق الأول: خطاب كونراد الثالث ملك الرومان إلى ويبالد*:

«من كونراد بنعمته تعالى ملك الرومان إلى الأكرم ويالبد رئيس دير كورنيسيم وستبلنسيوم، مع الحظوة وكل خير، لعلمنا بأمانتكم أكثر من مرة بالنسبة إلينا وإلى مملكتنا تلك الأمانة التي اختبرناها بتجارب عديدة، إن شئت أن تعلم عن حالنا لا نظن أنك ستبتهج كثيرًا، ولذلك نعلم أمانتكم أننا فور وصولنا إلى نيقية على رأس الجيش بكامله ونظامه، ولرغبتنا في القيام بالحملة على وجه السرعة، بدأنا المسيرة نحو قونية عن طرق مختصرة بقيادة مرشدين أرشدونا إليها حاملين من المتاع كل ما شئنا، وقد مضت عشرة أيام على هذه المسيرة ويبقى ما يماثلها، وقد نفذت جميع المؤن لاسيما بالنسبة للفرسان، وإذا بالأتراك قد أخذوا يهاجمون ويقتلون جماعة المشاة العاجزين عن اللحاق بالجيش.

أما نحن فأمام جنود المشاة الذين أخذ يقضي عليهم الموت بالإضافة إلى سهام الأعداء قد حزنا عليهم، وبناء على طلب جميع الأمراء والبارونات عدنا بالجيش من تلك الأراضي القاحلة إلى البحر لنأخذ قسطًا من الراحة، مفضلين أن يبقى الجيش سليمًا تحسبًا لمهام أهم على أن يحرز على العدو نصرًا داميًا.

ولما وصلنا إلى البحر وعسكرنا جاء الملك الفرنسي وسط عاصفة شديدة، ولم يشأ أن ينتظر الصحو من شدة فرحه، وجاء لمعسكرنا من حيث لم ندري، وقد حزن لما أصاب جيشنا من جوع وتعب، وفرح فرحًا عظيمًا لمقابلتنا، وقدم هو وجميع أمراؤه الاحترام ووضعوا تحت تصرفنا المال وكل ما لديهم من متاع، ثم انضموا إلى جيشنا.

وتخلف بعض الأمراء عن الجيش بسبب المرض ونقص المؤن إلى أن وصلنا إلى قبر القديس يوحنا الذي ينبثق منه المن لنحتفل هناك بعيد ميلاد الرب، واسترحنا هناك بضع أيام؛ لأن المرض قد أصابنا مع عدد كبير من رجالنا، وبعد شفاءنا أردنا أن نتابع السير لكن المرض عاد واشتد علينا ولم نستطع قط أن نمضي قدمًا، فحزن الملك ومضى بجيشه بعد أن عزانا قدر الإمكان، ولما علم بذلك أخونا إمبراطور اليونان حزن حزنًا شديدًا وقدم مسرعًا إلينا مع ابنتنا الحبيبة الإمبراطورة -أعني زوجته-، وعاد بنا إلى

---

* R.H.G.F., 15, pp. 533-534.

القسطنطينية إلى بلاطه بما يشبه القوة ليعالجنا أطباءه على وجه السرعة، وقدم لنا هناك من الكرم ما لم نسمع قط أنه قدم مثله لأحد أسلافنا، ثم قررنا السفر إلى أورشليم يوم الأحد لنحشد هناك جيشًا جديدًا بمعونته ثم نتابع الزحف نحو الرها، ونرجوكم أن تدعو لنا وتجعل الأخوة يصلون من أجلنا وتوصي بنا لدى جميع المؤمنين كما نوصي أمانتكم بابننا لكي يوفقنا الرب في مسيرتنا هذه».

******

II. CONRADI Romanorum Regis ad WIBALDUM.

Fris. ... col. 232.

Narrat ea quæ sibi in expeditione transmarina contigerunt, junctis suis copiis exercitui Regis Francorum.

CONRADUS, *Dei gratiâ Romanorum Rex*, *venerabili Wibaldo Corbeiensium et Stabulensium abbati, gratiam suam et omne bonum.* QUIA fidelitatem tuam sæpenumero circa nos et regnum nostrum probatam multis experimentis cognovimus, si de prosperitate nostri status audieris, multùm te gaudere non ambigimus. Mandamus itaque fidelitati tuæ, quòd cùm Niceam integro et composito exercitu pervenissemus, maturè expeditionem consummare volentes, per compendium, notis * viæ ducibus hoc ostendentibus, versùs Iconium proficisci cœpimus, illuc usque necessaria portantes, quantùm valuimus. Et ecce decem dierum itinere jam peracto, totidem adhuc nobis residuo, victualia omnibus ferè, equitaturis maximè, defecerant : cùm Turci pedestre vulgus, quod exercitum sequi nequibat, invadere et cædere non cessabant (c). Nos vicem populi deficientis, et tam morte suâ quàm sagittis hostium pereuntis, dolentes, rogatu principum omnium et baronum, ad mare de terra illa deserta exercitum, ut refocillaretur, reduximus : malentes incolumem ad majora servare, quàm tam cruentâ victoriâ de sagittariis triumphare. Cùm verò ad mare venissemus et castrametati fuissemus, in maxima tempestate non expectans serenitatem, præ gaudio Rex Francorum ad tentoria nostra, nobis nescientibus, supervenit, dolens quidem exercitum nostrum fame et labore attritum, de societate autem nostra non parvum habens gaudium. Ipse siquidem et omnes principes sui fideliter ac devotè obsequium suum nobis obtulerunt; pecunias insuper suas et quæcumque habebant, voluntati nostræ exponebant. Conjuncti ergo cum copiis nostri et principibus, quorum quidem cum nobis remanserant, quidam infirmi et præ penuria pecuniæ sequi non valebant, et ob id ab exercitu recedebant, usque ad S. Johannem (a), ubi sepulcrum ejus et manna scaturire cernitur, absque omni difficultate, celebraturi illic Nativitatem Domini, pervenimus : ubi per aliquos dies repausantes (quia et nos infirmitas et multos nostrorum invaserat), recuperatâ sanitate, procedere volebamus; sed, invalescente ægritudine, nequaquam ire valuimus (b). Rex igitur cum exercitu dolenter profectus, quantùm potuit nos præstolatus est; sed diutina infirmitas nos tenuit. Quod cùm frater noster Græcorum Imperator audiret, vehementer indoluit, et cum filia nostra dilectissima Imperatrice, suâ videlicet conjuge, ad nos præproperè descendit; liberaliter nobis et principibus nostris sua et necessaria ad iter nostrum largiens, quatenus à medicis suis citiùs curaremur, quasi vi Constantinopolim in palatium suum reduxit : tantùm illuc nobis honoris exhibens, quantùm ulli unquam prædecessori nostro exhibitum esse audivimus. Inde Jerosolymam, dominicâ *Reminiscere* *, proficisci statuimus, Deo auctore novum exercitum ibi collecturi, et Rohas processuri. Ut autem illud iter nostrum Deus prosperum facere dignetur, ut ipse ores et fratres tuos orare facias, et omnibus fidelibus nos committas, et commendatum fidei tuæ filium nostrum habeas, postulamus.

An. 114[illegible]

* f. no[illegible]

* Domin. 2 Quadragesimæ.

الملحق الثاني: خطاب لويس السابع ملك الفرنجة إلى شوجير*:

«من لويس بنعمته ملك الإفرنج وقائد أقطانيا، إلى المحترم سوجيريوس رئيس ديو القديس دينس، سلامًا ونعمة.

حبًّا منا لكم نبلغكم على وجه السرعة أخبارنا الموثوقة عن أوضاعنا في الشرق، ونحن على أتم علم أنكم في اشتياق عظيم إليها، وعلى أحر من الجمر للاطلاع عليها ولا شيء أطيب لكم من حصولكم على أخبارنا السارة.

منذ أن غادرنا تخوم مملكتنا، وفقنا الله في مسيرتنا ووصلنا برحمته تعالى إلى القسطنطينية بخير، وبفرح عظيم لسلامة سائر الجيش، هناك استقبلنا الإمبراطور بفرح وحفاوة، وبعد أن مكثنا لقضاء بعض احتياجاتنا عبرنا إلى الخليج، ومضينا في مسيرتنا عبر أراضي الروم، وفي تلك المناطق سواء بسبب مكر الإمبراطور أو لذنوب رجالنا، تعرضنا لأضرار غير قليلة وتحملنا أخطارًا جسيمة، كما تعرضنا لكمائن اللصوص المستمرة ومشقات الطريق وتحرشات الأتراك اليومية، بعد أن سمح لهم الإمبراطور دخول أراضيه لملاحقة جيش المسيح، وطاردونا بكل قواهم للإساءة إلينا، وفي أماكن كثيرة لم تتوفر لنا المواد الغذائية، فعانى الشعب معاناة شديدة من الجوع لمدة معينة، وذات يوم سمحت القدرة الإلهية أن يسقط عدد كبير من أتباعنا، ذلك إنه لدى صعودنا جبال اللاذقية الصغرى هلك في المعابر الوعرة قريبنا الكونت دي جاردين وراينالد الذي من تورنود، ومنسى الذي من بولي، وجاكيريوس الذي من جبل جاي، وأوراردوس الذي من بريتويلو، وعدد كبير غيرهم وسيبلغكم عنهم المزيد حامله؛ لأن الألم يمنعنا من متابعة الحديث، أما نحن شخصيًا فكثيرًا ما تعرضنا لخطر الموت، لكن الله أنقذنا من كل ذلك بنعمته واستطعنا النجاة بقوة من تعديات الأتراك إلى أن وصلنا إلى ساتاليا (أضاليا)، والجيش سالم بحماية الرب.

وهناك مفاوضات طويلة في شأن متابعة الزحف، أجمع الأساقفة والأمراء على أن نسارع إلى أنطاكيا بحرًا؛ نظرًا لأن خيولنا قد خارت قواها من شدة الجوع والإرهاق، ومازال أمامنا طرق طويلة بمشقاتها، فعملنا برأيهم، ويوم الجمعة بعد منتصف الأربعين

---

* R.H.G.F., 15, pp.495-496.

(**١٩** مارس) وصلنا مع معظم أمرائنا إلى المدينة المذكورة، بعد رحلة في البحر موفقه، ومن هناك قررنا أن نرسل إليكم كتابنا هذا.

على كل حال جميع مساعينا في يدي الرب الذي لن يخيب آمال الواثقين فيه، بل سيكتب لقضيته نهاية مجيدة، وليكن معلومًا لديكم أننا إما لا نعود قط وإما نعود بأمجاد الله ومملكة فرنسا.

والآن لابد من أن تذكرونا بصلواتكم بكثرة، ولا تغفلوا أن توصوا الرهبان بأن يصلوا من أجلنا في كل مكان وزمان، ولما كانت أموالنا قد تقلصت جدًا بسبب النفقات الكثيرة المختلفة، فنحن في حاجة ماسة إلى أن تنشطوا في جمعها وتسارعوا إلى إرسالها إلينا بأسرع ما في وسعكم، بواسطة رسل أمناء ذلك إننا لا نستطيع متابعة قضية المسيح بلا نفقات كثيرة وتعب كثير، والسلام».

******

XXXVI. *LUDOVICI Francorum Regis ad SUGERIUM.*

Epist. 39, p. 501.

Scribit de itinere suo usque Antiochiam ; mandat verò ut pecuniam colligere et mittere festinet.

An. 1148

LUDOVICUS Dei gratiâ Rex Francorum et Dux Aquitanorum, Sugerio venerabili abbati S. Dionysii salutem et gratiam. COMPULIT nos dilectio vestra, ut quàm citiùs potuimus de partibus Orientis super statu nostro certa vobis significaremus. E Scimus etenim, scimus, quoniam ad cognoscendum de eo totis animæ desideriis avidè suspiretis, nihilque vobis jocundius esse poterit quàm ut de nobis læta suscipiatis. Ex quo regni nostri fines excessimus, bene prosperavit nobis Dominus viam nostram, et usque Constantinopolim sanos et incolumes nos cum magna lætitia et A incolumitate totius exercitûs miseratio divina perduxit. Ibi verò ab Imperatore * gaudenter honorificèque suscepti, cùm aliquantulùm immorassemus pro his quæ necessaria visa fuerant apparandis, transfretavimus ad Brachium, et per Romaniæ partes direximus iter nostrum. In quibus sanè partibus, tum pro fraude Imperatoris, tum pro culpa nostrorum, non pauca damna pertulimus, et graviter quidem in multis periculis vexati sumus. Non defuerunt quippe nobis assiduæ latronum insidiæ, graves viarum difficultates, quotidiana bella Turcorum, qui permissione Imperatoris in terram suam militiam Christi persequi venerant, et in detrimentum nostrum totis viribus incumbebant. Et quoniam in multis locis non poterant victui necessaria reperiri, graviter afflictus fuit per aliquantulum temporis populus fame ; et in una dierum, prout peccatis nostris exigentibus judicium divinum permisit, plerique ceciderunt de baronibus nostris. Fuerunt enim mortui in ascensu montanæ Laodiceæ (a) minoris, inter B districta locorum, consanguineus noster * Comes de Guarenna, Rainaldus (b) Tornodorensis, Manasses de Bulis, Gaucherius de Monte-Gaii, Eurardus de Bretoilo, et cæteri quamplures, de quibus opportuniùs lator præsentium annunciabit, quia dolor nos loqui latiùs non permittit. Nos autem ipsi frequenter in periculo mortis fuimus : sed tamen, ab his omnibus per Dei gratiam liberati, persecutiones Turcorum potenter evasimus ; et usque Sataleiam (c), salvo exercitu, Domino protegente, pervenimus. Ibi verò, cùm de prosequendo itinere diù multùmque deliberassemus, episcoporum ac principum commune nobis consilium dedit, ut, quoniam nobis equi diutinæ famis ac laboris attritione defecerant, et major adhuc viæ difficultas restabat, per mare Antiochiam in navibus festinaremus. Eorum itaque sequentes consilium, die veneris post mediam Quadragesimam * cum maxima parte principum nostrorum apud prædictam civitatem felici navigatione pervenimus, et inde vobis præsentes literas C mittere curavimus. De cætero, omne opus nostrum in manu Dei est, qui, sicut in ipso confidimus, non derelinquet nos sperantes in ipsum, sed negotium suum ad gloriosum perducet effectum. Illud enim certissimè scitote, quoniam aut nunquam redibimus, aut cum gloria Dei et regni Francorum revertemur. Restat igitur ut vos frequenter memoriam nostri habeatis, et religiosorum orationibus semper et ubique nos attentiùs commendetis. Et quoniam pecunia nostra in multis et variis expensis non mediocriter imminuta est, omnino nobis necessarium est, ut ad colligendam eam studiosiùs intendatis, et quàm citiùs poteritis, per fideles nuncios quidquid coadunatum fuerit nobis mittere festinetis. Omnino namque negotium Christi prosequi, nisi in multis expensis et in multo labore, non valemus. Valete.

* Emmanuele.

* Guillelmus.

* Die 19 martii.

الملحق الثالث: خطاب فردريك بربروسا إلى ابنه هنري*:

«من فردريك بنعمته تعالى إمبراطور الرومان والجليل على الدوام، إلى ابنه الحبيب هنريق ملك الرومان المعظم الجليل، سلامًا وحبًّا أبويًّا خالصًا.

لقد تسلمت عطوفة إمبراطورتنا رسالة عظمتكم الحافلة بفرح النفس والروح، وفرحنا فرحًا عظيمًا بمضمونها، وتمنينا لكم كمال الصحة، وبناء على رغبة جلالتكم وسعادتكم في معرفة أحوال شخصنا وتطورات شئون جيش الصليب المحيي المجيد، نريد أن نعلمكم أولًا أنه ما إن وصلنا إلى تخوم أخينا إمبراطور القسطنطينية، حتى تعرضنا إلى مضار كثيرة، من أعمال اللصوصية ومصرع رجالنا، والإمبراطور نفسه يعترف بمسؤوليته عن ذلك.

ذلك إن بعض قطاع الطرق من رماة السهام كانوا مختبئين في الطريق العمومية بين الأدغال الكثيفة، فباغتوا بسهامهم المسمومة عددًا كبيرًا من رجالنا السائرين عزلًا مطمئنين، ومازالوا يمطرونهم حتى أفاق جندنا ومسلحونا، وأحاطوا بهم من كل صوب وقبضوا عليهم بالجرم المشهود، وانزلوا بهم ما استحقوه من عقاب، وذلك بأن علقوا منهم في يوم واحد وعلى مشنقة واحدة **٣٢** رجلاً على غرار الذئاب، فماتوا في الخزي والعار، على أن بقية أولئك الأشقياء مازالوا يلاحقوننا من الجوانب عبر الجبال، طيلة زحفنا في أراضي بلغاريا، ويزعجوننا بسرقاتهم الليلية، رغم ما أنزله جيشنا بهم على فترات متلاحقة من شتى ألوان العذاب.

إن إمبراطور القسطنطينية -سابق الذكر- لم يكتف بمخالفة جميع ما أقسم عليه بروحه ورأسه في نورمبرج-كما يعلم أمين سره- بل قطع عنا الصرافة والتموين بطائلة العقوبة، كما أمر بقطع الأشجار وجمع الصخور الضخمة ليسد بها علينا مضايق الطرق، وأصدر أوامره بتحصين بعض السدود القديمة المتداعية، أعني دفاعات سائر بلغاريا وتحصيناتها، بقلاعها وأبراجها، للتصدي للعزة الإلهية والصليب المحيى المقدس، لهلاكنا وهلاك جميع الشعب المسيحي.

أما نحن فبالعون السماوي أحرقنا مؤامرات اليونانيين وحولنا السدود والصخور

---

* Ansbert, Historia, pp. 40-43.

إلى لهب ورماد، وهكذا عبرنا بعونه تعالى جميع السدود ظافرين، ووصلنا إلى سهول Circuitz الحافلة بجميع الخيرات، بعد رحلة عبر أراضي بلغاريا لمدة ستة أسابيع.

ثم رحلنا من هناك وانطلقنا نحو مدينة فيليبوبوليس، وهي مدينة ثرية حصينة بطبيعة موقعها وما صنع فيها من تحصينات، ووجدناها متروكة مجهورة فاستولينا عليها بكونها غير مأهولة، وإذا في اليوم التالي يصلنا من إمبراطور القسطنطينية كتاب حافل بالبلاغة، ينطوي في آن واحد على التهديد والإغراء والخداع، عندئذ طلبنا أولًا سائر المعلومات عن مندوبينا الذين في الأسر، أعنى أسقف مونستر، والكونت روبرت، والحاجب ماركارد، الذين كان الإمبراطور -سابق الذكر- قد أمر بأسرهم يوم كنا في بلاد المجر، كفرًا بالخالق وتحقيرًا للصليب الذي تجندوا في سبيله وأمر بتعريتهم وفضحهم والزج بهم في السجن، غير مبالٍ بسمعته وخلافًا لجميع قوانين الأمم والسفارات.

فلما سمع جيش الصليب هذه الأخبار غضب، ثم أخذ يغزو المدن والحصون والقرى ويستولى عليها، إلى أن أكد لنا إمبراطور القسطنطينية بكتاب منه أنه سيعيد إلينا مندوبينا معززين مكرمين، وأخيرًا وبعد سفارات كثيرة وتبادل المندوبين، نفذ مكره الذي طالما احتدم في صدره ضد نوايانا السلية، مؤجلاً بشتى الحجج عبورنا إلى فصل الشتاء ومشقاته، وأعاد إلى جلالتنا مندوبينا وكأن كل شيء قد تم على خير ما يرام، بعد أن اقتطع من أموالهم أكثر من ألفي ماركة، وعاد إلى وعدنا بعبور أمين ووفرة السفن والتموين الجيد والصرافة المعهودة، لكن وفق المثل الدارج «المحروق يخشى الحرق»، لم نول قسم اليونانيين ونفاقهم أي اعتبار، وقررنا قضاء فصل الشتاء بالقرب من فيليبوبوليس.

أما ابننا زعيم السويد وشقيق سموكم، فسيمكث مع معظم الجيش في مدينة أخرى اسمها Veroi، تبعد عن فيليبوبوليس نحو عشرة أميال من أميال بلادنا، إلى أن يطرد هواء الربيع المعتدل رياح الشتاء القاسية، ولما كان سيرنا عبر خليج القديس جرجس مستحيلاً، ما لم يقدم لنا إمبراطور القسطنطينية نخبة من الرهائن فوق كل شبهة، ونخضع لنا جميع بلاد الروم، نطلب من حكمة جلالتكم مترجين، أن ترسل سعادتكم مندوبين جديرين إلى جنوه والبندقية وأنطاكية وبيزا وأماكن أخرى، لنجدتنا بسفن

ومراكب، لنحاصر القسطنطينية نحو منتصف شهر مارس بانضمامهم إلينا بحرًا ونحن برًا.

كما نذكر سيادتكم أن تجمعوا لنا بعد استشارة أمين سرنا Wernber وريكولف كاتبنا على وجه السرعة، ما توفر لنا من مال من جهات مختلفة، وتضعوها في منزل ضيفنا برنارد البندقي، ثم ترسلوها بعد أخذ رأي أناس حكماء إلى صور. واعلم أننا سنكون في حاجة ماسة إليها لظروف مفاجئة قد تضطرنا إلى الانتظار، لاسيما وأننا لم نتلق المبالغ من أن أنكونا وكذلك من أماكن أخرى كثيرة.

لدينا أعداد كبيرة من نخبة الجنود في سبيل الصليب المحيي، لكن لابد من اللجوء إلى النجدة بالصلاة؛ لأن الملك «لاينجو بكثرة قواه» (مزمور **١٦، ٣٢**) بل بنعمة الملك الأبدي التي تفوق استحقاق كل إنسان، لذلك نرجو ونتوسل إلى عطوفتكم أن تجعلوا أصحاب التقوى في بلادنا يدأبون على السهر والصلاة من أجلنا ببالغ الخشوع، كذلك ندعو محبتكم ونناشدكم بالمسيح أن تمسكوا مقاليد القضاء بيدكم الملكية، وتشتعلوا غيرة على العرش الملكي في وجه المجرمين، فتنالون بذلك وبلا شك حظوة لدى الله والشعب، ثم لا تنسوا أن تكتبوا إلى قداسة البابا أن يرسل بعض الرهبان إلى المناطق، يناشدون الشعب ضد أعداء الصليب، وفي طليعتهم اليونانيين؛ لأن بطريرك القسطنطينية وعظ علنا في كنيسة الحكمة المقدسة، بالإشارة إلى مندوبينا أسقف مونستر ورفاقه، أن أي يوناني يقتل مائة من الحجاج، سيغفر الله له خطيئته حتى لو كانت في حقه جريمة قتل من اليونانيين. أحكموا الحراسة على منزل سويتبرت وNuwemagen الذي في الجزيرة؛ لأننا نرى أن ذلك مفيد جدًا، لقد فقدنا أكثر من مائة من الحجاج، رحلوا إلى الرب بميتة طبيعية، تعرضت خيولنا إلى أضرار جسيمة. عدد كبير من حجاج مملكتنا الأسرى في القسطنطينية قدموا إلينا من الولاية ومن Sosat. لقد مضى على وجودنا في فيليبوبوليس اثنا عشر أسبوعًا، لا وجود لحصن أو مدينة مأهولة من القسطنطينية حتى فيليبوبوليس».

******

quem iam dudum contra nostram benignitatem conceperat, *in hiemis asperitatem* transitum nostrum prorogans, artificiose porrexit[a] sicque legatis nostris *tanquam rebus bene gestis* ad nostram maiestatem remissis de ipsorum pecunia plus quam duo milia marcarum detinuit, iterato promittens transitum securum, navium abundantiam, forum 5 bonum, concambium consuetum. Verum quia *vulgari proverbio* dicitur[b]: *ustus timet uri,* Grecorum iuramentis et simulationibus nullam prorsus habentes fidem apud Philipopolim hiemare decrevimus; filius[c] vero noster dux Suevie, frater tue sublimitatis, moram facturus est in alia civitate Veroi[1·d] nomine cum magna exercitus parte que 10 distat a Philippopoli per[e] decem miliaria terre nostre, donec hiemalis aure inclementiam vernalis pellat temperies. Quoniam[f] igitur impossibilis est transitus noster per brachium sancti Georgii, nisi ab imperatore Constantinopolitano *electissimos* atque omni exceptione maiores obtineamus *obsides* et totam Romaniam nostro subiciamus im- 15 perio, regie nobilitatis tue commonentes[g] rogamus prudentiam[h], quatenus idoneos serenitatis tue legatos Ianuam, Venetias, Anchonam atque[i] Pisam et ad[i] alia loca pro galearum atque vascellorum[k] transmittas[l] 1190. Märt. presidio, ut Constantinopolim[m] circa medium[n] martium *nobis* occurrentes ipsi per mare, nos vero per terram civitatem oppugnemus. Preterea[o] 20 regiam commonemus discretionem, quatenus extantem pecuniam que nobis in variis locis debetur, consilio cancellarii[2] et H. et Wernheri de Bolant[3] et Richolfi notarii nostri[4] instanter congregari facias atque in domum Bernhardi Venetiani hospitis nostri deponi facias et sic consilio prudentum usque in Tyrum traducatur, quia scias 25 nobis plurimum fore necessariam propter inopinatam quam facturi sumus moram, presertim[p] cum pecuniam de Anchona et etiam aliis plerisque locis scilicet Meti, Breme et a comite de Honau[5] non recepimus[q]. Quamvis[r] autem electissimorum militum in obsequio

vivifice crucis habeamus copiam, tamen orationum instantia ad divinum reccurrendum est subsidium, *quia rex non salvatur per*[a] *multam virtutem* sed per eterni regis gratiam singulorum[b] merita excedentem. Igitur[c] regiam affectuose rogamus benignitatem, quatenus Psalm 32 5 apud religiosas imperii nostri personas summe[d] devotionis studio obtineas, ut iugi vigilantia pro nobis ad deum[e] fundant orationem. Consulimus[f] etiam discretioni tue, in Christo cohortantes, ut iudicium arripiat manus regia et in malefactores regie dignitatis zelus exardescat, profecto quia[g] per hoc gratiam consequeris dei et favorem[h] 10 populi[i]. Ad[k] haec domno pape scribere non omittas, quod aliquos religiosos per diversas provincias destinet, qui populum dei contra inimicos crucis exhortentur, precipue autem contra Grecos, quia presentibus legatis nostris, Monasteriensi episcopo et ipsius[l] collegis, in ecclesia sancte Sophie patriarcha Constantinopolitanus[m·1] publice pre- 15 dicavit, quod *quicumque Grecorum*[n] *centum peregrinos occideret,* si *decem*[o] *Grecorum* [homicidii] *reatum incurrisset,* indulgentiam consequeretur a domino[p]. Domum[q] insulariam Suitberti[r·2] et Nuwemagen[3] perfici facias et optime custodiri, quia perutile iudicamus. Plus quam centum peregrinos amisimus, qui morte propria migrarunt ad 20 dominum. Maximum damnum in equis sustinuimus. Multi de peregrinis imperii nostri Constantinopoli captivi tenentur tam de Provincia quam de Sosat[4] qui obviam nobis illo venerunt. Apud Philipopolim iam duodecim hebdomadas complevimus[5]. Usque Constantinopolim a Philipopoli[s·6] non invenitur civitatis vel castri 25 habitator[t]. [118 Novembe

* Fridericus dei[f] gratia Romanorum imperator et semper augustus prędilecto filio suo Heinrico[g] [illustri] Romanorum regi augusto [salutem et] sincerum paternę dilectionis affectum. Excellentię tuę litteras plenas[h] mentis et animi iocunditate nostra imperialis excepit benignitas, quarum tenore plurimum exhilarati super convalescentia tua spem firmam concepimus et optatam. Ceterum quia de personę nostrę *statu et* gloriosi *exercitus* vivificę crucis progressu [tua] regia desideravit edoceri serenitas, id primum[i] *significandum* occurrit, quod[k] mox ut fines imperii fratris nostri imperatoris Constantinopolitani attigimus, *in rapinis rerum et occisione*[l] nostrorum[m] *non modicum* detrimentum[n] *sustinuimus, sicut ab ipso imperatore dinoscitur* indubitanter[o] *procuratum. Nam quidam latrunculi sagittarii* penes[p] *publicam stratam in veprium condensis latitantes ex improviso sagittis toxicatis plerosque ex nostris*[q] *inermes et minus caute* ambulantes[r] *affligere non cessarunt, donec consilio maturiori* a *balistariis et militibus* nostris[s] undique[t] *vallati* atque[u] *flagrante maleficio deprehensi condignas meritis*[a] *penas exsolverunt*, quippe cum uno die[b] et *uno patibulo* XXXII[c] *more lupino suspensi* vitam indecenter terminaverunt; *nihilominus* tamen *residui malefactores* a[d] *latere per devexa montium per totum Bulgarię nemus nos persequentes*[e] *nocturnis rapinis molestaverunt, quamvis* innumerabiles[f] variis *tormentorum generibus ab exercitu nostro* vicissim miserabiliter *sint* cruciati[g]. Porro prefatus imperator Constantinopolitanus non solum universa quę a cancellario suo in animam ipsius et caput apud Nurenberg iurata noscuntur, infringere non dubitavit, verum etiam *sub interminatione penę concambium* et *forum* nobis *subtraxit*[h]; *arcta quoque viarum succisis arboribus* ac *saxis* ingentibus[i] *obvolutis* iussit *pręcludi*[k] *et* quasdam *antiquas clausuras*[l] vetustate collapsas, robur scilicet et munimentum totius Bulgarię, *in berfredis*[m] *et propugnaculis contra honorem dei* et[n] sanctę[o] crucis vivificę *in* nostrum ac totius christianitatis *excidium* pręcepit *communiri*[p]. Nos[q] *vero celesti suffulti pręsidio Grecorum machinamentis ignem apponentes robora cum saxis*[r] *in favillam redegimus*[s] *et cinerem.* Itaque universis clausuris[t] per dei gratiam victoriose transitis in *terram planam*[u] *Circuitz*[v] *omnibus bonis* refertam[w] pervenimus et sic *in* peragratione *Bulgarię sex hebdomadas* laboriose[x] satis expendimus. Rursus inde proficiscentes *Philipopolim civitatem* situ *naturali*[y] ac manu *artificis munitissimam* atque opulentissimam prorsus desertam quasi[z] pro *derelicta*[a] occupavimus. Et ecce, *die sequenti litteras* magno *fastu* conceptas[b] ab *imperatore* Constantinopolitano accepimus quę pariter minus blandimenta et[c] dolos concinnabant. *Tunc* autem *primum*[d] *de captivitate* legatorum nostrorum, *Monasteriensis videlicet episcopi*, comitis Ruperti[e], Marquardi camerarii ad plenum *sumus certificati, quos* sępedictus imperator, dum adhuc in Ungaria[f] essemus constituti, in contumeliam creatoris et crucis scandalum, cui militabant, iussit captivari et famę suę minus consulens contra *ius* universarum *nationum* et legatorum ignominiose *nudatos in carcerem* iussit[g] detrudi. Talibus auditis *universus* crucis *exercitus infremuit et* postmodum civitates castella vicos depopulari atque occupare non cessavit, quoad usque imperator Constantinopolitanus[h] magnificentię nostrę legatos cum magno honore ad nos redituros litterarum suarum tenore nobis significavit. Tandem vero *post multas* legationes atque legatorum *ambages* dolum,

الخرائط والأشكال

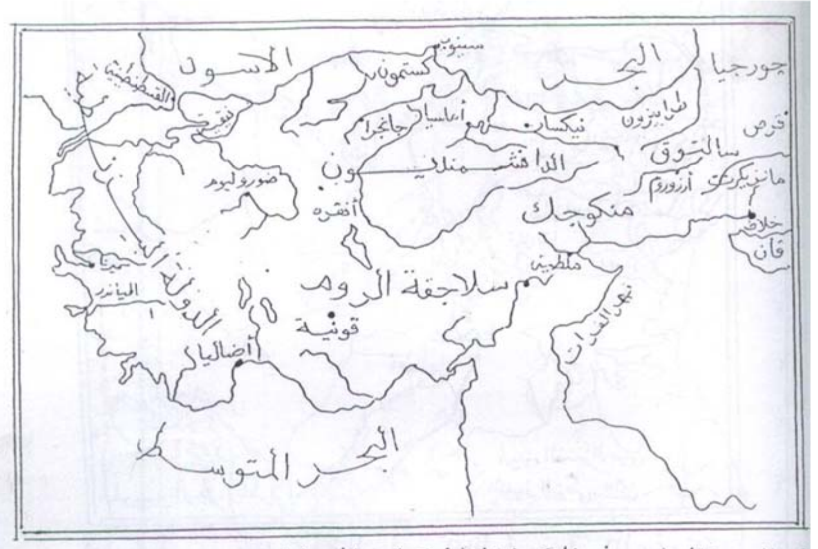
أولًا: الخرائط:

- خريطة رقم (١) آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي.
- خريطة رقم (٢) خط سير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى.
- خريطة رقم (٣) خط سير جيش فردريك بربروسا في آسيا الصغرى.
- خريطة رقم (٤) قطاعات خط سير جيش فردريك بربروسا في آسيا الصغرى.

(٤-٤ / ١٠-٦ سنة ١١٩٠م)

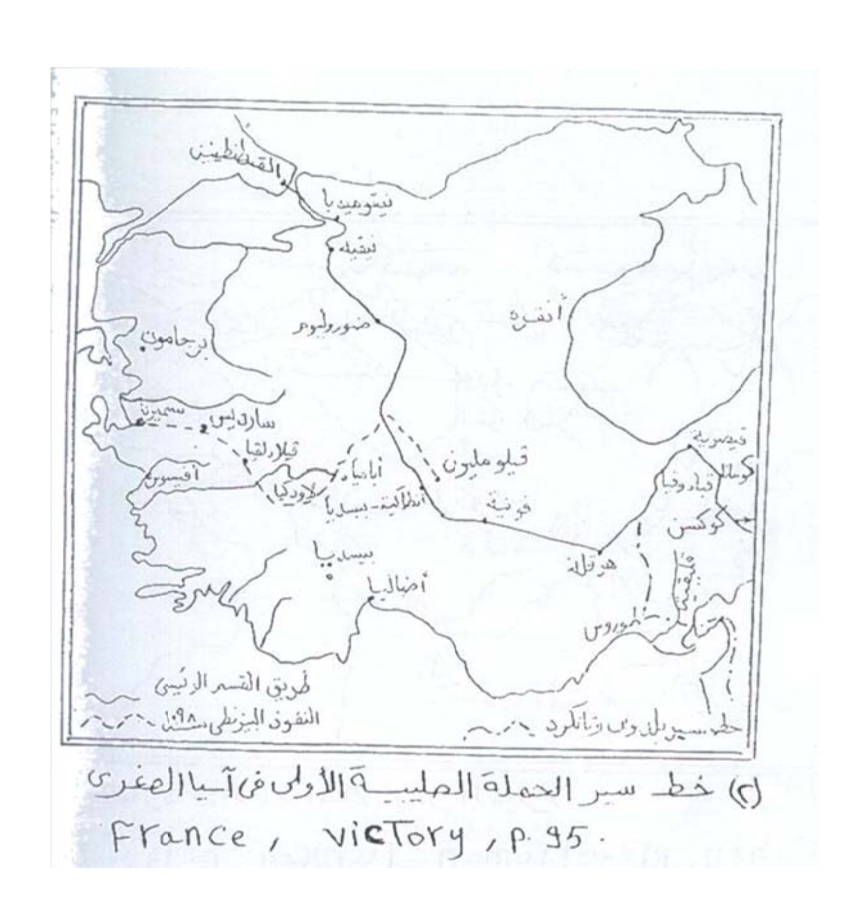
ثانيًا: الأشكال:

- شكل رقم (١) الحملة الصليبية الثانية في شعاب آسيا الصغرى.

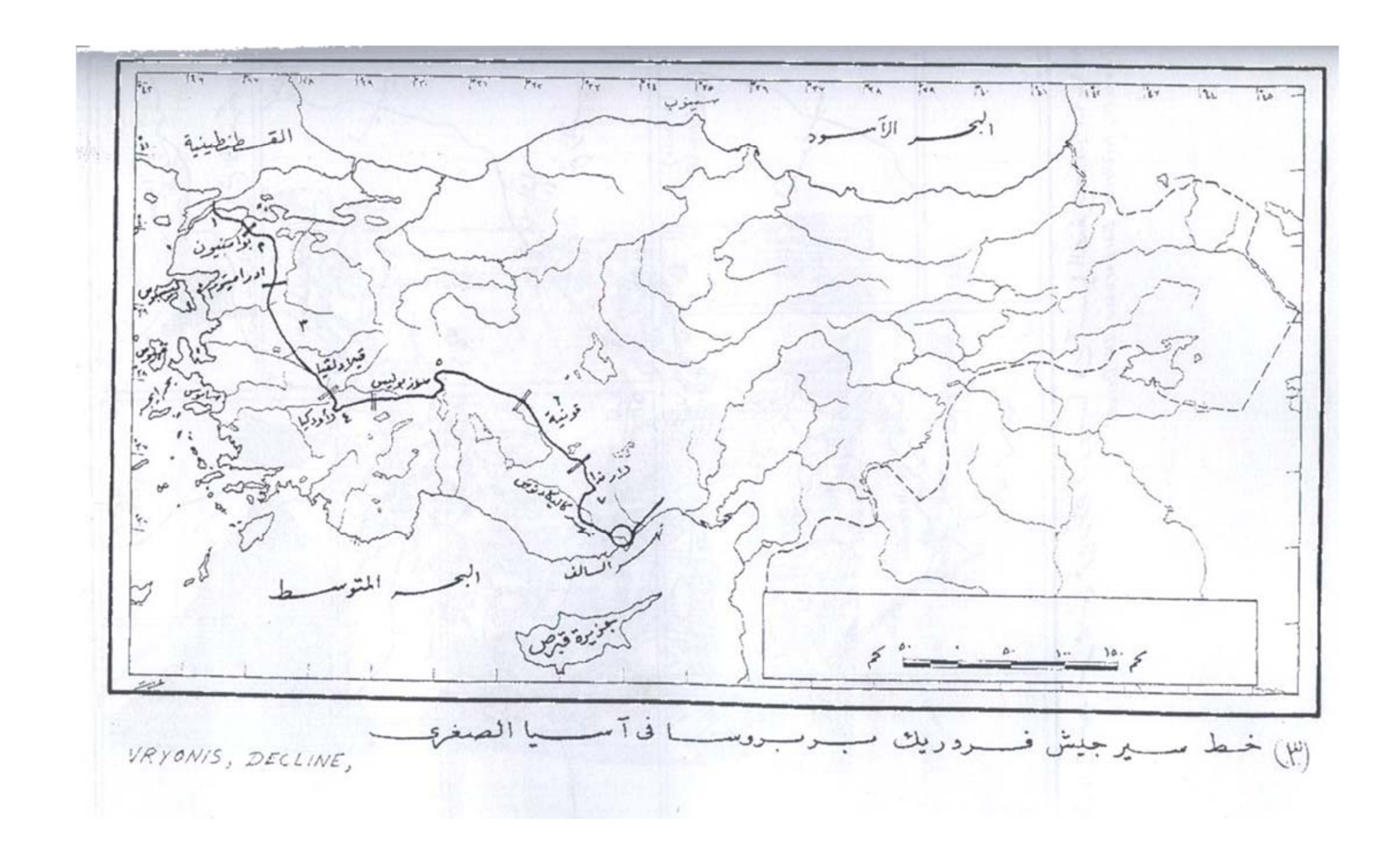


(١) آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر الميلادى.

Cahen, pre-ottoman Turkey, p. 139.

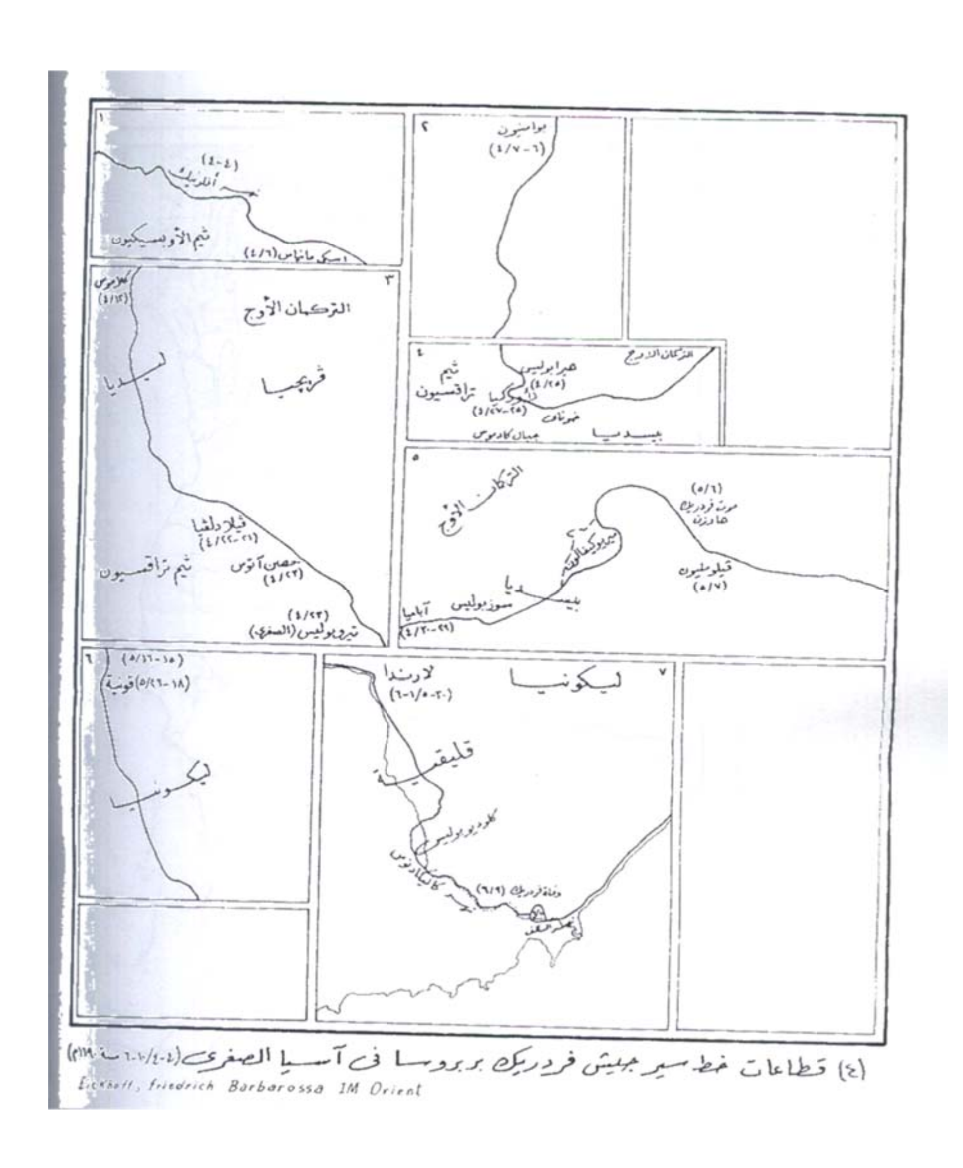


(٢) خط سير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى
France, Victory, p. 95.



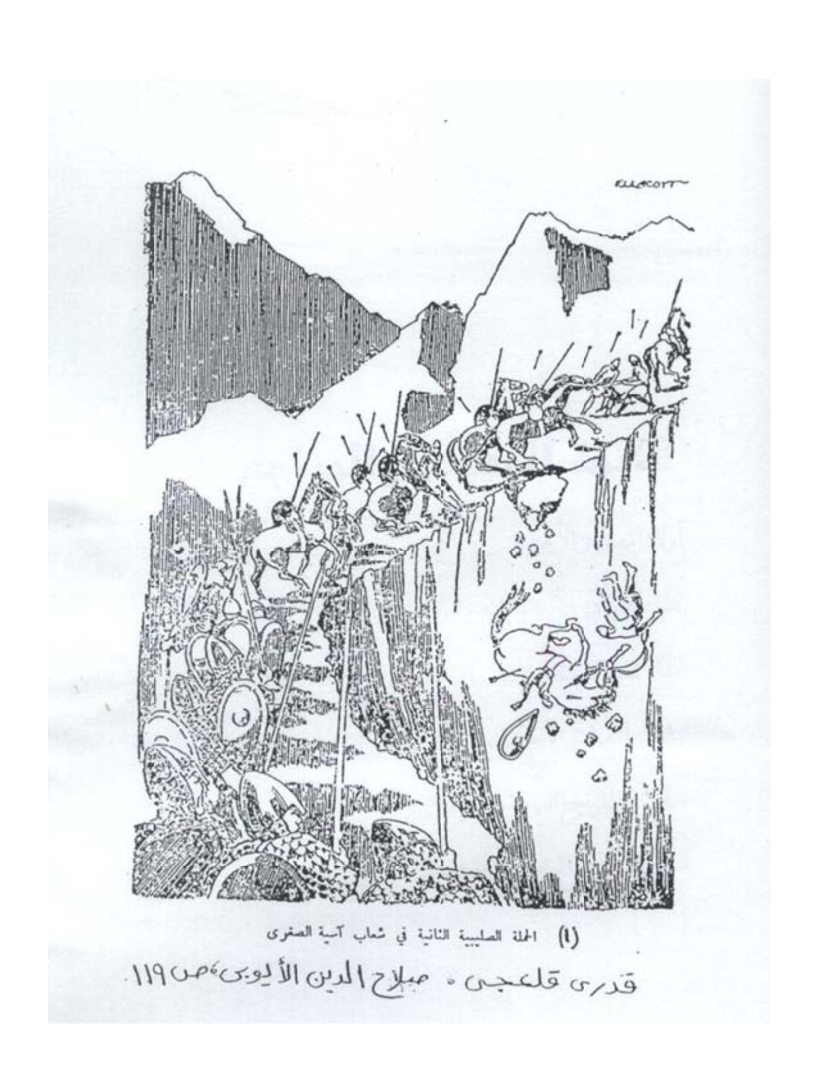
(٣) خط سير جيش فردريك بربروسا في آسيا الصغرى

VRYONIS, DECLINE,



(٤) قطاعات خط سير جيش فردريك بربروسا فى آسيا الصغرى (٤-٤/٦-١٠ سنة ١١٩٠م)

Eickhoff, friedrich Barbarossa IM Orient



(أ) الحملة الصليبية الثانية في شعاب آسية الصغرى

قدري قلعجي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ١١٩.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المختصرات

A.H.R.	American Historical Review.
B	Byzantion.
B.F.	Byzantinische Forschungen.
B.J.E.L.	Bulletin of The John Rylands Library.
Ch.H	Church History.
C.H.I	The Cambridge History of Islam.
C.M.H.	Cambridge Medieval History.
C.S.C.O.	Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium.
C.S.G.B.	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
D.M.A.	Dictionary of The Middle Ages.
D.O.P.	Dumbarton Oaks Papers.
E.I.	The Encyclopaedia of Islam.
G.O.T.R.	Greek Orthodox Theolgical Review.
J.C.B.S.	International Congress of Byzantine Studies.
J.A.	Journal Asiatique.
J.H.S.	Journal of Hellenic Studies
J.M.H.	Journal of Medieval History.
J.N.E.S.	Journal of Near Eastern Studies.
M.G.H.SRG.	Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Germanicarum.
M.G.H.ss	Monumenta Germaniae Historica,

	Scriptores.
M.S.	Medieval Studies.
N.E.B.	New Encyclopaedia Britannica.
O.D.B.	The Oxford Dictionary of Byzantium.
R.E.B.	Revue Des Etudes Byzantines.
R.H.C.	Recueil des Historiens des Croisades
R.H.G.F	Recueil des Historiens des Gaules et de la France.
R.S.	Rolls Series.
Sp	Speculum
T	Traditio
T.A.D.	Tarih Arastirmalari Dergisi.
U.B.H.S.	University of Birmingham Historical Society.
W.Z.K.M.	Winer Zeitschrift Fur Die Kunde Des Morgenlandes

أولًا: المصادر الأجنبية

Albert D'Aix, Historia Hierosolymitana, ed. R.H.C. - H.Occ., 4, (Paris 1879).

Ambroise, The Crusade of Richard Lion- Heart, English Trans, Hubert, M.J., (New York 1941).

Anna Comnena, The Alexiad, English Trans. Sewter, E.R.A., (London 1969).

Annales Egmundani, ed, Pertz, GH. MGH.ss, vol. 16, (Hanover 1859).

Annales Herbipolenses, ed Pertz, G.H., M.G.H.ss., 16, (Hanover 1859).

Annales Magdeburgenses, ed., Pertz, G.H., M.G.H.ss, 16 (Hanover 1859).

Annales Palidenses ed. Pertz. G.H., M.G.H.ss., vol. 16, (Hanover 1859).

Anonymi Auctoris Chronicon, ed. Albert, A., C.S.C.O., Vol. 354, part2.

Anonymus, Second Pars Historiae Ihierosolimitanae, R.H.C. H-Occ, Vol. 3, (Paris 1866).

Ansbert, Historia de Expeditione Friderici Imperatoris, ed., Chroust, A., M.G.H. SRG., N.S., Vol. 5, (Munch 1989).

Arnold of Lubeck, Chronica Slavorum, ed Pertz, G.H., M.G.H.ss, Vol. 21, (Hanover 168).

Attaliatae, M., Historia, ed. Backer. I., C.S.H.B., (Bonn 1853).

Benedict of Peterborough, The Chronicle of The Reigns of

Henry II and Richard I, A.D. 1169-1192, ed. Stubbs, W.,R.S., 2 vds, (London 1867).
Bryennios, N., Les Quatre Livers des Histoires, French Trans. Gregoire, H., B., 23 (1953), (1957).
Burchard Von Ursberg, Die Chronik des Propstes, ed. Holder-Egger, O. & Simson, B., M.G.H.SRG., (Hanover 1916).
Cedrenus, G., Historiarum Compendium, ed. Bekker, C.S.H.B., (Bonn 1839).
Choniates, N., O City of Byzantium: Annales of Nicetas Choniates, English Trans. Magoulias, H., (Detroit 1984).
Chronico Ecclesiae Santi Dionysii (eds), Bouquet M. & Others R.H.G.G., Vol. 12, (Paris 1877).
Chronico Mauriniacensi, (eds.), Bouquet, M. & Others, R.H.G.F., Vol. 12 (Pairs 1877).
Conrd III, Letter to Wilbald, in: R.H.G.F., Vol. 15, (Paris 1878).
Ekkehard of Aura, Hierosolymita, R.H.C-H.Occ., Vol. 5, (Pairs 1886).
Gervase of Canterbury, Historical Warks, ed Stubb, W., R.S., Vol. 73, (London 1879-1880).
Gotfridi Anonymus Rhenani, Historia et Gesta Ducis Gotfrid, R.H.C. H-Occ., Vol. 5, (Paris 1895).
Guibert of Nogent, Historia quae Dicitur Dei Per Francos, R.G.C.H.- Occ, Vol. 4, (Pairs 1879).
Helmold, The Chronicle of The Salavs, English Trans Tschan, F.J., (New York 1935).

Historia Pereginorum, ed Chroust, A., M.G.H.SRG, N.S., Vol. 5, (Munch 1989).

John of Salisbury, The Historia Pontificalis, English Trans. Chibnall, M., (Oxford 1986).

Kinnamos, J., Deeds of John and Manuel Comnenus, English Trans. Brand, Ch., (New York 1976).

Louis VII, Letter to Suger, in R.H.G.F., Vol. 15 (Pairs 1878) pp. 495-96.

Magnus of Reichersberg, Chronica Colleta, ed, Pertz, G.H., MG.H.ss Vol. 17 (Hanover 1860)

Matthieu D'Edesse, Chronique de Matthieu D'Edesse (962-1136) avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusqu'en 1162. French Trans. Dulaurier, M.E., (Parise 1858).

Odo of Deuil, De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed & English Trans. Berry, V.G., (New York, 1948).

Orderic Vitalis, Historia Ecclesiastica, English Trans Chibnall, M., Vol. 5, (Oxford 1975).

Otto of Freising, The Deeds of Frederick Barbarossa, English Trans. Miero, C.C., (Columbia 1966).

Otto of St. Blasien, The Third Crusade 1189-1190, in: Thatcher, O.J., & Mcneal, E.H. A Source Book for Mediaeval History, (America 1905).

Ricardo, Chronicles and Memorials of The Reign of Richard I, ed., Stubbs W.,R.s., (London 1964).

Roger of Hoveden, The History of England and The Others Countries of Europe from A.D. 732- to A.D. 1201, English

Trans Henry, T.R. Vol. I, (London 1853).
Roger of Wendover, Flowers of History, English Trans. Giles, J.A., (London 1849).
Scylitzae, I., Exoerpta ex Breviaria Historica Ioannis Scylitzae Curopalatae, in: Cedrenus, Vol. 2, pp. 641-744.
Vinsovfs G., Itinerary of Richard I and Others to the Holy Land, (New York 1969).
William of Newburgh, The History of English Affairs, English Trans. Walsh, p. G. & Kennedy, M.J., Book I, (London 1988).
Zonaras, J., Epitomae Historiarum, ed. Buttnerwobst, C.S.H.B., Vol. 3, (Bonn 1839).

ثانيًا: المصادر الأجنبية المعربة

أناكومنينا، الالكسياد، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ سهيل زكار، ج٦، (دمشق ١٩٩٥).

بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية / جون هيوج هيل ولوريتا. ل. هيل، نقله إلى العربية/ حسين محمد عطيه، (الإسكندرية ١٩٩٩).

ذيل تاريخ وليم الصوري (النص)، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ سهيل زكار، (دمشق ١٩٩٣).

الرهاوي المجهول، روايات المؤرخ الرهاوي المجهول عن الحملتين الأولى والثانية، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، (دمشق ١٩٩٥).

ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة إلى الإنجليزية/ جون هيوج هيل- لوريتا ل هيل، ترجمة إلى العربية/ حسين محمد عطية، (الإسكندرية ١٩٩٠).

فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة من اللاتينية/ فرنسيس ريتا ريان، ترجمة إلى العربية/ زياد جميل العسلي، (الأردن ١٩٩٠).

المؤرخ المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة/ حسن حبشي، (القاهرة ١٩٥٨).

ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ترجمة/ غريغوريوس صليبا شمعون، ٣ أجزاء (حلب١٩٩٦).

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة / حسن حبشي، ٤ أجزاء، (القاهرة، ١٩٩١-١٩٩٤)،

ثالثًا: المصادر العربية:

- ابن الأثير، (عز الدين أبو الحسن، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
- الكامل في التاريخ، تحقيق / أبي الفداء عبد الله القاضي، ١١ جزء، (بيروت ١٩٩٨).
- ابن ايبك الدواداري (ابو بكر بن عبد الله، ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م).
- كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، سعيد عبد الفتاح عاشور،(القاهرة ١٩٧٢).
- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧).
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت د:ت).
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن، ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٠ أجزاء، في ٥ مجلدات (حيدر آباد ١٣٥٩هـ).
- ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين أحمد، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ يوسف علي طويل- مريم قاسم طويل، ٦ أجزاء (بيروت ١٩٩٨م).
- ابن شداد (القاضي بهاء الدين، ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م:
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفيه، المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق/ سعد كريم الفقي، (الإسكندرية ١٣٤٦هـ).
- ابن العبري (ابو الفرج جمال الدين، ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).
-تاريخ الزمان، نقله إلى العربية/ أسحق أرملة، (بيروت ١٩٨٦).
-ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبه الله، ت ٦٦٠هـ/١٦٧٨م):
-زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق/ سامي الدهان، ٣ أجزاء، (دمشق ١٩٥١).
-ابن القلانسي (أبي يعلى حمزة، ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م).
-ذيل تاريخ دمشق، (بيروت ١٩٠٨).
-ابن واصل (جمال الدين محمد، ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).
-مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ أجزاء، ج٢، عصر صلاح الدين ٥٦٩-٥٨٩هـ = ١١٧٤-١١٩٣م، تحقيق/ جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٧).
-ابن الوردي (زين الدين عمر، ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م).

-تنمية المختصر في أخبار البشر، جزءين، (القاهرة ١٢٨٥).

-أبو شامة (شهاب الدين بن عبد الرحمن ٦٦٥هـ/١٢٦٨م).

-الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق/ إبراهيم الزيتون، ٥ أجزاء، (بيروت ١٩٩٧).

-أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).

- تقويم البلدان، (باريس ١٨٤٠).

- المختصر في أخبار البشر، تحقيق/ محمود ديوب، جزئين، (بيروت ١٩٩٧).

-البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن، ت ٧٣٩هـ/ ١٣٦٥م).

-مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ علي محمد البجاوي، ٣ أجزاء، (القاهرة ١٩٥٤).

-بنيامين التطيلي، ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م.

-رحلة ابن يونه الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ٥٦١هـ-٥٦٩هـ، ترجمة/ عزرا حداد، (بيروت ١٩٩٦).

-الحريري (أحمد بن علي، ت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي).

-الاعلام والتبيين بخروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق/ سهيل زكار، (دمشق د. ت).

-الحسيني (صدر الدين بن علي، ت ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م).

-أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق/ محمد إقبال، (بيروت ١٩٨٤).

-الحنبلي (أحمد بن إبراهيم، ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م).

-شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق/ ناظم رشيد، (العراق ١٩٧٨).

-الحنبلي (مجير الدين عبد الرحمن، ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م).

-الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تقديم/ محمد بحر العلوم، جزءين، (العراق ١٩٦٨).

-الراوندي (محمد بن علي، ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م).

-راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة/ عبد النعيم محمد حسنين- فؤاد عبد المعطي الصياد، (القاهرة ١٩٦٠).

-العظيمي (محمد بن علي، ت **٥٥٨**هـ/ **١١٦٣**م).
-تاريخ العظيمي، نشر/ كلود كاهن في:
-J. A, Vol. ccxxx (1938), pp. 353-448.
-عماد الدين الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد ت **٥٩٨**هـ/ **١٢٠١**م).
-الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق/ محمد محمود صبيح، (القاهرة **١٩٦٥**).
- تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار/ الفتح بن علي بن محمد البنداري، (بيروت **١٩٨٠**).
- المقريزي: أحمد بن علي، (ت **٨٤٥**هـ/ **١٤٤٢**م).
- السلوك لمعرفة دول الملوك، **٦** أجزاء، الأجزاء من **١-٣** تحقيق/ محمد مصطفى زيادة، (القاهرة **١٩٣٩-١٩٧٢**)، الأجزاء من **٤-٦** تحقيق/ سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة **١٩٧٢-١٩٧٦**).
- النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت **٧٧٣**هـ/ **١٣٣٢**م)
- نهاية الأرب في فنون الأدب، **٣٢** جزء، ج**٢٦**، تحقيق/ محمد فوزي العنتيل، (القاهرة **١٩٨٥**)، ج**٢٧**، تحقيق/ سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة **١٩٨٥**).
- الهروي (أبي الحسن علي، ت **٦١١**هـ/ **١٢١٤**م).
- الإشارات إلى معرفة الزيارات، نشر وتحقيق/ جانين سورديل طومين، (دمشق **١٩٥٣**).
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله، ت **٦٢٦**هـ/ **١٣٢٩**م)
- معجم البلدان، تحقيق/ فريد عبد العزيز الجندي، **٧** أجزاء، (بيروت **١٩٩٠**).

رابعًا: المراجع الأجنبية:

- Anderson, J.G.C., "The road-system ofEastern Asia Minor with the evidence of Byzantine campaigns". J.H.S., 17(1897), pp., 22-44.

- Angold, M., The Byzantine Empire 1025- 1204: A Political History, (London 1984).

- Archer, T.A., The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, (London 1894).

- Barger. E., in the Track of The Crusaders, (London 1931).

- Bell, K., Mediaeval Europe 1095-1254, (Oxford 1932).

- Belloc, The Crusade, The world's Debate, (London 1937).

- Berry, V.G., "The Second Crusade", in: Setton, K.M.,& Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, Vol. I, (Philadelphia 1955).

- Brand, Ch., "The Byzantines and Saladin 1185-1192: Opponents of the Third Crusade", Sp., 37 (1962).

- Byzantium Confronts The West 1180-1204, (Cambridge 1968),

- Brehier, L., Les Croisades, (Paris 1928).

- Brice, W.C., "The Turkish Colonisation of Anatolia", B.J.R.L., 38 (1955).

- Brundage, J.A., "An Errant Crusader: Stephen of Blois". T., 16 (1960).

- Crusades, A Documentary Survey, (London 1962).

- Cahen, C., "The Turkish invasion: The Selechukids", in: Setton, K.M. & Baldwin, M.W., (eds), A History of the

Crusades, I, (Philadelphia 1955).
- La Premiere Penetration Turque en Asie- Mineure (Seconde Moitie Du XIe S.), B. 18 (1946- 1948).
- "The Turks in Iran and Anatolia before the Mongol Invasion", in: Setton, K.M.& Baldwin, M.W. (eds) A History of the Crusades, Vol. 2, (Philadephia 1962).
- "An Introduction to the First Crusade" in: Turcobyzanitina et Oriens Charistianus, (London 1974), pp. 6-30.
- "Selgukides, Turcomans et Allemands Au Temps de la Troisieme Croisade", W.Z.K.M., 56 (1960), pp. 21-31.
- Per-Ottoman Turkey, English Trans. Williams, J.J., (London 1968).
- Cate, J.L., "The Crusade of 1101", in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W., (eds), A History of The Crusades Vol. I, (Philadelphia 1955).
- "A Gay Crusader", B., 16 (1942-1943),
- Chalandon, Essai Sur Le Regne D'Alexis 1er Comnene (1081-1118), (Paris 1900).
- Les Comnenes, Jean II et Manel I Comnene, (Paris 1912).
- Champdor, A., Saladin Le Plus pur Heros de L'Islam, (Paris 1965).
- Charanis, P., "The Byzantine Empire in The Eleventh Century", in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W., (eds), A History of the Crusades, Vol. I, (Philadelphia 1955).
- Byzantium, The West and the Origin of the Frist Crusade" B, 19 (1949).

- "A Greek Source on The Origin of the first Crusade", Sp., 24 (1949).
- Cultural Diversity and The Breakdown of Byzantine Power in Aisa Minor", D.O.P., 29 (1975), pp. 3-20.
- "Ami sot The Medieval Crusades and How They were Viewed by Byzantium", Ch.H, 21 (1952), pp. 123-134.
- Church, A.J., The Crusaders, A Story of The War for The Holy Sepulcher, (London 1912),
- Constable, G., "The Second Crusade as Seen by Contemporaries", T., 9 (1953).
- Cowdrey, H.E.J., "The Gregorian Papacy, Byzantium and the first Crusade". B.F., 13 (1988), pp. 145-169.
- "Martyrdom and the First Crusade", in: Edbury, P.W., (ed), Crusade and Settlement, (London 1985).
- Curtis, E., Roger of Sicily and The Norman in Lower Italy 1016-1154, (London 1912).
- Daly, M.W., "Christian Fraternity The Crusaders and The Security of Constantinople 1097-1204", M.S., 22 (1960), pp. 41-91.
- Der Nersessian, S., The Armenia, (London 1969).
- Armenia and The Byzantine Empire, (Cambridge 1944).
- Diehl, Ch., Byzantium: Greatness and Decline, English Trans. Walford, N., (U.S.A. 1957).
- Duggan, A., The story of the Crusades,1097-1291, (London 1963).
- Duncalf, F., "The Pope's Plan for the Crusade", in: Brimdage,

J.A. (ed), the Crusades, Motives and Achievements, (U.S.A. 1966), pp. 22-27.
- "The Councils of Piacenza and Clermont", in: Setton, K.M & Baldwin, M.W. (eds), A History of The Crusades, Vol. I, (Philadelphia 1955), pp. 220-252.
- "The Peasants' Crusade", A.H.R. 26 (1921), pp. 440-453.
- "The First Crusade: Clermont to Constantinople", in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W., (eds), A History of the Crusades, Vol. I, (Philadelphia 1955).
- Eickhoff, E., Friedrich Barbarossa Im Orient, Kreuzzug und Tod Friedreichs I, (Tubingen 1977).
- Elisseeff, N. "The Reaction of The Syrian Muslims After The Foundation of first Lain Kingdom of Jerusalem", in: Shatzmiller, M. (ed), Crusaders and Muslims in Twelfth Century Syria, (New York 1993), pp. 162-172.
- Finlay, G., History of Greece from Its Conquest by The Romans to the Present Time B.C. 146 to AD 1864, Vols, 2-3, (Oxford 1877).
- Fletcher, C.R.L., The Making of Western Europe, Vol. 2, (London 1914).
- Forse, J.H., "Armenians and The First Crusade" J.A.H., 17 (1991).
- Foss, C., "The Defenses of Asia Minor Against The Turks". G.O.T.R., 27 (1982), pp. 145-205.
- France, J., Victory in The East, A Military History of the First Crusade, (Cambridge 1996).

- Franzius, E., History of The Byzantine Empire, Mother of Nations, (New York 1967).
- Georgacas, J.D., The Names for the Asia Minor Peninsula and A Register of Surviving Anatolian Pre-Turkish Placenames, (Heidelberg 1971).
- Gibb, H.A.R., "Zengi and The Fall of Edessa", in: Stton, K.M. & Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, Vol. I, (Philadelphia 1955).
- Grabois, A, "The Crusade of King Louis VII: A Reconsideration", in: Edbury, p. W. (ed), Crusade and Settlement, (London 1985), pp. 94-104.
- Grousset, R., Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 Vols., (Paris 1934).
- L'Epopee des Croisades, (Pairs 1939).
- Grumel, V., "Au Seuil de la IIe Croisade deux Lettres de Manuel Comnene Au Pope", R.E.B., 3 (1945), pp. 143-167.
- Hamilton, The Crusades, (London 1998).
- Herrin, J., "The Collapse of the Byzantine Empire in Twelfth Century : A Study of A Medieval Economy", U.B.H.S., 1 (1970), pp. 188-203.
- Hillenbrand, C., Turkish myth and Muslim symbol The battle of Manzikert, Edinburg University, (2007).
- Holt, P.M., The Age of the Crusades, The Near East From the Eleventh Century to 1517, (New York 1986).
- Hussey, J.M. "The Later Macedonians, the Comneni and The Angeli 1025-1204", C.M.H., Vol. 4, Part 1, (1964).

- Byzantium and The Crusades 1081-1204" in: Setton, K.M & Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, Vol. 2 (Philadelphia 1962).
- Johnson, E.N., "The Crusades of Frederick Barbarosaa and Henry VI" in: Setton, K.M., & Baldwin, M.W. (eds), A History of the Crusades, Vol. 2 (Philadelphia 1962), pp. 87-172.
- Kaegi, W., "The Contribution of Archery to The Turkish Conquest Anatolia" Sp., 39 (1964).
- Kafesoglu, I., A History of the Seljuks, English Trans. Leiser, G., (U.S.A. 1988).
- Kerr, A.J.C., The Crusades, (New York 1966).
- Krey, A.C., The First Crusade, Accounts of Eye-Witnesses and Participants (London 1958).
- "William of Tyre, The making of An Historian in the Middle Ages", SP., 16 (1941).
- Lamb, H., The Crusades, Iron Men & Saints, (New York 1942).
- Laurent, J. "Byzance et Les Origines du Sultant de Roum", Etudes Sur L' Histoire et sur L' Art de Byzance, in: Melanges Charles Diehl, Vol. I, (Paris 1930).
- Byzance et Les Turcs Seldjoucides dans L'Asie Occidentale Jusqu'en 1081, (Paris 1913).
- Lilie, R.J., "Twelfth- Century Byzantine and Turkish States", B.F., 16 (Amsterdam 1991).
- Byzantium and The Crusader Sates 1096-1204, English Trans. Morris, J.C., & Ridings, J.E., (Oxford 1993).

-Louis and Riely-Smith, The Crusades, Idea and Reality 1095-1274, (London 1981).
-Magdalino, P. The Empire of mannuel I Komnenos 1143-1180 (Cambridge 1997).
- Mills, C., The History of the Crusades for The Recovery and Possession of the Holy Land, 2 Vols., (London 1828).
- Munro, D.C., "Did the Emperor Alexius 1 Ask for Aid at the Council of Piacenza 1095?" A.H.R., 27 (1922) pp. 731-33.
- The Speech of Pope Urban II at Clermont", A.H.R., II (1906).
- "Papal Proclamtion of The Crusade" In: Brundage, J.A. (ed), Crusades, motives and Achievements, (U.S.A. 1966), pp. 7-11.
- The Kingdom of the Crusaders, (New York 1935).
- Munz, P., Frederick Barbarossa: A Study in Medieval Politices, (London 1969).
-Nesbitt, J.W., "The Rate of March of Crusading Armies in Europe", T, 19 (1963), pp. 167-182.
- Norwich, J.J., Byzantium, The Decline and Fall, (New York 1996).
- Oldenbourg, Z., The Crusades, Enlgish Trans., Carter, A., (New York 1967).
- Oman, Ch., A History of the Art of War in The Middle Ages, Vol. I, A.D. 378-1278, (London 1924).
- Ostrogorsky, G., History of Byzantine state, English Trans. Hussey, J.M., (London 1957).

- Osward, M., Asia Minor, With 160 Pictures in Photogravure, 8 Colour Plates, (London 1963).
- Ottin, M., Land of Emperors and Sultans: The Forgatten Cultures of Asia Minor, (London 1964).
- Pacaut, M., Frederick Barbarossa, English Trans. Pomerans, A.J., (London 1970).
- Payne, R., The Dream and The Tomb, A History of The Crusades, (U.S.A. 1984).
- Pernoud, R., History in the Making The Crusades, (London 1962).
- Pococke, R., A Description of The East and Some Other Countries, Vol. 2, part 2, Observation on the Island of the Archipelago, Asia Minor, Thrace, Greece and Some Other Parts of Europe, (London 1845).
- Pryor, J.H., "The Oaths of the Leaders of the First Crusade to Emperor Alexius I Comnenus: Fealty, homage", Parergon, N.S., 2 (1984), pp. 111-141.
- Ramsay, M.W. The Historical Geography of Asia Minor, (Amsterdam 1962).
- Richard, J. Histore des Croisades, (Fayard 1996).
- Riley-Smith, J., The Crusades, A Short History, (London 1987).
- Rousset, P. Histoire des Croisades, (Paris 1957).
- Rowe, J.G., "The Origins of The Second Crusade: pope Eugenius III, Bernard of Clairvaux and Louis VII of France", in Gervers, M. (ed), The Second Crusade and Cistercians, (New

York 1992).
- Runciman, S., "The Frist Crusaders' Journey Across The Balkan Peninsula" B, 19 (1949), pp. 79-89.
- "The First Crusade: Constantinople to Antioch" in: Setton, K.M. & Baldwin, M.W. (eds)). A History of the Crusades, I, (Philadelphia 1955).
- Savvides, A.G.C., Byzantium in the Near East: Its Relations With The Seljuks Sultanate of Rum in Asia Minor, The Armenians of Cilicia and The Mongols A.D.C. 1192-1237, (Thessalonica 1981).
- Sayar, M., "The Empire of The Salcuqids of Asia Minor" J.N.E.S., 10,No 4.(oct., 1951), pp. 268-80.
- Stevenson, W.B., The Crusaders in The East (Cambridge 1968).
- Sybel, H., The History and Literature of The Crusades, English Trans. Gordon, L.D., (London 1965).
- Taeschner, F., "The Turks and The Byzantine Empire to the End of the Thirteenth Century", C.M.H., Vol. 4, part I, (1964), pp. 736-752.
- Topping, P. "Eudes De Deuil", Sp, 26 (1951), pp. 385-7.
- Toumanoff, C., "The Background to Mantzikert" I.C.B.S., (September 1966), pp. 411-426.
- Treadgold, W., A History of the Byzantine State and Society, (U.S.A. 1997).
- Turan, O., "Anatolia in the Period of the Seljuks and The Beyliks", C.H.I., Vol. I (1970), pp. 231-262.

- Vasiliev, A.A., History of the Byzantine Empire 324-1453, I, (Madison 1958).
- Vryonis, S., "Nomadization and Islamization in Asia Minor" D.O.P., 29 (1975), pp. 43-71.
- "Byzantium: the Social Basis of Decline in The Eleventh Century" in: Byzantium: Its Internal History and Relations with The Muslim World, (London 1971).
- "Problems in The History of Byzantine Anatolia", T.A.D.I (1963), pp. 113-132.
- The Decline of medieval Hellenism in Asia Minor and The Process of Islamization From the Eleventh Through The Fifteenth Century, (London 1971).
- Walker, C.H., "Eleanor of Aquitaine and the Disaster at Cadmos Mountain on The Second Crusade", A.H.R., 55 (1949-1950).
- Webster, M., Webster's New Geographical Dictionary, (New York 1972).
- Wise, T., The Wars of The Crusades 1096-1291, (London 1978).
- Wittek, P., "Deux Chapiters de L'Histoire des Turcs de Roum", BII, (1936), pp. 285-319.
-

خامسًا: المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم أحمد العدوي،
الإمبراطور البيزنطية والدولة الإسلامية، (القاهرة **١٩٥١**).

إسحاق عبيد،
روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنطين، (القاهرة **١٩٧٠**).

إسحق أرملة،
الحروب الصليبية في الآثار السريانية، (بيروت **١٩٢٩**).

أسمت غنيم،
العلاقات البيزنطية الألمانية أثناء الحملة الصليبية الثانية في ضوء وثائق كيناموس، (الإسكندرية **١٩٨٨**).
- العلاقات السياسية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية **٩٦٩-١٠٩٤**، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، **١٩٦٨**.

آميل (بول)،
تاريخ أرمينيا، عرض مبسط لتاريخ الشعوب الأرمينية منذ فجر التاريخ حتى اليوم، ترجمة/ شكري علاوي، (بيروت د.ت).

أومان،
الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة/ مصطفى طه بدر (القاهرة **١٩٥٣**).

باركر (آرنست)،
الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، (بيروت د.ت).

بردج (انتوني)،
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ أحمد غسان سبانو، نبيل الجيرودي، (دمشق **١٩٨٥**).

بسام العسلي،
الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، (بيروت **١٩٧٨**).

تيسير بن موسى،
نظرة عربية على غزوات الفرنج من بداية الحرب الصليبية حتى وفاة نور الدين، (ليبيا د.ت).
جان أحمرانيان،
من هم الأرمن?، (القاهرة **١٩٧٨**).
جوزيف نسيم يوسف،
العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى، (الإسكندرية **١٩٨٩**).
حامد زيان غانم،
الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة، (القاهرة **١٩٧٧**).
حسن حبشي،
الحرب الصليبية الأولى، (القاهرة **١٩٤٧**).
حسن عبد الوهاب حسين،
"أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ الحملة الأولى حتى معركة حطين (**١٠٩٧-١١٨٧**م/ **٤٩٠- ٥٨٣**هـ)"، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، (الإسكندرية **١٩٩٧**).
حسنين محمد ربيع،
دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة **١٩٩٣**).
حسين محمد عطية،
إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون **١١٧١-١٢٦٨**م/ **٥٦٧-٦٦٦**هـ، (الإسكندرية **١٩٨٩**).
حسين مؤنس،
رائد نصر المسلمين على الصليبيين نور الدين محمود، سيرة مؤمن صادق، (السعودية **١٩٨٧**).
رأفت عبد الحميد،
"بيزنطة وخيانة القضية الصليبية"، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، (القاهرة **١٩٩٨**).

رايس (تامارا تالبوت)،
السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ترجمة/ لطفي الخوري- إبراهيم الداقوقي، (بغداد **١٩٦٨**).
رنسيمان (ستيفن)،
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد الباز العريني، **٣** أجزاء، (القاهرة **١٩٩٣**).
ريلي سميث (جوناثان)،
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة/ محمد فتحي الشاعر، (القاهرة **١٩٩٣**).
زابوروف (ميخائيل)،
الصليبيون في الشرق، ترجمة/ إلياس شاهين، (موسكو **١٩٨٦**).
زبيدة محمد عطا،
بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، (القاهرة د.ت).
سالم محمد الحميده،
الحروب الصليبية عهد الوحدة، **٣** أجزاء، (بغداد **١٩٩٣**).
سعيد أحمد برجاوي،
الحروب الصليبية في المشرق، (بيروت **١٩٨٤**).
سعيد عبد الفتاح عاشور،
- الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، جزءين، (القاهرة **١٩٩٣**).
- الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، (القاهرة **١٩٦٥**).
- أوربا العصور الوسطى، جزءين، ج١، التاريخ السياسي، (القاهرة **١٩٩١**).
سميرة يونس عبد القادر،
النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، (القاهرة **١٩٩٥**).
سميل (ر. س)،
الحروب الصليبية، ترجمة/ سامي هاشم، (بيروت **١٩٨٢**).

سهيل زكار،
مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، (دمشق **١٩٧٥**).
السيد الباز العريني،
- الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، **١٠٥٠-١١٩٣**م، (القاهرة **١٩٦٣**).
- الدولة البيزنطية **٣٢٣-١٠٨١**م، (القاهرة **١٩٦٠**).
- أجناد الروم، (القاهرة **١٩٥٦**).
- مؤرخو الحروب الصليبية، (القاهرة **١٩٦٢**).
شاكر مصطفى،
"دخول الترك الغز إلى الشام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر"، مقال مستخرج من مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت، العدد الخامس، **١٩٧٤**، ص**٤٥-٩٧**.
صلاح محمد ضبيع،
دور الألمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام **٥٤٠**هـ/**١١٤٥**م إلى **٦٢٦**هـ/**١٢٢٩**م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة أسيوط **١٩٩٣**.
عادل زيتون،
العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، (دمشق **١٩٨٠**).
عادل عبد الحافظ شحاتة،
العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي **١١٥٢-١٢٥٠**م/ **٥٤٧-٦٤٨**هـ، (القاهرة **١٩٨٦**).
عامرة علي الحمد،
الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، دراسة تطبيقية في ضوء العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وإمارة أنطاكية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (**١٠٩٨-١١١٨**م)، (القاهرة **١٩٨٠**).
عبد الحفيظ محمد علي،
المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين **٣-٦**هـ-**٩-١٢**م، (القاهرة **١٩٨٢**).

عبد الرحمن محمد عبد الغني،
"موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور الأتراك السلاجقة بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي"، مقال مستخرج من حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الخامسة عشر، **١٩٩٤-١٩٩٥**، ص **١١-٧٦**.

عبد العزيز محمد عبد العزيز،
العلاقات البيزنطية- اللاتينية في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس (**١١٤٣-١١٨٠**م)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة عين شمس **٢٠٠٠**.

عبد الغني إبراهيم رمضان،
السلاجقة والصليبيون من وقعه ملازجرد **٤٦٥**هـ/ **١٠٧١**م حتى سقوط الرها **٥٣٩-١١٤٤**م، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، **١٩٥٨**.

عبد الغني محمود عبد العاطي،
السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين **١٠٨١-١١٨**م، (القاهرة **١٩٨٣**).

عبد المجيد أبو الفتوح بدوي،
العلاقات بين سلاجقة آسيا الصغرى والدولة الأيوبية، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، **١٩٧٥**.

عبد المنعم ماجد،
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (بيروت **١٩٦٦**).

عثمان الترك،
صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية الأرمن في ماضيهم وحاضرهم منذ أقدم عصور التاريخ حتى منتصف القرن العشرين، (حلب **١٩٦٠**).

عزيز سوريال عطية،
العلاقات بين الشرق والغرب تجارية- ثقافية- صليبية، ترجمة/ فيليب صابر سيف، (القاهرة **١٩٧٢**).

علي بن صالح المحيميد،
الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، (الإسكندرية ١٩٩٤).
علي محمد عودة الغامدي،
المجاهد المسلم كمشتكين بين دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين، (السعودية ١٤١١هـ).
علية عبد السميع الجنزوري،
إمارة الرها الصليبية، (القاهرة ١٩٧٥).
عمر كمال توفيق،
- "المؤرخ وليام الصوري"، مقال مستخرج من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٢١ (١٩٦٧)، ص ١٨١-٢٠٠.
- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (القاهرة ١٩٦٧).
فايز نجيب إسكندر،
- غزو الإمبراطورية البيزنطية لأرمينية سنة ١٠٤٥م/٤٣٧هـ، (الإسكندرية ١٩٨٨).
- استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية "آني" سنة ٤٥٦هـ١٠٦٤م، (الإسكندرية ١٩٨٧).
- أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة (١٠٠٠-١٠٧١م/٣٩٢-٤٦٣هـ) من مصنف اريستاكيس اللسيتيقرتي، (الإسكندرية ١٩٨٣).
- موقعة ملازكرد وصداها في القسطنطينية (٢٦ أغسطس سنة ١٠٧١-٤ أغسطس سنة ١٠٧٢م)، (الإسكندرية ١٩٨٧).
فشر (هـ.أ.ل)،
تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة/ محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريني، جزءين، (القاهرة ١٩٥٤).
قتيبه الشهابي،
صمود دمشق أمام الحملات الصليبية مستخرجة من نصوص المؤرخين العرب والأجانب، (دمشق ١٩٩٨).

قدري قلعجي،
صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، (بيروت **١٩٩٢**).
لستارجيان، (ك.ل)،
تاريخ الأمة الأرمينية، (الموصل **١٩٥١**).
لسترنج، (كي)،
بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسية الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، ترجمة/ بشير فرنسيس- كوركيس عواد، (بغداد **١٩٥٤**).
ليلى عبد الجواد إسماعيل،
بلاد المجر والحملة الصليبية الأولى، مقال مستخرج من كتاب (سعيد عاشور إليه في عيد ميلاده السبعين)، (القاهرة **١٩٩٢**).
ماير (هانس ابرهارد)،
تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ عماد الدين غانم، (ليبيا **١٩٩٠**).
المتولي السيد تميم،
البشناق والبيزنطيون، دراسة في سياسة بيزنطة الشمالية (**٨٥٠-١١٢٢**م)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة المنصورة، **١٩٩٦**.
محمد رمضان بطران،
بنو أرتق وسياستهم الخارجية في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، **١٩٩٩**.
محمد محمد مرسي الشيخ،
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية **٢٠٠٠**).
محمد نجيب زكي الوسيمي،
- علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عر أسرة كومنين (**١٠٨١-١١٨٥**م)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، **١٩٨٨**.
- سلطنة سلاجقة الروم **٥٨١-٦٤١**هـ/**١١٨٥-١٢٤٣**م، رسالة دكتوراه غير

منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، **١٩٩٤**.

محمود سعيد عمران،

- تاريخ الحروب الصليبية **١٠٩٥-١٢٩١**م، (الإسكندرية **١٩٩٨**).

- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول **١١٤٣-١١٨٠**م، (الإسكندرية **١٩٨٤**).

مروان المدور،

الأرمن عبر التاريخ، (بيروت **١٩٨٢**).

مسفر بن عريج الغامدي،

الجهاد ضد الصليبيين في الشرق قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (**٤٩١-٥٦٩**هـ/**١٠٩٧-١١٧٣**م)، (جده **١٩٨٦**).

ممدوح محمد مغازي هلول،

الرملة ودروها السياسي في الصراع الصليبي الإسلامي (**١٠٩٩-١٢٥٠**م/ **٤٩٢-٦٤٨**هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الزقازيق، **١٩٩٦**م.

مونروند، (مكسيموس)،

تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب، ترجمة/ مكسيموس مظلوم، (أورشليم **١٨٦٥**).

نبيلة مقامي،

العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان في جنوب إيطاليا وصقلية من **١٠٢٥**م-**١١٩٧**م، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة عين شمس، **١٩٨٩**.

نظير حسان سعداوي،

- ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية، (القاهرة، **١٩٥٧**).

- المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، (القاهرة **١٩٦٢**).

هسى (ج.م)،

العالم البيزنطي، ترجمة/ رأفت عبد الحميد، (القاهرة **١٩٩٧**).

سادسًا: دوائر المعارف والقواميس:

The Cambridge History of Islam,
2 Vols, (Cambridge 1970).
Cambridge Medieval History,
8 Vol, (Cambridge 1964).
Dictionary of The Middle Ages,
6 Vols, (New York 1986).
The Encyclopaedia of Islam.
8 Vols, (Leiden 1991).
The New Encyclopaedia Britannica
32 Vols, (U.S.A 1998).
The Oxford Dictionary of Byzantium
3 Vols, (Oxford 1991).

دائرة المعارف الإسلامية،
إصدار، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس **١٥** جزء، (القاهرة **١٩٣٣**).